مكايد الشيطان

في مسائل التوحيد و النبوات

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله القائل: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(١).

والقائل سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾(٢).

نَحمدُه ونستعِيْنُه ونستهدِيْهِ ونعوذُ بالله من شُرورِ أنفُسِنَا وسيئاتِ أَعمَالِنَا، من يَهْده اللهُ فلا مُضلَّ لـهُ، ومن يُضْللْ فَلا هاديَ لـهُ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسُولهُ، أَدى الأمانةَ ونَصحَ الأُمةَ وجاهدَ في للهِ حقَّ جِهادِه، فَصلاةً وسلاماً عليه وعلى آلهِ وصحبهِ إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

لقدْ جاءَ الأنبياءُ -عليهم صلواتُ الله وسلامُهُ - بالبيانِ الكافي، وَقابَلوُا الأمراضَ بالدواءِ الشَّافي، وَتوافَقُوا علَى مِنْهاجٍ لم يختلفْ، فأقبلَ الشيطانُ يخلِطُ بالبيانِ شُبُهَاً، وبالدواءِ سُمَّاً.. وما زالَ يلعبُ بالعقولِ إلى أنْ فرقَ الجاهليةَ في مذاهبَ سخيفةٍ، وبدعٍ قبيحةٍ، فأصبحوا يعبدونَ الأصنامَ في

(١) سورة يس، الآية ٦٠ .

(٢) سورة فاطر، الآية ٦.

البيتِ الحرامِ، ويُحرِّمونَ السَّائبةَ والبَحيرةَ والوصيلةَ والحام[١].. إلى غيرِ ذلك من الضلالِ الذي سولّ لهم إبليسُ"[٢].

وهذا بعدَ أنْ طردَهُ اللهُ وأبعدَهُ عندما تمردَّ على طاعةِ ربِّه ومولاهُ، وأبى السَّجودَ لآدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وزعَم أنَّه خيرٌ منه، ثم طلبَ الإنْظارَ إلى يومِ البعثِ، فأنظرهُ اللُه، فلمَّا أَمِنَ أخذَ يدبرُ الحيلَ ويصْنَعُ الأساليبَ، ويزينُ الباطلَ، ويسهِّلُ طريقَ الغوايةِ بمكْرِهِ وألاعيبِهِ، قَال تَعالى:

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[٣]، فبدأَ بآدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد أنْ أسكنه اللُه تعالى هو وزَوْجَه الجنةَ فزيّنَ لهما المعصيةَ، ووعَدَهُمَا بالخلودِ حتى أكلا من الشجرةِ التي نَهاهُمَا اللهُ تعالى عن الأكلِ منها، فكانتْ العاقبةُ الخروجَ من الجنةِ والهبوطَ إلى الأرضِ وهذا يدلُّ على أن هذه العداوةَ قديمةٌ بدأتْ منذ أن أمتنع عن السجود لأبينا آدم عليه السلام، وهي في أصلِ العقيدةِ والدين ومستمرةٌ إلى قيامِ الساعةِ، ولكنَّ اللهَ لم يتركْ عبادَه

(١) سيأتي التفصيل في بيان معاني السائبة والبحيرة والوصيلة والحام .

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٠ ط. الرابعة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، تحقيق د. السيد الجميلي.

(٣) سورةالحجر، الآية ٣٦-٤٠ .

في جهل بل بيَّن تَعالى لهم عداوةَ هذا العدوِ وشدةَ خطَرِه مع عظيمِ مكرِه وأسَالِيبهِ في التَّزْيينِ والإغْواءِ[1].

أهمية البحث :ـ

١ـ إنه أخطر عدو للبشرية على الإطلاق وعداوته قديمة وهذه العداوةُ مستمرةٌ لا تزولُ، حيث وان هذا العدو يملك من السلاح والعتاد ما يعجز البشر عن الصمود أمامه ، ولا يمكن لهم مواجهته والانتصار ما لم يكن لديهم ، أضعاف ذلك السلاح من الإيمان وقوة اليقين ذلك هو إبليس لعنه الله واخزاه ، وخطره يتبين لنا من أمور :

الأول : انه يرانا ولا نراه قال تعالى : ﴿**يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ**﴾[2].

الثاني : انه يجري من ابن ادم مجرى الدم ، كما في الحديث المتفق عليه . عَنْ صَفِيَّةَ ابْنَةِ حُيَيٍّ، أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول : « كَانَ الرَسُولُ اللهَّ ﷺ مُعْتَكِفًا ـ أي في المسجد ـ فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلاً فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ لأنقلبَ ، فَقَامَ مَعِي

(١) أصل هذه السلسلة بحث دكتواره تقدمت به إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ...

(٢) سورة الأعراف، الآية٢٧ .

لِيَقْلِبَنِي. ـ أي يرافقني ـ فَمَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ ». فَقَالاَ سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شراً ـ أَوْ قَالَ ـ شَيْئًا »(١).

الثالث: شدة التحذير منه ، وبيان عداوته في الكتاب والسنة وما ذاك إلا لما علم منه سبحانه فهو خالقه العليم به، ومن الآيات المحذرة منه قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلا طَيِّبا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾(٢).

وقوله سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(٣).

وقوله تعالى : ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾(٤) ، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "هذا تقريع من الله تعالى للكفرة من بني آدم ، الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين ، وعصوا

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٧١٢) (٢١٧٥).
(٢) سورة البقرة، الآية١٦٨-١٦٩.
(٣) سورة البقرة، الآية ٢٠٨.
(٤) سورة يس، الآية ٦٠.

الرحمن وهو الذي خلقهم ورزقهم " ا.هـ[١]

الرابع : تفننه في أساليب الإغواء والخداع فربما فتح أبواباً عظيمة من الخير ليصل إلى باب واحد من الشر؛ فيزين ويمني ويعدّ وما يعدهم إلا غرورا ، كما بيّن ذلك سبحانه في قوله : ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبا مَّفْرُوضا وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانا مُّبِينا يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[٢].

الخامس: غفلة الكثير عنه وأنه سبب كل شر في هذا العالم .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

" فإنه لا ينجو من عدوه إلا من عرفه، وعرف طريقه التي يأتيه منها وجيشه ، الذي يستعين به عليه ، وعرف مداخله ومخارجه وكيفية محاربته ، وبأي شيء يحاربه وبماذا يداوي جراحه ، وبأي شيء يستمد القوة لقتاله ودفعه ، وهذا كله لا يحصل إلا بالعلم فالجاهل في غفلة وعمى عن هذا الأمر العظيم والخطب الجسيم " ا.هـ[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير ص ١١٩ ط . دار السلام .

(٢) سورة النساء، الآية ١١٩-١٢٠ .

(٣) مفتاح السعادة (١/ ٢٠٦) .

السادس : إن كل إنسان قد وكل به قرين من الجن كما في الحديث عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال : رسول الله ﷺ قال « ما منكم من احد إلا وقد وكل به قرينه من الجن » قالوا : وإياك ؟ يا رسول الله : قال : « وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير »(١).

السابع : انه لا يفتر يقظة ولا مناماً فهو عدو البشرية وهو الذي اخرج أبانا آدم من الجنة ، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:" إن الله سبحانه بحكمته سلط على العبد عدوا عالما بطرق هلاكه ، وأسباب الشر الذي يلقيه فيه متفننا فيها خبيراً بها حريصاً عليها ، لا يفتر يقظة ولا مناماً ، ولا بد له واحدة من ست ينالها منه .. الخ "(٢) .

ـ عداوته لا تضمحلُّ، ومنشأها أصلُه الخبيثُ ونَفْسُهُ المنطويةُ على الحقدِ والحسدِ والكِبرِ، فهو يرى أن بني آدمَ سببُ شقائِه وزوالِ نعمتِه، قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٣) .

وفي حديثِ أبي سعيد الخُدْري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إنَّ إبليسَ قال: وعزتكِ لا أبرحُ أغوي بني آدمَ مادامتْ الأرواحُ فيهم، فقال لـه ربُّهُ عز

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢١٦٧) (٢٨١٤)

(٢) مفتاح دار السعادة.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٦٢.

وجلَّ: فبعزتي وجلالي لا أبرحُ أغفرُ لهم ما استغفروني» [١] .

فهو عدُوُ محاربٌ، ينبغي مواجهتهُ بكل ما نملك من قوى.

١- إن هذا العدوَّ له مداخلُ على النفسِ الإنسانية، وطرقُ إغراءٍ واستدراجٌ لا يتنبه لها كثيرٌ من الناسِ، فلابد من معرفتِهَا وتوضِيحِها وفضحِها ليتمَّ صدُّها وإبطالُها، قال ابنُ الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تلبيسِ إبليسِ: "وفتنُ الشيطانِ ومكايـدُه كثيرةٌ في غضون هذا الكتاب .

ولكثرةِ فتنِ الشيطانِ وتشبثها بالقلوب عزتُ السلامةُ فإن من يدعُ إلى ما يحثُ علَيه الطبع كمدادِ سفينةٍ مِنحدرةٍ فيا سرعةَ انحدرِاها .. "[٢] ا.هـ.

فهو محيطٌ بالعبدِ من جميع جوانِـبهِ، قال تعالى: ﴿**قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ**﴾[٣] .

٢- شدةُ الفتنةِ بالشيطانِ حتى إنه ليشَارِكُ في فتنة المسيحِ الدجالِ فيتمثَّلُ في صورةِ الأبِ والأمِ ليأمر باتباعِ الدجالِ كما سيأتي ، فلابد من إبرازِ موضوع الشيطانِ في صورة واقعيةٍ ملموسةٍ، حتى يُدركُ خطرُهُ وتنكشف مكايدُه،

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٤١)، والحاكم في المستدرك رقم: ٧٦٧٢ (٤/ ٢٩٠)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

(٢) تلبيس إبليس ص٤٥.

(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٦-١٧.

فهو أشد من اليهودِ والنصارى وسائرِ الكفرةِ، فهو الرأسُ المدبرُ والطاغوتُ الخفيُّ الذي يواصلُ سعَيه الدؤوبَ لمحوِ وإزالةِ دينِ اللهِ وتوحيدِه من الأرضِ.

وفي الصحيح « إنَّ في البَحْرِ شَياطِينَ مَسْجُونَةً، أوْثَقَها سُلَيْمانُ، يُوشِكُ أنْ تَخْرُجَ، فَتَقْرَأَ علَى النَّاسِ قُرْآنًا» (١) .

٣-إبرازُ خطرِهِ على المجتمعِ الإسلاميِّ والأمةِ المسلمةِ، فليسَ خطرُهُ قاصراً على نطاقٍ فرديٍّ يتمُ التحرزُ منه ودفعُهُ بالزادِ الإيمانيِّ عند الفردِ، بلْ لابدَ معَ ذلكَ من محاربتهِ ومواجهتِهِ بشكلٍ جماعيٍّ، فما من شرٍ في هذا العالمِ إلا هو سبَبُهُ .

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"ولا يمكنُ حصرُ أجناسِ شرِهِ، فضلاً عن آحادِهَا، إذ كُل شرِ في العالمِ فهو السببُ فيه"(٢) ا.هـ.

وقد ركزتُ - بحسبِ تخصصي - على جانبِ العقيدةِ، وإن كانَ لوازمُ البحث جعلتني أتطرقُ لكثيرٍ من الجوانبِ الأخرى ولو بالإشارةِ.

٤- ضرورةُ التأصيلِ الشرعيِّ للتصورِ الغيبيِّ لقضايا الجنِ والشياطينِ خصوصاً مع كثرةِ الخوضِ فيها ما بين مصيبٍ ومخطئٍ، ومؤمنٍ ومُنكرٍ.

---

(١) رواه مسلم في المقدمة رقم: ٧ (١/ ١٢).

(٢) تفسير المعوذتين، (ص١١١-١١٢).

٥- إنه يَرانَا ولا نراهُ غالباً، ولهذا عُظمَ خطرُهُ واستفْحَلَ شرُهُ؛ لأن العدوَّ الذي تراهُ تستطيعُ دَفْعَهُ ومقاومَتَهُ، وأما العدوُ الخفيَّ فقد تغفلُ عن التحذر مِنهُ، وقدْ يباغِتُكَ على حينِ غفلةٍ وفي حالةِ ضعفٍ، ولهذا أمرنا اللهُ تعالى بالاستعاذةِ منه قال سبحانه: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ**﴾[1] .

٦- إن مكايدَ الشيطانِ كانتْ السببَ في إفسادِ عقائدِ الأممِ وانحرافِهَا عن التوحيدِ الخالصِ قديماً وحديثاً. وخفاءِ مكايدِهِ، فرأيتُ أن أتناولَ هذا الموضوع، وأوضحَهُ إذ معرفةُ الشرِ سببٌ لاجتنابهِ وتحذيرٌ من الوقوعِ فيه، كما كان حذيفةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول: «كان الناسُ يسألونَ رسولَ الله ﷺ عن الخيرِ، وكنتُ أسألهُ عن الشرِ مخافةَ أن يُدْركَني ...»[2] الحديث.

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ:

"إن الله سبحانه ابتلى هذا الإنسان بعدو لا يفارقه طرفة عين ولا ينام عنه ولا يغفل عنه يراه هو وقبيله من حيث لا يراه يبذل جهده في معاداته في كل حال ولا يدع أمر يكيده به يقدر على إيصاله إليه إلا أوصله إليه ، ويستعين عليه ببني جنسه أبيه ، من شياطين الجن: وغيرهم من شياطين الإنس ، فقد

(١) سورة النحل، الآية ٩٨ .

(٢) رواه البخاري في كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم: ٣٤١١ (٣/ ١٣١٩)، ومسلم في كتاب: الإمارة، رقم: ١٨٤٧ (٣/ ١٤٧٥).

نصب له الحبائل ، وبغى له الغوائل ، ومدحو له الإشراك ، ونصب له الفخاخ والشباك ،وقال لأعوانه: دونكم عدوكم ، وعدو أبيكم، لا يفوتكم ،ولا يكون حظه الجنة وحظكم النار، ونصيبه الرحمة ونصيبكم اللعنة ، وقد علمتم أن ما جرى عليّ وعليكم من الخزي واللعن والإبعاد من رحمة الله بسببه ومن أجله "[١] .

لهذا استخرتُ اللهَ تعالى في بَحثِ مكايـدِه، وكشفِ مخططاتهِ وإنْ لم أكنْ أوَّل مَن شرعَ في ذلك، ولكنّ الموضوعَ يَحتاج إلى جهدٍ واهتمامٍ وبذلٍ للمزيدِ لتتضافرَ الجهودَ ويُفْضَحَ الكيدُ سعياً في نجاةِ العبد أولاً ثم نَجاةِ من يَدعُوه ثـَانياً. وقد رأيت أن هذا الموضوعَ بحاجةٍ إلى ضمِ جوانبـهِ، وجمعِ مُتَفَرِقِه، إذ قد أُلِّفتْ فيه المؤلفاتُ الكثيرةُ قديماً وحديثاً، ومن هذه المؤلفاتِ: إغاثةُ اللهفانِ من مصايدِ الشيطانِ لابن القيمِّ، تلبيسُ إبليسَ لابنِ الجوزيِّ، مصائبُ الإنسان من مكايدِ الشيطانِ لابن مفلحِ الحنبلي، مكايدُ الشيطانِ لابن أبي الدنيا، مكايد الشيطانِ للعفيفي، الحربُ على الشيطانِ لمصلح محمد، مصايدُ الشيطانِ وذم الهوى لابن غانِم، سلاحُ اليقظانِ للشيخِ عبدالعزيز بن محمد السلمان، عالمُ الجنِ والشياطينِ د. عمر الأشقر، البيانُ في مداخلِ الشَيطانِ لعبدالحميدِ البلالي، الصحيحُ الجامعُ لأخبار الجنِ والشيطانِ لوائل بن السعيد آل درويش، وغيرها من المؤلفات . وهناك رسائلُ جامعيةٌ

(١) الداء والدواء لابن القيم ♫ (ص : ٢٤٧) .

تناولتْ هذا الموضوعَ ومنها:

- الأحاديثُ الواردةُ في الشيطانِ ومكايدِهِ والوقايةِ منه جمعاً وتخريجاً ودراسة د. إلهام بنت بدر الجابري، رسالةُ دكتوراه، جامعةُ الإمام – كليةُ أصولِ الدين.

- دراسةٌ عقديةٌ لإبليسَ ومعتقداتِ الفرقِ الضالةِ فيه للباحث محمد بن سليمان المفدى، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود.

- عالمُ الجنِ في ضوء الكِتابِ والسنةِ، تأليف فواز عبيد الله.

- زعماءُ الشرِ في القرآنِ الكريمِ، سميرة جالية – كلية الآداب - رسالةُ ماجستير.

وأكثرُ هذه المؤلفاتِ تركزتْ فيها الدراسةُ على جانبٍ معينٍ كخلقِ الشيطانِ وأصلِهِ وصفاتِهِ، أو التعوذِ منه والتحصنِ منه أو تناولِهِ من جانبٍ حديثيٍّ أو فقهيٍّ، وبعضُهَا بحثَ الموضوعِ بشكلٍ شاملٍ، كما في إغاثةِ اللهفانِ لابن القيمِّ وتلبيسِ إبليسَ لابنِ الجوزي –رحمهما الله تعالى-.

لذا ركزتُ في دراستي على الجمعِ والترتيبِ والتبويبِ في مسائلِ العقيدةِ، فجمعتُ تحت كل مسألةٍ ما يخصها من هذه المكايدِ.

وأسألُ اللهَ تعالى أن أكونَ وُفقتُ وأضفتُ جديداً للمكتبةِ الإسلاميةِ؛ وساهمت في نفع الأمة وتحذيرها من أشد أعداءها وصدقت في نصحها، لأنَّ الأمرُ أخطرُ مما يُتصورُ، ومهما بُذل فيه من الجهودِ فهي لا تفي إلا بجزءٍ يسيرٍ من هذا الموضوعِ المتشعب والهامِ.

وقد رأيت بعد مناقشة الرسالة[١]بمشورة بعض العلماء إخراجه في سلسلة يستفاد منها ليسهل قراءته، فاستعنت بالله وقيَّض الله لهذا البحث من المخلصين الصادقين- نحسبهم كذلك والله حسيبهم- من كان عضداً لي في الإخراج والصف والطباعة .

فجزاهم الله عني وعن الإسلام والمسلمين خيراً ...

منهجية البحث : ـ

١- كتابةُ الآياتِ بالرسمِ العثماني، وعزوُها إلى السورةِ ورقْمِ الآيةِ.

٢- تخريجُ الأحاديثِ والآثارِ من المصادرِ الحديثيةِ ما أمكنَ ذلك، وإذا كانَ الحديثُ في الصحيحينِ أو أحدهُمَا اكتفيتُ بعزوه إليهما أو إليه، أما إذا كان في غيرِهما فإني أتوسعُ في تخريجِهِ، وأنقل كَلامَ علماءِ الحديثِ في الحكم عليه ما استطعتُ.

٣- تعريفُ الأعلامِ غير المشهورينَ بترجمةٍ موجزةٍ.

٤- شرحُ الألفاظ الغريبةِ.

٥-تحديدُ الأماكنِ والبلدانِ.

---

(١) أصل البحث رسالة علمية تقدمت بها لكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بعنوان (مكايد الشيطان في مسائل الاعتقاد وطرق الوقاية منه) لنيل درجة الدكتوراه عام ١٤٢٥هـ وقد طبع الكتاب كاملا وتم بحمد الله وفضله تقسيمه في (خمسة كتب) في سلسلة مكايد الشيطان نفع الله بها وجعلها خالصة صواباً .

٦-التعريف بالفرق.

٧-عند النقل من مرجع ما نصاً أضع ما نقلته بين علامتي تنصيص« » **وما نقلته بالمعنى وأضفت إليه معاني أخرى أشير إليه بلفظ: انظر مرجع كذا.**

عند ذكري لمكايد الشيطان في مسألة ما أورد عليها دليلاً من الكتاب أو السنة الثابتة، فإن لم أجد بحثت عن أثر وأدعمه بأقوال السلف أو معنى آية من كتاب الله، وأنقل ما يدل على ذلك من أقوال المفسرين أو استنتاج توصلت إليه.

ثم أذكر ما يتعلق بهذه المكيدة من شبهات ومسائل جزئية ، وإنما أستدل عليها بعموم مكايده مثل قوله تعالى: ﴿**يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ** ...﴾الآية [١] ، وقولـه تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ**﴾ [٢] .

وقوله تعالى: ﴿**قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ**﴾ [٣] .

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٧.

(٢) سورة الحِجر، الآية ٣٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٦-١٧.

وقال تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (١) .

وحديث سبرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد لـه بطريق الإسلام... » (٢) الحديث – كما سيأتي –.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"ومن شره: إنه قعد لابن آدم بطرق الخير كلها، فما من طريق من طرق الخير، إلا والشيطان مرصد عليه يمنعه بجهده أن يسلكه، فإن خالفه وسلكه ثبَّطه فيه وعوَّقه وشوش عليه بالمعارضات والقواطع، فإن عمله وفرغ منه قيض له ما يبطل أثره ويرده على حافرته"(٣) ا.هـ.

١٠- الشبهات التي أوردها أردّ عليها بإجمال وأحيل إلى مراجع الرد، لأن البحث لا يتسع لكثرة الرد، وفي المقابل وجدت أنه من الصعب إيراد الشبهة دون تفنيد لها ولو بشكل موجز.

١١- نقلت أقوال الخصوم من كتبهم ما استطعت إلى ذلك سبيلاً مما وجد عندي منها وما استعرته من المكتبات العامة أو الخاصة، ومن خلال البحث

---

(١) سورة الحج، الآية ٤.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٤٨٣)، والإمام النسائي في كتاب الجهاد، باب: ما لمن أسلم وهاجر رقم: ٣١٣٤ (٦/ ٢١)، وانظر صحيح الجامع (٢/ ٧٢).

(٣) تفسير المعوذتين، ص١١٠.

في مواقعهم ، وما لم أجد نقلت أقوالهم من كتب المقالات والملل، وكتب الثقات أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم – رحمهما الله–.

١٢–ما ذكرت بلفظ شيخ الإسلام وأطلقت فالمقصود ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٣– التعليقات الهامشية التي أضيفها من غير صلب البحث أشير إليها بعلامة (*).

تقسيم البحث :ـ

تم بحمد الله وفضله تقسيم البحث إلى ستة أجزاء عبارة عن سلسلة على النحو التالي :ـ

الكتاب الأول : حقيقة الشياطين وصفاتهم في ضوء الكتاب والسنة وبيان عداوتهم لبني آدم[١] .

الكتاب الثاني: أسباب الانحراف عن الفطرة وعداوة الشيطان لأنبياء الله وبيان مكايده في إيقاع العباد في الكفر والشرك والبدع[٢].

---

(١) وهذا رابط الكتاب لمن أراد الاستفادة والاطلاع
https: / /d-gathla.com /issuse /file /94-2019-09-12-16-05-20

(٢) وهذا رابط الكتاب لمن أراد الاستفادة والاطلاع
https: / /d-gathla.com /issuse /file /103-2019-12-12-08-03-57

الكتاب الثالث : مكايد الشيطان وأساليبه في إفساد الاعتقاد[١] .

الكتاب الرابع : مكايد الشيطان في مسائل التوحيد والنبوات وهو كتابنا هذا ويتكون من : مقدمة و بابين وخاتمة ، المقدمة ذكرت فيها أهمية البحث ومنهجية البحث وتقسيم البحث.

الباب الأول مكايده في مسائل التوحيد وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: توحيد الألوهية.

المبحث الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

الباب الثاني، مكايده في مسائل النبوات وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول: مكايده في إنكار النبوات

المبحث الثاني : مكايد الشيطان في الغلو في الأنبياء

المبحث الثالث: مكايد الشيطان في نفي المعجزات والكرامات

المبحث الرابع: مكايده فيما يتعلق بالولاية والأولياء

ثم الخـــاتـمـــة و المراجـــع والفهرس.

الكتاب الخامس: مكايد الشيطان في مسائل الغيبيات

---

(١) وهذا رابط الكتاب لمن أراد الاستفادة والاطلاع

https: / /d-gathla.com /issuse /file /104-2020-01-23-15-16-23

الكتاب السادس : الحص الحصين " بحث شامل لجميع طرق وأسباب ووسائل التحصين من الشيطان الرجيم مؤيدة بأدلة الكتاب والسنة الصحيحة [١].

وفي الختام أحمد الله وأشكره أولاً وآخراً، فله جل وعلا حمداً وشكراً كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه. كما أشكرُ كلَّ من شارك في إخراجه وطباعته ونشره ، فأسألُ اللهَ تعالى أن يجزيَ الجميعَ خيرَ الجزاءِ. كما أسأَلهُ تعالى أن يتقبلَّ هذا العملَ ويجعَلَهُ خالصاً لوجههِ الكريمِ، صواباً وصلى اللهُ على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبهِ وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يومِ الدين .

جمع وتأليف : الفقيرة الى عفو ربها القدير

قذلة بنت محمد بن عبدالله بن معيض آل حواش القحطاني

رابط الموقع

https://d-gathla.com

---

(١) تمت طباعة كتاب الحصن الحصين ونشره بحمد الله في المكتبات ونشره الكترونياً في المكتبات الوقفية وهذا رابط الكتاب لمن أراد الاستفادة والاطلاع.

https: / /d-gathla.com /issuse /file /83-2017-11-02-17-44-07

«الباب الأول»
مكايد الشيطان في مسائل الـتوحيد

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: توحيد الألوهية.

المبحث الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الأول

توحيد الربوبية

التوحيد في اللغة من وحّد يوحّد توحيداً.

والوحدة بمعنى الانفراد، تقول رأيته وحده، ويقال فلان واحد دهره أن لا نظير له، ويقال: فلان أوحد أهل زمانه.

فالكلمة في اللغة تدور حول الوحدة والتفرد [١].

أما تعريفه في الشرع فيعني إفراد الله عز وجل بما يختص به مما يدل عليه معنى الربوبية من الملك والخلق والتدبير، وما يدل عليه معنى الألوهية من إفراده تعالى بالعبودية، والإيمان بأسمائه وصفاته [٢].

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«التوحيد نوعان: نوع في العلم والاعتقاد، ونوع في الإرادة والقصد، ويسمى الأول التوحيد العلمي والثاني: التوحيد القصدي الإرادي ... إلخ» [٣].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضاً في تفسيرهما:

«الأول: هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعلوه

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري (٢/ ٥٤٧)، المفردات للراغب، ص٥١٤، لسان العرب لابن منظور (١٥/ ٢٣٠-٢٣٢).

(٢) انظر القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (١/ ٥).

(٣) مدار السالكين لابن القيم (١/ ٢٤-٢٥).

فوق سماواته على عرشه، وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمه.

والنوع الثاني: مثل ما تضمنته سورة: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [١] ا.هـ.

وقال العلامة عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريفه.

«العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال والإقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال، وإفراده وحده بالعبادة» [٢] ا.هـ.

وجميع هذه العبارات تبين أن توحيد الله تعالى، يستلزم ثلاثة أركان لا يكمل توحيد العبد ما لم يستكملها وهي:

١- إفراد الله تعالى بالربوبية.

٢- إفراد الله تعالى بالألوهية.

٣- إثبات أسمائه تعالى وصفاته الثابتة في الكتاب والسنة على الوجه الذي يليق به تعالى من غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ ولا تشبيه[٣] .

---

(١) المرجع السابق (٣/ ٤٤٩).

(٢) القول السديد لابن سعدي، ص١٠ .

(٣) هذا معنى التوحيد عند أهل السنة والجماعة، وقد ضلت فرق كثيرة في معناه فقالت الصوفية التوحيد على ثلاثة أقسام: توحيد العامة، وتوحيد الخاصة، وتوحيد خاصة الخاصة، فأما الأول فهو الذي يصح بالشواهد. والثاني: هو الذي يثبت بالحقائق، والثالث: هو توحيد خاصة الخاصة وهو الذي اختصه الله لنفسه واستحقه وألاح منه لائحاً إلى أسرار طائفة من صفوته، وأخرسهم عن نعته وأعجزهم عن بثه»، وهم يقصدون بالأول (توحيد العامة) التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأنزلت

= =

معنى كلمة الرب:

الربوبية مأخوذة من «رب» وهي في اللغة تعني «المالك، والسيد، والمربي، والقيم، والمنعم» (١).

«والرب اسم من أسماء الله عز وجل ولا يقال في غيره إلا بالإضافة ...» (٢).

«وعلى هذا انعقد إجماع أهل اللغة والمفسرين، ولم يؤثر عن العرب أنهم

= =

من أجله الكتب، ومع ذلك يجعلونه توحيد العامة!! والحلولية منهم والغلاة قالوا إنه حل في مخلوقاته، ومن ضل في معنى التوحيد الفلاسفة من اتباع ابن سينا والطوسي، وغيرهما فزعموا أن التوحيد: إثبات وجود مجرد عن الماهية والصفة.

وممن ضل أيضاً المعتزلة، فالتوحيد عندهم، كما يذكر ذلك الجبائي في المغني (٤/ ٤١)، إن القديم يوصف بأنه واحد على ثلاثة أوجه أحدهما: بمعنى أنه لا يتجزأ ولا يتبعض، والثاني أنه متفرد بالقدم لا ثانية فيه، والثالث: أنه متفرد بسائر ما يستحقه من الصفات النفسية من كونه قادراً لنفسه، وعالماً لنفسه، وحيا لنفسه، وعلى هذين الوجهين يمدح بوصفنا له: بأنه واحد لاختصاصه بذلك دون غيره».

وجميع ذلك باطل وقد فصل العلماء في الرد على هؤلاء المبتدعة وبيان مخالفة أقوالهم للكتاب والسنة والإجماع.

انظر الرد عليهم في: منهاج السنة لابن تيمية (٥/ ٣٧٠-٣٨٣)، مجموع الفتاوى (٢/ ١٤٠)، مدارج السالكين (٣/ ٤٤٣ وما بعدها)، بدائع الفوائد لابن القيم (١/ ١٨٢)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص ٢٣ وما بعدها).

(١) لسان العرب لابن منظور (١/ ٣٩٩) وهو من كلام أحمد بن يحيى.

(٢) الصحاح للجوهري (١/ ١٣٠).

استعملوا كلمة (الرب) لغير الله تعالى» [١] .

والله عز وجل هو المالك، المتصرف، الخالق، الرازق، المحيي، المميت، المدبر، السيد، المطاع .. الذي لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون، له صفات الكمال المطلق، ولـه تصرف العبادة، وهو الإله الحق الذي يحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون.

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى الرب:

«السيد الذي لا شبه له، ولا مثل في سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر» [٢] ا.هـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«والرب هو الذي يربي عبده فيعطيه خلقه، ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها» [٣] ا.هـ.

ويقول الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «.. فإن لفظ الرب باعتبار معناه اللغوي مُشْعِرٌ أتم إشعار بإخلاص توحيده، هذا باعتبار معناه الإفرادي دون الإضافي، ثم في معناه الإضافي دلالة أخرى، فإن كونه رب العالمين يدل على

---

(١) الشرك في القديم والحديث أبو بكر محمد زكريا (١/ ٥٩) مكتبة الرشد عام ١٤٢١هـ، وقد استفدت منه في هذا الفصل.

(٢) جامع البيان لابن جرير (١/ ٦١).

(٣) مجموع الفتاوى (١/ ٢٢).

ذلك أبلغ دلالة» [١] ا.هـ.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فاسم الرب له الجمع الجامع لجميع المخلوقات، فهو رب كل شيء وخالقه والقادر عليه، لا يخرج شيء عن ربوبيته، وكل من في السماوات والأرض عبد لـه في قبضته وتحت قهره...» [٢] .

ويقول أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان معنى هذا التوحيد: «.. فيشهد صاحبه قيومية الرب تعالى فوق عرشه، يدبر أمر عباده وحده، فلا خالق ولا رازق، ولا معطي ولا مانع، ولا مميت ولا محيي، ولا مدبر لأمر المملكة – ظاهراً وباطناً – غيره، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يجري حادث إلا بمشيئته، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه. ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا أحصاها علمه، وأحاطت بها قدرته، ونفذت بها مشيئته، واقتضتها حكمته» [٣] ا.هـ.

فعلى هذا يكون الإيمان بتوحيد الربوبية يعني: «الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت، النافع الضار، المتفرد

---

(١) رسالة تتعلق بوجوب توحيد الله، ص١٢، ضمن العَذْب النَّمِير في جواب مسائل عالم بلاد عسير للمؤلف مخطوط بمكتبة الجامعة الإسلامية، نقلاً من منهج الشوكاني في العقيدة د. عبدالله نوسوك (١/ ١٤٩).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٤).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ٥١٠).

بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس لـه في ذلك شريك، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر» [١] .

ومن هنا فإن هذا التوحيد يرتكز على عدة أصول وهي:

١- نفي الشريك عنه سبحانه في الخلق والملك والتدبير وفي جميع صفات الربوبية.

٢- أنه أساس للأنواع الأخرى، فإذا ثبت أنه الملك، فهو إذاً جدير بالعبادة والتوحيد.

٣- انه مركوز في الفطر لا يحتاج إلى دليل أو برهان، إذا سلمت الفطرة من التغيير.

٤- إن المشركين يعترفون به ويقرون به، ولكن إنكارهم إنما هو لتوحيد العبادة.

وللشيطان في هذا التوحيد مكايد عظيمة، وحيل وأساليب لا يستطيع الخلاص منها إلا من نوّر الله بصيرته بالعلم، وعصمه من كيده، وهداه صراطه المستقيم، ومن أبرزها:

---

(١) تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبدالله آل الشيخ، ص١٧، وانظر القول المفيد لابن عثيمين (١/ ٥-٨).

مكايد الشيطان في توحيد الربوبية:

أولا: الانحراف بالفطرة السليمة:

سبق الكلام عن الفطرة في الكتاب الثاني[١] ، وتبين أن كل الخلق مفطورون على الاعتبار بالخالق جل وعلا، وعلى توحيده واللجوء إليه عند الشدائد، وهذه الفطرة تنحرف عن التوحيد بتسلط الشياطين، كما في حديث عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته « أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ

(١) أسباب الانحراف عن الفطرة وعداوة الشيطان لأنبياء الله وبيان مكايده في إيقاع العباد في الكفر والشرك والبدع (الجزء الثاني من سلسلة مكايد الشيطان في مسائل الاعتقاد وطرق التحصين منه).

بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ، قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ «وَذَكَرَ» الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ " وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُو غَسَّانَ فِي حَدِيثِهِ: «وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ»[١].

ومعنى اجتالتهم «أي استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه وجالوا معهم في الباطل» [٢] .

وقيل ا لمعنى: حبستهم عن دينهم وصدتهم عنه [٣] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «إن أحداً لا يقدر على تبديل خلق الله، أي فطرته التي فطر عليها الناس، لكنه سبحانه بمشيئته أقدر الشيطان والأبوين على تغيير الفطرة، فالتبديل هو أن يولد الطفل من أصل ولادته على غير الفطرة، وهذا لا يقدر عليه أحد» [٤] .

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٨/ ١٩٧).

(٣) انظر: المرجع السابق لنفس الجزء والصفحة.

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤١).

يقول الله تعالى – مبينا دور إبليس في تغيير الفطرة – : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ (١) .

ومعنى إناثا: «يعني اللات والعزى ومناة، وكان لكل حي صنم يعبدونه ويقولون أنثى بني فلان، قاله الحسن وابن عباس، واتى مع كل صنم شيطانه يتراءى للسدنة للكهنة ويكلمهم ..» (٢) .

وقيل المعنى مواتاً وقيل الملائكة (٣) .

ومعنى قولـه تعالى: ﴿ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾. «لآمرنّ النصيب المفروض ليس من عبادك بعبادة غيرك من الأوثان والأنداد، حتى ينسكوا له، ويحرّموا ويحللوا له، ويشرعوا غير الذي شرعته لهم فيتبعوني ويخالفوك.

البتك: القطع، وهو في هذا الموضع: قطع أذن البحيرة ليعلم أنها بحيرة، وإنما أراد بذلك الخبيث، أنه يدعوهم إلى البحيرة، فيستجيبون له، ويعملون بها

---

(١) سورة النساء: الآية ١١٧-١٢٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٣٨٧).

(٣) انظر المرجع السابق نفس الجزء والصفحة، وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٩٤-٣٩٥).

طاعة له» [١] .

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ولما كان هذا من فعل الشيطان وأثره أمرنا رسول الله ﷺ أن تستشرف العين والأذن، ولا نضحي بعوراء، ولا مقابلة ولا مدابرة ولا خرقاء ولا شرقاء» [٢] . ا.هـ.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ .

فقيل المراد بخلق الله: دين الله. وقيل: فطرة الله التي فطر الناس عليها، وقيل المراد: خصاء البهائم والرقيق [٣] ، وقيل: الوشم [٤] وقيل: قطع الآذان،

---

(١) جامع البيان لابن جرير (٤/ ٢٨١)، وانظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٩٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٣٨٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٩٠)، وانظر أحكام القرآن لابن العربي(١/ ٦٢٩) تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٣) اختلف العلماء في حكم خصاء البهائم، فأما الآدمي فلا يجوز لأنه مثله، وإذا خصي الآدمي بطلت قوته وانقطع نسله، وهو مأمور بتكثيره. وقال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فأما في الآدمي فمصيبة» ا.هـ.

وأما خصاء البهائم فطائفة رخصت فيه إذا قصد به المنفعة.

ومنهم من كرهه واختار الكراهة ابن المنذر والأوزاعي كما قال القرطبي لثبوت النهي عن ابن عمر.

انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٥/ ٣٩٠-٣٩١)، أحكام القرآن لابن العربي(١/ ٦٣١-٦٣٢).

(٤) الوشم: هو غرز إبرة في الجلد حتى يسيل الدم، ثم يحشى بالكحل أو النورة أو نحوهما فيخضر وتفعله النساء للزينة!! وفيه لعن كما ثبت في الحديث (لعن الله الواشمة والمستوشمة) صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/ ١٠٦).

==

وفقء العين. وقيل: معبوداتهم من الشمس والقمر والأحجار والنار وغيرها خلقها الله تعالى للعبرة و الانتفاع فجعلوها آلهة تعبد [١] .

ولا تنافي بين هذه الأقوال إذ تغيير دين الله يدخل فيه تغيير الفطرة، ويدخل فيه كل ما نهى الله عنه من المعاصي، فالشيطان داعٍ إلى كل معصية [٢] .

ومن وسائله في الانحراف بالفطرة السليمة:

أ- إضلال العباد بشتى وسائل الإضلال – كما سبق في الكتاب الأول – [٣] .

ب- تغيير خلق الله، بدعوتهم إليه وتزيينه في عيونهم. قال تعالى: ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [٤] .

ومن مظاهره:

١- قطع آذان الأنعام، حيث كان المشركون يقومون بقطع أذن البحيرة ليعلم أنها بحيرة، بعد أن دعاهم إلى تحريمها فأطاعوه [٥] .

= =

والمستوشمة: هي التي تفعل لها ذلك. انظر: شرح مسلم للنووي (١٤/ ١٠٦)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٣٩٠).

(١) انظر جامع البيان لابن جرير (٢/ ٢٨٢ – ٢٨٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٣٨٩، ٣٩٤-٣٩٥)، تفسير ابن كثير (٢/ ٣٩٥).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٩٤ – ٣٩٥).

(٣) كتاب حقيقة الشياطين.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٢٠ .

(٥) انظر: جامع البيان لابن جرير (٤/ ٢٨١)، نيل الأوطار للشوكاني (٩/ ٢١)، في ظلال القرآن، سيد قطب (٢/ ٧٦١).

ولهذا أمر النبي ﷺ في الأضحية أن تلحظ العين والأذن، لئلا تكون مقطوعة، أو مشقوقة، فيكون للشيطان فيها نصيب، كما سبق توضيحه[١].

ونهى عن شريطة الشيطان، وهي التي تذبح فيقطع الجلد ولا تفرى الأوداج، ثم تترك حتى تموت، وسميت شريطة الشيطان؛ لأنه وفى للشيطان فيها بشرطه، ولأنه الذي حملهم على فعل ذلك وحسنه لهم [٢] . والأولى قطع الجميع لأنه أسرع لخروج روح الحيوان وأبلغ في سيلان الدم وتنظيف اللحم منه [٣] .

٢- الإخصاء خصاء الرقيق والبهائم – وقد تقدم – [٤] .

٣- حلق اللحى للرجال، والوشم والنمص [٥] والتفليج [١] الذي تفعله

---

(١) انظر ص ٤٠ وما بعدها.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الذبائح، باب: المبالغة في الذبح رقم ٢٨٢٦ (٢/ ١١٣)، التفسير ليس من الحديث كما صرح أبو داود بها من ابن عيسى، ورواه ابن حبان في صحيحه رقم: ٥٨٨٨ (١٣/ ٢٠٥)، والبيهقي في السنن الكبرى رقم: ١٨٩٠٧ (٩/ ٢٧٨).

(٣) الكافي في فقه ابن حنبل لابن قدامة المقدسي (١/ ٤٧٩)، تحقيق: زهير الشاويش، ط. الخامسة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ط. المكتب الإسلامي، بيروت.

(٤) انظر ص

(٥) النمص: هو إزالة شعر الحاجبين وقيل عموم الوجه وهو رأي الطبري واستثنى النووي اللحية والشارب والعنفقة للمرأة، وا ستحب إزالتها إذا نبتت، وعد ابن العربي النمص حتى للعانة فقال: «وأهل مصر ينتفون شعر العانة وهو منه، فإن السنة حلق العانة ونتف الإبط، فأما نتف الفرج فإنه يرخيه ويؤذيه، ويبطل كثيراً من المنفعة فيه» ا.هـ.

==

النساء .

٤ – التشبه بالكفار.

جـ– عبادة غير الله، بدعوى أنهم شفعاء يشفعون للعباد عند الله، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ

= =

أحكام القرآن، لابن العربي (١/ ٦٣١)، وانظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٠٦)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٣٩٠).

* وقد ابتلي بهذا كثيرٌ من نساء المسلمين في هذا الزمان، وأصبح بعض النساء يتحايلون في النمص بأساليب آخر كالتشقير وغيره وقد سئل شيخنا العلامة د. عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين – حفظه الله – عن حكم تشقير الحواجب؟ [أي صبغها بلون أبيض أو أشقر] فأجاب «يقول الله سبحانه وتعالى عن الشيطان: ﴿ وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ ﴾ [النساء: ١١٩]، ويقول النبي ﷺ : (لعنَ الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله) [رواه البخاري رقم: ٤٦٠٤ (٤/ ١٨٥٣)، ومسلم رقم ٢١٢٥ (٣/ ١٦٧٨)] والنمص هو نتف الشعر من الحاجب وكذلك تشقيره وكذلك حلقه وكذلك التفليج الذي هو توسيع ما بين الأسنان وكذلك الوشم – كل ذلك قال فيه (المغيرات خلق الله). لاشك أن هذا فيه تغيير لخلق الله وفيه تدليس وتلبيس وإظهار للزينة المصطنعة فنرى أن كل هذا محرم ...» أ.هـ، مجلة الدعوة، العدد: ١٧٨٥ في ٤ محرم ١٤٢٢هـ.

(١) التفليج: من الفلج وهو الفرجة التي تكون بين الثنايا والرباعيات ومعناه: بَرْد ما بين الأسنان.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وتفعل ذلك العجوز من قاربتها في السن إظهاراً للصغر وحسن الأسنان لأن هذه الفرجة اللطيفة بين الأسنان تكون للبنات الصغار» ا.هـ.

شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٠٦)، وا نظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٣٩٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٦٣١).

بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ (١) .

وقولـه سبحانه: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (٢) .

د- التهويد والتنصير، وما هذه الحملات التنصيرية وأجهزة التبشير إلا وسيلة من وسائل حزب إبليس لإغواء العباد والانحراف بهم عن الفطرة السوية (٣) .

هـ- تحريف الأديان:

قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (٤) .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «أخذ دين المسيح في التبديل والتغيير، حتى تناسخ

---

(١) سورة مريم: الآيات ٨١- ٨٣.

(٢) سورة يس: الآيتان: ٦٠-٦١.

(٣) ذكرت مجلة البيان أنه أنشئ مستشفى تنصيري في عام ١٩٦٥ في قرية (معلوم جات) في منطقة (شتيا جانج) في بنغلادش التي لم يكد يوجد بها نصراني آنذاك، أما الآن فقد بلغ عددهم أربعين ألف نصراني. وكان عدد النصارى في دولة بنغلادش عام ١٩٧٢م مئتا ألف نسمة وارتفع في عام ١٩٩١م أي خلال ١٩ سنة إلى خمسة ملايين» نقلاً من كتاب كيف أخدم الإسلام لعبدالملك القاسم، ص٨ .

(٤) سورة البقرة، الآية: ٧٩ .

واضمحلَّ، ولم يبق بأيدي النصارى منه شيء، بل ركبوا ديناً بين دين المسيح ودين الفلاسفة عباد الأصنام وراموا بذلك أن يتلطفوا للأمم حتى يدخلوهم في النصرانية، فنقلوهم من عبادة الأصنام المجسدة إلى عبادة الصور التي لا أصل [١] لها، ونقلوهم من السجود للشمس إلى السجود إلى جهة المشرق، ونقولهم من القول باتحاد العاقل والمعقول والعقل إلى القول باتحاد الأب والابن وروح القدس» [٢] ا.هـ.

ولهذا من انحرف بهم إبليس عن الفطرة وغيّرها، قد يحتاجون إلى نصب الأدلة والبراهين ليقروا بالخالق سبحانه وتعالى، الذي كان إيمانهم به قبل التغيير، وفي حال سلامة الفطرة ضرورياً مسلماً [٣] .

ثانياً: التعطيل:

وهذا يشمل تعطيل ذاته ووجوده سبحانه وتعالى بالكلية كتعطيل فرعون وقولـه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ﴾ [٤] . وتعطيل الملاحدة، والدهرية ومن هؤلاء الوجودية [٥] .

---

(١) كذا في الكتاب وأظنه خطأ مطبعي، ومما يفهم من السياق أنها «لا ظل» والله أعلم.

(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ٣٨٤) ط. المكتب الإسلامي.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٧٣).

(٤) سورة البقرة، آية: ٣٨ .

(٥) الوجودية: مذهب فلسفي إلحادي يعلي من قيمة الإنسان، وينكر وجود الله ورسله وكتبه وكل الغيبيات، وكل ما جاءت به الأديان، تشيع عندهم الفوضى الخلقية والإباحية الجنسية والفساد، انظر:

= =

ويشمل تعطيل الله سبحانه وتعالى عن الكمال اللائق به، ونفي ما له من صفات وأسماء، كما هو عليه المعطلة من الفلاسفة والجهمية ومن سار على نهجهم [١] وسيأتي في المبحث القادم – إن شاء الله – .

ووسيلته في ذلك التشكيك والوسوسة كما سبق [٢] .

وفي الحديث «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته»[٣] .

وفي الحديث الآخر «لن يدع الشيطان أن يأتي أحدكم فيقول: من خلق السماوات والأرض؟ فيقول: الله. فيقول من خلقك؟ فيقول: الله، فيقول: من خلق الله؟ فإذا أحس أحدكم بذلك فليقل: آمنت بالله ورسله» .

قال عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إياكم وما يحدث الناس من البدع، فإن الدين لا يذهب من القلوب بمرة، ولكن الشيطان يحدث لـه بدعاً حتى يخرج الإيمان من قلبه، ويوشك أن يدع الناس ما ألزمهم الله من فرضه في

= =

الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب ٥٤٣ ، الموجز في الأديان والمذاهب، تأليف: د. نصار القفاري ود ناصر العقل، ص ١١٦-١١٩.

(١) انظر إغاثة اللهفان (٢/ ٣٨٢)، ط. المكتب الإسلامي، والموسوعة الميسرة ص٥٤٣، والمذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ص٢١٥، وكواشف زيوف لعبدالرحمن حنبكة ص٣٦٢ .

(٢) الكتاب الثاني من سلسلة مكايد الشيطان في مسائل الاعتقاد (أسباب الانحراف عن الفطرة وعداوة الشيطان لأنبياء الله وبيان مكايده في إيقاع العباد في الكفر والشرك والبدع).

(٣) رواه البخاري (٣٢٧٦) ومسلم(١٣٤).

الصلاة والصيام والحلال والحرام، ويتكلمون في ربهم عز وجل، فمن أدرك ذلك الزمان فليهرب قيل: يا أبا عبدالرحمن: فإلى أين؟ قال: إلى لا أين (قال: يهرب بقلبه ودينه، لا يجالس أحداً من أهل البدع [١] .

ثالثاً: الشرك في الربوبية:

وهو نوع من تعطيل الربوبية، ومن أمثلته:

١- شرك المجوس [٢] : الذي كاد لهم الشيطان وسول لهم، فجعلوا للعالم الهين وصانعين، إله الخير والنور، وإله الظلمة والشر.

٢- شرك الصابئة الحرانية [٣] الذين يدعون تأثير الكواكب السماوية في الحوادث الأرضية.

٣- شرك النصارى الذين نسبوا لله الصاحبة والولد، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ**

---

(١) رواه أبو القاسم اللالكائي (٢/ ١٢١)، تحقيق د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة.

(٢) المجوسية: ديانة وثنية تؤمن بوجود إلهين هما إله النور الأزلي، والظلمة المحلكة، وهم فرق متعددة ولهم اعتقادات كثيرة منها تناسخ الأرواح، وأن الناس شركاء في الأموال والنساء وسائر اللذات.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٧٣)، الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٧٦.

(٣) الصائبة الحرانيون، طائفة يقدس أصحابها الكواكب والنجوم، يزعمون أن يحيى عليه السلام أرسل إليهم، لهم اعتقادات وعبادات كالتعميد ولهم صلوات تؤدى ثلاث مرات في اليوم وصيام ويعظمون يوم الأحد كالنصارى.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٤٩-٥٧)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازي، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، ص٣١٧ وما بعدها.

ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (١) .

٤- شرك الصوفية القائلين بوحدة الوجود كما هو عند غلاة الصوفية، وسيأتي – إن شاء الله – في الفصل الرابع (٢) .

رابعاً: التكذيب بالقضاء والقدر:

القضاء في اللغة: أصله قضايٌ لأنه من قضيت، إلا إن الياء لما جاءت بعد الألف همزت والجمع الأقضية» (٣) .

ومن معانيه في اللغة الحكم (٤) ، وهو من أوضح معاني القضاء وأشدها ارتباطاً به، ويأتي بمعنى الوجوب والوقوع (٥) ، قال تعالى: ﴿ **قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ** ﴾ (٦) وبمعنى الإكمال والإتمام (٧) ومنه قوله تعالى: ﴿

(١) سورة التوبة: آية ٣١ .

(٢) انظر ص ٦٧٤ .

(٣) الصحاح للجوهري (٦/ ٢٤٦٣)، وانظر لسان العرب (١٥/ ١٨٦).

(٤) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤/ ٧٨)، وانظر: الصحاح (٦/ ٢٤٦٣)، لسان العرب لابن منظور (١/ ١٨٦).

(٥) انظر بصائر ذوي التمييز (٤/ ٢٧٧).

(٦) سورة يوسف، الآية: ٤١ .

(٧) انظر: الصحاح (٦/ ٢٤٦٣)، لسان العر ب(١٥/ ١٨٧)، بصائر ذوي التمييز (٤/ ٢٧٧).

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ [١] الآية ويأتي أيضاً بمعنى الأمر وله معانٍ أخرى [٢] .

وأما القدر فهو «مصدر قدَّر، يَقدرُ قَدَراً، وقد تسكَّن داله» [٣] ومن معانيه الحكم والقضاء، والشرف، العظمة [٤] ومنه قولـه تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [٥] ، ويأتي بمعنى التضييق في المكان أو الرزق [٦] ففي المكان كما في قولـه تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [٧] وفي الرزق كما في قولـه تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [٨] . ويأتي بمعنى التقدير والقدرة والقوة وغيرها [٩] .

---

(١) سورة القصص، الآية: ٢٩ .

(٢) انظر: لسان العرب (١٥/ ١٨٦)، بصائر ذوي التمييز (٤/ ٢٧٦-٢٧٨)، الصحاح (٦/ ٢٤٦٣ - ٢٤٦٤)، مختار الصحاح، ص٢٦٦.

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤/ ٢٢).

(٤) انظر: الصحاح (٢/ ٧٨٦)، المفردات للراغب ص٣٩٥، النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٢)، لسان العرب (٥/ ٧٤)، بصائر ذوي التمييز (٤/ ٢٤٣).

(٥) سورة القدر، الآية: ١ .

(٦) انظر بصائر ذوي التمييز (٤/ ٢٤٣).

(٧) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧، وللآية معانٍ أخرى.

(٨) سورة الطلاق، الآية: ٧ .

(٩) انظر الصحاح للجوهري (٢/ ٧٨٦-٧٨٧)، لسان العرب (٥/ ٧٤ وما بعدها)، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤/ ٢٣)، بصائر ذوي التمييز (٤/ ٢٤٣-٢٤٦)، المفردات ص٣٩٥.

وأما تعريفه في الشرع:

هناك من العلماء من جعل القضاء والقدر بمعنى واحد، وهناك من ذكر بينهما فروقاً فقيل: «القضاء من الله أخص من القدر؛ لأنه الفصل بين التقدير، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع» [١] .

وقيل: القدر قبل وقوعه يمكن دفعه، بخلاف القضاء فلا راد له [٢] .

وقيل: «القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله» [٣] ولا دليل فاصل بين القولين [٤] والله أعلم.

والإيمان بالقضاء والقدر يعني الإيمان بعلم الله بما الخلق عاملون، بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً، وكتابته في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء، ثم الإيمان بمشيئته تعالى، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن ووقوعهما على التقدير السابق زماناً، وصفةً. وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة [٥] وهي مراتب القدر الأربع كما يلي:

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب، ص٤٠٦-٤٠٧.

(٢) انظر المرجع السابق، ص٤٠٧.

(٣) فتح الباري (١١/ ٤٨٦)، وانظر الدين الخالص (٣/ ١٥٤).

(٤) انظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة للشيخ د. عبدالرحمن المحمود، ص٩-٢٢، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود – قسم العقيدة.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٨ – ١٤٩)، (٨/ ٤٤٩، ٤٥٢، ٤٥٩)، والواسطية ص٢٢ – ٢٣، التدمرية ص٢٠٩، شرح العقيدة الطحاوية ص٢٥١، لوامع الأنوار للسفاريني (١/ ٣٤٨).

المرتبة الأولى: العلم، ومعناه الإيمان بأن الله تعالى يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهو تعالى يعلم ما الخلق عاملون وعلم أحوالهم، وآجالهم، وأرزاقهم، وهو متصف بهذا العلم أزلاً وأبدا، وهذا ما اتفقت عليه هذه الأمة، ولم ينكره إلا فرقة القدرية [١] الضالة التي ظهرت في أواخر عهد الصحابة. ومن الأدلة عليها قوله تعالى: ﴿ **وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ** ﴾ [٢] .

ومنكر هذه المرتبة كافر بالإجماع [٣] .

---

(١) القدرية: نفاة القدر، وأول من قال بنفي القدر معبد الجهني كما ذكرت أكثر المصادر وقتل صبراً في زمن الحجاج عند خروجه مع ابن الأشعث، وقيل أنه مات مصلوباً بدمشق لبدعته في القدر والقدرية قسمان: ١- فرقة الغلاة نفاة العلم السابق، وأن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها وأن الأمر أنف. ٢- فرقة القدرية المجوسية نفاة المشيئة وا لخلق وهم جمهور المعتزلة ومن وافقهم من الخوارج والمرجئة والشيعة. انظر: الفصل في الملل والنحل لابن حزم (٣/ ٨٢)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٣٠)، (١/ ٤٥)، مجموع الفتاوى (٧/ ٢٦٤)، ميزان الاعتدال (٤/ ١٤١)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٠٣-٢٠٤).

(٢) سورة يونس، الآية: ٦١.

(٣) انظر: السنة للخلال ص٥٢٩ – ٥٣٠، تحقيق د. عطية الزهراني ط. الأولى ١٤١٠ – ١٩٨٩م، دار الراية، الإبانة للأشعري ص٢٠٣، شرح أصول الاعتقاد للألكائي (٤/ ٧٠٦ وما بعدها) مجموع
==

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة، ومعناها أن الله تعالى كتب مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ، وعلى ذلك أجمع الصحابة والتابعون، وجميع أهل السنة والحديث [١] .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء) [٢] .

والأدلة على هذه المرتبة من الكتاب والسنة كثيرة جداً [٣] .

المرتبة الثالثة: المشيئة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والعيان .. والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن»[٤]ا.هـ.

والإيمان بها إيمان بحقيقة الربوبية، إذ لا يجري في الكون إلا ما يشاؤه الرب

==
الفتاوى(٨/ ٤٩١-٤٩٧)، شفاء العليل ص٥٥-٦٣، معارج القبول (٢/ ٣٢٨) و(٣/ ٩٢٠-٩٢٣).

(١) انظر شفاء العليل لابن القيم، ص٧٧ .

(٢) رواه مسلم في كتاب القدر، رقم: ٢٦٥٣ (٤/ ٢٠٤٤).

(٣) انظر: شفاء العليل من ص٧٣ إلى ص٧٩، معارج القبول (٣/ ٩٢٤-٩٤٠).

(٤) شفاء العليل لابن القيم ص٨٠ .

تعالى، فالخلق خلقه، والعباد عباده، والرزق رزقه، والعطاء عطاؤه والمنع منعه، إذ لا مالك غيره، ولا رب سواه [١] .

وهذه المشيئة متعلقة بالأمر الكوني القدري، وهي مستلزمة لوقوع المراد، ولا يلزم منها الحب والبغض، كما شاء الله تعالى خلق الشيطان والكفار وهو يبغضهم، وكذلك خلقه من الأفعال ما يبغضه ويسخطه، كالكفر والشرك والنفاق، فهو سبحانه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، لا يسأل عما يفعل.

وأما المحبة والرضا فمتعلقها أمره الديني، وهذا لا يستلزم الوقوع، إذ قد يحب الله تعالى أمراً، ولا يشاؤه، فلا يقع لعدم المشيئة، قد يشاؤه ويحبه فيقع[٢] والأدلة عليها من الكتاب والسنة كثيرة جداً، وقد عقد البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه باباً في المشيئة والإرادة [٣]. قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ [٤] ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُۚ ﴾ [٥] ، وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ

(١) انظر المرجع السابق ص٨٠-٩٠ .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ١٨٨-١٩٠)، (٨/ ١٩٧-٢٠٠)، ومنهاج السنة لابن تيمية (٣/ ١٦-١٧) (٣/ ١٨٠، ١٥٦-١٥٨)، شفاء العليل ص٨٨-٩٠ وص٤٤٥ - ٤٤٨، وفتح الباري (١٣/ ٤٥٨-٤٥٩)، لوامع الأنوار للسفاريني (١/ ٣٣٨-٣٣٩).

(٣) انظر صحيح البخاري كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة (٦/ ٢٧١٥).

(٤) سورة الإنسان، الآية: ٣٠.

(٥) سورة القصص، الآية: ٥٦.

﴾[١]

المرتبة الرابعة: الخلق، وتعني الإيمان بأن الله خالق كل شيء، فما في ذلك أفعال العباد، وقدرهم، وآجالهم، وهذه المرتبة اتفق عليها أهل الإسلام واتفقت عليها الكتب الإلهية، ونازع فيها والتي قبلها طوائف من القدرية [٢] – كما سبق – .

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾[٣] .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وهذا عام محفوظ لا يخرج عنه شيء من العالم أعيانه وأفعاله، وحركاته وسكناته، وليس مخصوصاً بذاته وصفاته، فإن الخالق بذاته وصفاته وما سواه مخلوق له» [٤] ا.هـ.

ومنكر هذه المرتبة مبتدع ضال، ولا يحكم بكفره، ما لم ينكر العلم[٥] ولا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٢) انظر:منهاج السنة لابن تيمية (٣/ ١٢-١٣)، و(٣/ ١٢٨، ١٢٩)، وشفاء العليل لابن القيم ص٩١ .

(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٢ .

(٤) شفاء العليل، ص٩٧ .

(٥) انظر الإيمان لابن تيمية ص٣٦٩، تخريج العلامة ناصر الدين الألباني، ط. عام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، المكتب الإسلامي، بيروت.

يكتمل إيمان العبد، إلا بإيمانه بها جميعاً [١] .

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وأهل الحل والعقد، من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى» [٢] ا.هـ.

وقال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «الإيمان بالقدر خيره وشره فهي الخصلة العظمى التي تتفاوت فيها الأقوام بكثير من الدرجات، فمن رسخ قدمه في هذه الخصلة ارتفعت طبقته في الإيمان» [٣] ا.هـ.

وللشيطان في القضاء والقدر مكايد واضحة:

فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا، كان

---

(١) انظر: الواسطية لابن تيمية ص٢٢-٢٣، جامع الحلوم والحكم لابن رجب (١/ ١٠٣-١٠٤)، لمعة الاعتقاد مع شرحها لابن عثيمين ص٩٢-٩٣، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة د. عبدالرحمن المحمود ص٢٣-٥٨.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ١٥٥).

(٣) قطر الولي على حديث الولي ص٤١٣ للشوكاني، تحقيق د. إبراهيم هلال مطبعة حسان، نشر دار الكتب.

كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان) [١] .
وفي رواية ابن حبان (وإياك واللو فإن اللو تفتح عمل الشيطان)[٢].
ومعنى فإن لو تفتح عمل الشيطان «أي من الجزع والعجز واللوم والسخط من القضاء والقدر، ونحو ذلك، ولهذا من قالها على وجه النهي عنه فإن سلم من التكذيب بالقضاء والقدر لم يسلم من المعاندة له واعتقاد أنه لو فعل ما زعم لم يقع المقدور .. وهذا من عمل الشيطان» [٣] .
حيث «يلقى في القلب معارضة القدر ويوسوس به» [٤] .
والحديث فيه حث على مباشرة الأسباب النافعة في دينه ودنياه سواء واجبة أو مستحبة أو مباحة، ويكون عند مباشرتها متعلقاً قلبه بالله مستعيناً به. ونهاه عن العجز وأمره بالتسليم لقضاء الله وقدره صابراً محتسباً، حتى لا يقع في مصيدة الشيطان ووسوسته، فيكذب بالقدر[٥].
قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغنى عنه أبداً بل هو أشد شيء إليه ضرورة، وهو يتضمن إثبات القدر، والكسب والاختيار

(١) رواه مسلم في كتاب القدر، رقم: ٢٦٦٤، (٤/ ٢٠٥٢)، وابن ماجه في المقدمة رقم: ٧٩ (١/ ٣١).
(٢) رواه ابن حبان في صحيحه رقم: ٥٧٢١ (١٣/ ٢٨).
(٣) شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ص٦٠٢.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ٢١٦).
(٥) انظر فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، ص ٥٣٨-٥٤٢.

والقيام بالعبودية ظاهراً وباطناً في حالتي حصول المطلوب وعدمه»[١] ا.هـ.

وإذا فات العبد أمر من أموره، فله في تلقي الأمر حالتان:

الأولى: رفض وجزع وتسخط يفضي به إلى العجز الذي هو مفتاح عمل الشيطان، والعجز ينافي الحرص، والعاجز قاعد عن الأسباب غير مستعين بالله.

الثاني: تسليم ورضا، ونظر إلى القدر، وأنه لو لم يشأ الله لم يقع، وهذا هو الحرص على ما ينفع العبد، والإعراض عما لا يفيده من التألم لفوات المقدور[٢]، مادام أنه فعله على الوجه المأمور به شرعاً.

روي عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه» [٣].

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (القدر نظام التوحيد فمن وحد الله عز وجل وكذب بالقدر، كان تكذيبه بالقدر نقضاً للتوحيد، ومن وحد الله وآمن

---

(١) شفاء العليل ص١٩.

(٢) انظر المرجع السابق، الصفحة نفسها، وشرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالله بن سليمان بن محمد بن عبدالوهاب، ص٦٠٠، والقول المفيد لابن عثيمين (٣/ ١٣٢).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٦/ ٤٤١-٤٤٢)، وأبو عاصم في السنة رقم: ٢٤٧٦ (١/ ١١٠) وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في تخريجه: حديث صحيح، رجاله ثقات على ضعف هشام، ولكنه قد توبع ولحديثه شواهد» ا.هـ ظلال الجنة (١/ ١١٠).

بالقدر، كانت العروة الوثقى) [١] .

وتظهر مكايد الشيطان وأساليبه في التكذيب بالقدر في عدة مسائل:

الأولى: الاعتراض على الشرع

كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [٢] .

وهذه الآية نزلت في عبدالله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين عندما تخلف عن غزوة أحد، ورجع بثلث جيش المسلمين، فلما انتهت الغزوة واستشهد من استشهد من المؤمنين قال المنافقون لو سمع أولئك مشورتنا ما قتلوا، فرد الله تعالى مقولتهم هذه مكذباً لهم في اعتراضهم على الشرع بأن يدفعوا عن أنفسهم الموت، وهو لا شك آت إليهم ولو كانوا في بروج مشيدة [٣] .

وسيأتي لذلك مزيد إيضاح في الفصل القادم إن شاء الله [٤] .

---

(١) رواه الآجُرِّي في الشريعة ص٢١، و اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد رقم: ١١١٢ (٣/ ٦٢٣) من طريق أخرى، ورواه أيضاً برقم: ١٢٢٤ (٤/ ٦٧٠) بأطول منه، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٩٧)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه هانئ بن المتوكل وهو ضعيف» ا.هـ. وقال الألباني: «ضعيف موقوفاً ومرفوعاً» ا.هـ تخريج العقيدة الطحاوية ص٢٥٠، قلت: وإن كان ضعيفاً فمعناه صحيح تدل عليه الأدلة الصحيحة.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٨ .

(٣) انظر: تفسير القرآن لابن كثير (٢/ ١٥٢)، فتح المجيد، ص٥٣٨، القول المفيد لابن عثيمين (٣/ ١٢٢-١٢٣).

(٤) انظر ص ٣٧٨-٣٧٩ .

الثانية: الاعتراض على القدر

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ﴾ [١] . حيث كان المشركون يعترضون على ما أصاب إخوانهم في السفر أو الغزو ويقولون لو قعدوا عندنا ما أصابهم الموت، وفي هذا اعتراض على قدر الله، مع نفوذه فجعل الله ذلك في قلوبهم حسرة وندم [٢] .

ومنه قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ ﴾ [٣] .

وفي الآية اعتراض على الشرع أيضاً لعتابهم للرسول ﷺ على خروجه بدون موافقتهم [٤] .

الثالثة: الندم والحسرة

كما في الحديث (وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا فإن «لو» تفتح عمل الشيطان) [٥] .

وهذا الندم والحسرة يؤديان إلى انقباض النفس وكسلها، وربما أقعدها عن

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٦.

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ١٤٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤ .

(٤) انظر القول المفيد لابن عثيمين (٣/ ١٢٥).

(٥) رواه مسلم (٢٦٦٤) وابن ماجه (٤١٦٨).

السير، وهو ما يهدف إليه الشيطان، ولهذا حث الرسول ﷺ على الاستعانة بالله وعدم العجز [١] .

ولا يدخل في ذلك تمني الخير كما في الحديث في قصة النفر الأربعة الذين قال أحدهم (لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء...) [٢] الحديث.

وما لا يقع كقول الرسول ﷺ : (لو لا حدثان عهد قومك بالكفر لنقضت البيت ثم لبنيته على أساس إبراهيم فإن قريشاً استنصرت بناءه وجعلت له خلفاً)[٣] فهذا من المستقبل الذي لم يقع، ولا اعتراض فيه على القدر فلا كراهة فيه[٤] .

كما لا يدخل فيه «التأسف على أمور الدين ومصالح الشرع» [٥] كقول الرسول ﷺ : (لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي

---

(١) انظر القول المفيد لابن عثيمين (٣/ ١٢٣).

(٢) رواه الإمام أحمد (٤/ ٢٣٠ – ٢٣١) والترمذي في كتاب الزهد، باب: ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر رقم: ٢٣٢٦ (٧/ ٨١) وقال: «حسن صحيح» ا.هـ، واللفظ له، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب: النية، رقم: ٤٢٢٨ (٢/ ١٤١٣) عن أبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري.

(٣) رواه البخاري في كتاب: «الحج»، باب: (فضل مكة وبنيانها)، رقم: ١٥٠٨ (٢/ ٥٧٤)، ومسلم في كتاب: «الحج» رقم: ١٣٣٣ (٢/ ٩٧٢).

(٤) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ٢١٦).

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (٨/ ١٥٥-١٥٦)، وانظر القول المفيد (٣/ ١٢٤).

معي حتى اشتريته ثم أحل) [١] .

الرابعة: نفي خلق الله لأفعال العباد

وهو قول القدرية المجوسية – كما سيأتي إن شاء الله – [٢] .

حيث نسبوا الفعل للعبد، وقالوا إنه يخلق فعله، وإن الله لا يخلق في العبد الكفر والمعاصي، واستدلوا بأدلة نقلية وعقلية.

منها: قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾[٣] . فقالوا «فقد خبر الله أنه هدى ثمود الكفار، فلم يهتدوا، فأخذتهم الصاعقة بكفرهم»[٤] .

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [٥] .

فقالوا: إن الله أثبت مشيئة للعبد.

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن

---

(١) رواه البخاري في كتاب: « »، باب: (قول النبي ﷺ : لو استقبلت من أمري ما استدبرت) رقم: ٦٨٠٢، ورواه مسلم في كتاب الحج، رقم:١٢١١ (٢/ ٨٧٩) واللفظ لـه.

(٢) انظر ص ٧٦٦.

(٣) سورة فصلت، الآية: ١٧ .

(٤) رسالة إنقاذ البشر من الجبر والقدر، ضمن رسائل العدل والتوحيد (١/ ٣٢٤).

(٥) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [١] .

فقالوا: «إن العباد يصدر منهم الإيمان والكفر، فدل على أنهم يخلقون أفعالهم»[٢].

فقالوا: «فلو كان الإيمان من جهة الله تعالى وموقوفاً على اختياره، حتى إن خلق كان،وإن لم يخلق لم يكن، لكان لا يكون لهذا الكلام معنى؛ لأن للمكلف أن يقول: الذي منعني منه أنك تخلقه فيَّ، وخلقت فيَّ ضده الذي هو الكفر» [٣] .

وهذه الأدلة النقلية استدلوا بها لأنها توافق العقل، وإلا فهم يقولون إن هذه المسألة لا يستدل عليها بالسمع – على حد زعمهم – بناء على منهجهم في تقديم العقل على النقل [٤] .

وأما الأدلة العقلية فلهم شبهات كثيرة زيَّنها لهم الشيطان، منها قوله: «لو أراد المعاصي، والقبائح والكفر لوجب أن يكونوا مطيعين لله تعالى

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩٤ .

(٢) انظر: رسالة إنقاذ البشر من الجبرو القدر، ضمن رسائل العدل والتوحيد (١/ ٣٢٤)، شرح الأصول الخمسة ص٣٥٤-٣٥٥، الرد على المجبرة ضمن رسائل العدل والتوحيد (٢/ ٣٩ وما بعدها).

(٣) شرح الأصول الخمسة ص٣٦٠، وانظر في سرد أدلتهم النقلية رسالة الرد على المجبرة ضمن رسائل العدل والتوحيد (٢/ ٣٩) وما بعدها.

(٤) انظر شرح الأصول الخمسة ص٣٥٤ – ٣٥٥.

بمعاصيهم؛ لأنهم فعلوا ما أراد الله تعالى» [١] .

وقولهم: إنه تعالى لو خلق الأفعال بما فيها من ظلم ونسق، لوجب كونه تعالى ظالماً جائراً [٢] !!

وبالتأمل في أدلة القدرية يتبين لنا أن هناك عدة أسباب هي سبب ضلالهم وانحرافهم عن الحق:

منها: عدم استطاعتهم أن يجمعوا بين العدل والقدر، لأن القدر عندهم أن يعاقب العبد على ما قضاه الله وقدره عليه، والعدل ينافي ذلك – على زعمهم – فنفوا القدر ليثبتوا العدل، فصار عدلهم تكذيباً بالقدر، كما أن توحيدهم نفي الصفات وتعطيل الكمال [٣] .

ومنها: اعتقادهم أن الإرادة تستلزم الأمر، فما أراده الله تعالى فقد أمر به، ولم يفرقوا بين الإرادة الكونية القدرية، والإرادة الشرعية الدينية المستلزمة للأمر، ويبطل قولهم هذا إجماع المسلمين على أن الله لم يأمر بالسرقة، ومن قال بذلك كفر، ومع ذلك إذا سرق فلا يقال: إن الله تعالى لم يرد سرقته، ولكن نقول: علم الله تعالى ذلك وشاءه، ومع ذلك جعل للعبد قرة واختياراً على

---

(١) المرجع السابق ص٤٦٠، وانظر رسالة الرد على المجبرة (٢/ ٥٨) وما بعدها.

(٢) انظر شرح الأصول الخمسة ص٣٤٥، وانظر أدلتهم العقلية في رسالة الرد على المجبرة ضمن رسائل العدل والتوحيد (٢/ ٥٤) وما بعدها.

(٣) الفوائد لابن القيم ص٤٨ .

الفعل، وهو مسؤول عن عمله ومعاقب عليه وإقامة الحد عليه بقدر الله [١] .

ومنها: قولهم بنفي نسبة القبيح إلى الله تعالى، وهو ضلال، لأن الفعل القبيح ينسب إلى الله تعالى خلقاً لا فعلاً، فالخلق غير المخلوق، والفعل غير المفعول، وإلا لزم إثبات خالق مع الله [٢] .

ويرد عليهم بقولـه تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٣] .

وقولـه تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [٤] .

ووجه الدلالة: إن الهداية المذكورة في الآيتين هي هداية التوفيق [٥] وهي

---

(١) انظر: منهاج السنة (٣/ ٢٢٩-٢٣٠)، شفاء العليل ص٤٦٥، لمعة الاعتقاد مع شرحه لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ص٩٥ .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٥١١)، شفاء العليل ص١٥٥.

(٣) سورة يونس، الآية: ٣٣ .

(٤) سورة يونس، الآية: ٩٦.

(٥) الهداية في كتاب الله تعالى على أربع مراتب كما ذكره المحققون من العلماء:

المرتبة الأولى: الهداية العامة، وهي هداية كل مخلوق لما يصلح أمور معاشه،وهي أعم المراتب، وهي شاملة لجميع المخلوقات ودليلها قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ طه، الآية: ٥٠.

==

تستلزم أمرين:

الأول: فعل الرب تعالى، وهو الهدى.

الثاني: فعل العبد وهو الاهتداء، وهو أثر فعله سبحانه فهو الهادي والعبد المهتدي، ولا سبيل إلى وجود الأثر إلا بمؤثره التام، فإن لم يحصل فعله لم يحصل فعل العبد، ولهذا قال تعالى: ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ

==

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير هذه الآية: «يعني نظير خلقه في الصورة والهيئة كالذكور من بني آدم، أعطاهم نظير خلقهم من الإناث أزواجاً، وكالذكور من البهائم، أعطاها نظير خلقها، وفي صورتها وهيئتها من الإناث أزواجاً، فلم يعط الإنسان خلاف خلقه .. ثم هداهم للمأتى الذي منه النسل والنماء كيف يأتيه، ولسائر منافعه من المطاعم والمشارب» ا.هـ، جامع البيان (١٦/ ١٧١).

المرتبة الثانية: هداية الإرشاد والدعوة والبيان، وهي أخص من التي قبلها حيث إنها مختصة بالمكلفين من الخلق، وا لمراد بها دعوة الخلق وبيان الحق لهم، وهي حجة الله على خلقه فلا يعذب أحداً إلا بعد إرسال الرسل وإنزال الكتب قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥].

وهذه الهداية هي التي أثبتها الله عز وجل لنبيه في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى:٥٢].

وهي ثابتة من بعده للعلماء، والدعاة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ولكن تحقق الهداية الخاصة ليس موجباً، ولكنها شرط في حصولها أي هداية البيان والإرشاد، وتخلف الهداية الخاصة، إما لوجود مانع، أو لعدم كمال السبب، ولكن حجة الله قائمة بهذه الهداية بعدة أمور:

١- في الآيات السمعية وهي متمثلة فيما يلي:

أ- إرسال الرسل.

ب- إنزال الكتب.

مُؤْمِنِينَ ﴾ [1] . وفي هذا بيان أن الله تعالى إذا أراد إضلال عبد لم يستطع

٢- في الآيات الكونية والنظر في الآفاق، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس:١١٠].

٣- بيان الصراط المستقيم، وإقامة أسباب الهداية، باطناً وظاهراً، ومن لم تكتمل عنده هذه الأسباب لصغر أو زوال عقل، أو نحو ذلك فهؤلاء رفع عنهم التكليف، ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما في وسعهم. قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس: ٢٥].

انظر: أصول الدين للبغدادي ١٤١-١٤٢، المفردات للراغب ص٥٣٨، شفاء العليل ١٣٩ – ١٤١، مدارج السالكين (١/ ٤٢-٤٣).

المرتبة الثالثة: هداية التوفيق والإلهام وخلق المشيئة المستلزمة للفعل وهذه لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى، فمن شاء هدايته اهتدى، ومن شاء ضلاله ضل، وهي أخص مما قبلها إذ هي خاصة للمهتدين من المكلفين، وهي حتمية الوقوع وهي التي نفاها تعالى عن رسوله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦].

ومن أدلتها في القرآن، قوله تعالى﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٩-١٠٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ فصلت:١٧].فهداهم في الهداية الأولى هداية البيان والإرشاد، فأعرضوا عنها، لم يقبلوها فعاقبهم الله تعالى بالضلال جزاء إعراضهم وردهم الحق.

وهذه المرتبة التي ضلَّ فيها القدرية والجبرية كما سيأتي إن شاء الله.

انظر: شفاء العليل ص١٤١، مدارج السالكين (١/ ٤٣) المفردات للراغب ص٥٣٨ .

==

أحد هدايته وهذا ما اتفق عليه أهل السنة [١] .

وفي قولـه تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾.

رد عليهم أيضاً إذ لو كان المراد هداية البيان والإرشاد، لما صح تقييدها بالمشيئة، إذ هي عامة لجميع الخلق، فدل تقييدها بالمشيئة على أنها خاصة لمن آمن واتبع ما أمره الله [٢] .

وقد نفى الله عز وجل القدرة على الهداية عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [٣] . فلو أعطاها الله لأحد لكان أحق بها رسول الله ﷺ ، فالعبد الفقير أعجز من باب أولى عن خلق أي عمل من أعماله، بل هو مخلوق بعمله، وقدرته وإرادته، فتبين أن الله تعالى هو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ومن قال: إن ذلك

= =

المرتبة الرابعة: الهداية إلى طريق الجنة أو طريق النار – والعياذ بالله – وهذه الهداية تكون في الآخرة بعد الحساب والجزاء. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ [محمد:٤-٥] . فهذه الهداية حاصلة لهم بعد قتلهم، فدلَّ على أن المراد بها هداية إلى طريق الجنة على القول الراجح، انظر شفاء العليل ص١٤٨، وانظر جامع البيان (١١/ ٨٨-٨٩)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٤٨٦).

(١) سورة يونس، الآية: ٩٩ .

(١) انظر شفاء العليل ص١٤١، درء تعارض العقل، والنقل لابن تيمية (٨/ ٣٧٩).

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص١٠٨-١٠٩، الإبانة للأشعري ص١٩١.

(٣) سورة القصص، الآية: ٥٦ .

للعبد، فقد جعل العبد قادراً على ما يقدر عليه الله تعالى من القدرة والسلطان، ونظيره قول من قال: إن الله أعطى العباد علم ما لم يعلمه، وهذا محال، فكذلك القدرة لا يقدرهم على ما لا يقدر عليه، فمن فرق بينهما فعليه الدليل [١] .

وإذا جاز عندهم أن يثبت العبد على فعله الاختياري الذي هو بتوفيق الله لـه، فلم لا يجوز أن ينعم عليه ابتداء بتوفيقه لهذا العمل واختياره للهدى دون الضلال [٢] ولو سأل سائل هل يكون الإيمان مقدوراً للعبد الذي لم يشأ الله له الإيمان؟ فالجواب على ذلك أن يقال:

إن القدرة التي هي شرط في الأمر موجودة لدى الكافر والمؤمن قبل الفعل، وهي مناط التكليف، وتكون موجودة مع المؤمن عند الفعل، وهو الصحيح أن القدرة توجد قبل الفعل ومعه كما قرر ذلك شيخ الإسلام[٣] ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ . وأما القدرة التي هي مستلزمة للفعل فلا توجد إلا مع الفعل وهي مختصة بالمطيع، وليست شرطاً في التكليف، فالقدرة الأولى عدلـه أعطاه تعالى جميع خلقه ولم يكلفهم بما لا يطيقون، والثانية فضله يختص به من يشاء، وعلى هذا اتفق علماء السلف والدليل على ذلك قولـه تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ

(١) انظر: الإبانة للأشعري ص١٦٧، ٢٠٩، ٢١٠، الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤١٤-٤١٥).

(٢) انظر: منهاج السنة (٣/ ٢٦٣-٢٦٤).

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٨/ ٣٧١ وما بعدها).

حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ (١) .

فدل على أن الله تعالى اختص المؤمنين بمزيد فضل، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (٢) .

وإضلال الله تعالى للعبد نوعان:

الأول: ما يكون جزاء للكافر على كفره وإعراضه عن الحق، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ (٣) .

الثاني: ما يفعله الله تعالى بالعبد ابتداء، لعلمه السابق أنه لا يقدر نعمة الهداية، ولا يؤدي حق الله تعالى عليه في شكرها، فهو غير صالح للهداية أصلاً (٤) كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ (٥) .

ومن الأدلة على خلقه تعالى لأفعال العباد قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٧ .

(٢) انظر: منهاج السنة (٣/ ٤٤-٤٥) (٣/ ٥٤-٧٢) (٣/ ١١٨-١١٩).

(٣) سورة الصف، الآية: ٥ .

(٤) انظر: الفوائد لابن القيم ص ٤٨-٤٩، عقيدة المسلمين والرد على الملحدين للشيخ صالح البليهي ص٢٩٧-٣٠٠، ط. الثانية ١٤٠٤هـ الطبعة الأهلية للأوفست.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٢٣ .

يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [١] . فقولـه: ﴿ يُسَيِّرُكُمْ ﴾ دليل على خلقه لأفعال العباد، فالتسيير فعل الله والسير فعل العبد، كذلك الهداية والضلال فعله، فهو الهادي وهو المضل، والعبد هو المهتدي وهو الضال، وهذه حقيقة لا مجازاً [٢] .

وليس لأحد أن يزعم أن تعذيب الله تعالى للكافر على كفره مع إرادته لذلك يعد ظلماً ومزيد بيان ذلك في الأوجه التالية:

الأول: قولـه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [٣] .

وقوله تعالى: ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [٤] .

وفي هاتين الآيتين نفي للظلم عن الله تعالى، فإذا أمر الله عباده بالفعل، وبين لهم الطريق، ومكنهم من الأسباب والشروط، فعصوه، ولم يعنهم على الطاعة عقوبة لهم، وعاقبهم على ذلك، كان ذلك عدلاً منه، لأن العبد عوقب على فعله، ومثال ذلك – ولله المثل الأعلى – السارق إذا سرق فقطع الإمام يده فلا شك أن هذا الإمام عادل ويشكر على إقامته الحد، ولو احتج

---

(١) سورة يونس، الآية: ٢٢.

(٢) انظر: منهاج السنة (٣/ ١١١-١١٢)، شفاء العليل ص١٠٦.

(٣) سورة يونس، الآية: ٤٤.

(٤) سورة يونس، الآية: ٥٤.

هذا السارق بالقدر لم يقبل منه، وكذلك الكافر لو احتج على الله بالقدر لم يكن هذا عذراً مقبولاً، فالقدر ليس حجة لأحد، والله تعالى قد أمره ونهاه، ثم عاقبه بعد ذلك على مقتضى عدله وحكمته وعلمه [١] .

الثاني: إن الإعانة على الفعل ليست هي الفعل، فإذا أعان الله تعالى العبد على الطاعة فذلك فضله، وأما الطاعة ففعل العبد، والعبد لا يقول لا أفعل ذلك الفعل الذي هو من مصلحتي، ما لم يخلق الله فيَّ الفعل، ومثال ذلك لو أن سيلاً انحدر على شخص من منحدر لم يكن له أن يقول أجلس في مكاني حتى يخلق الله في الهرب، بل تراه يبادر إلى الهرب.

الثالث: إن ما اعتقدته القدرية من نفي خلق الله تعالى لأفعال العباد؛ لأن خلقه لها ثم معاقبتهم على فعلها يعد ظلماً، يرد عليهم بالقول: إن ما أثبتوه من خلق العبد لفعله، يقتضي وصف الله بالنقص، إذ هذا يلزم منه أن يكون الله تعالى قادراً على البعض غير قادر على البعض الآخر، مع أن الجميع داخل في ملكه، فشمول خلقه وقدرته على كل شيء، أكمل من شموله الخلق والقدرة لشيء دون والرب لا يوصف إلا بالكمال المطلق.

الرابع: أن الظلم يراد به أمران:

١- التصرف في ملك الغير بلا إذن.

٢- مخالفة الأمر الذي ينبغي طاعته، والله جل وعلا، لا تجب عليه طاعة

---

(١) انظر منهاج السنة لابن تيمية (٣/ ٣٣-٣٥).

مخلوق، وكلنا عبيده، وتحت تصرفه، والمالك يتصرف في ملكه كما يشاء وكونه تعالى لا يظلم ليس عجزاً ولا امتناعاً، وإنما لكمال عدله.

الخامس: إن قولهم «لوجب أن يكون ظالماً جائراً» [١] دعوى مجردة من الدليل، ولا دليل لهم سوى القياس الفاسد الذي هو أفسد القياس وهو قياس أفعال الرب على أفعال العباد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «لا نزال بين المسلمين أن الله عادل ليس بظالم، لكن ليس كل ما كان ظلماً من العبد يكون ظلماً من الرب، ولا ما كان قبيحاً من العبيد يكون قبيحاً من الرب» [٢] ا.هـ.

فلهذا صاروا مشبهة الأفعال.

وعلم البشر قاصر، وهم لا يعلمون من حكمة الله وعلمه إلا ما علمهم منها، فلا يكون عدم علمهم دليلاً على نفي الحكمة والعلم اللذين لم يعلماها.

فمثلاً تبين لنا أن الإنسان يفعل ما فيه إيلام وضرر بالحيوان كالذبح مثلاً، لمصلحة راجحة عنده، ومعلوم أن ذلك لا يعد ظلماً منه قبيحاً [٣] .

---

(١) كما سبق من أدلتهم ص

(٢) منهاج السنة لابن تيمية (٢/ ١٥١).

(٣) انظر فميا سبق من الأوجه: الشريعة للآجري ص١٥١، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ١٢٥-١٣٠) و(٨/ ٢٦٢-٢٦٥)، جامع الرسائل ص١٢١ وما بعدها، منهاج السنة لابن تيمية (٣/ ٣٣-٣٨)، (٣/ ١٥١)، والفوائد ص٤٨، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص٥٢١ – = =

ومن الأدلة في الرد على القدرية قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (١) . وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) .

ففي هذه الآيات دليل واضح على أن الطبع على القلوب من فعل الله تعالى ومثل الختم، والرين، والموت والغشاوة، والقساوة، والشدة ..

وبهذا تبطل أقوال القدرية وحججهم الواهية، وقد أُثر عن أئمة السلف – رحمهم الله – قولهم «ناظروا القدرية بالعلم، فإن أنكروا العلم رجعوا، وإن اعترفوا به خصموا» ومعنى ذلك أن يقال لهم هل تؤمنون بعلم الله تعالى لما كان وما يكون فإن قالوا: لا كفروا، إذا أنكروا النصوص الصريحة من الكتاب والسنة، وإن قالوا: نعم رجعوا عن مذهبهم الباطل، إذ كيف يعلم الله تعالى الأشياء بما فيها أعمال العباد، ثم لم يقدرها ولم يردها، وهذا تناقض ظاهر، فإما أن ينكروا العلم والمشيئة والخلق كأسلافهم من القدرية، وإما أن

==

٥٢٢، الدرة البهية شرح العقيدة التائية في حل المشكلة القدرية للشيخ عبدالرحمن السعدي ط. عام ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥ مكتبة المعارف، الرياض.

(١) سورة يونس، الآية: ٧٤ .

(٢) سورة يونس، الآية: ٩٦.

يثبتوا العلم والمشيئة والخلق كما هو مذهب أهل السنة والجماعة[١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «أفعال العباد مخلوقة باتفاق سلف الأمة وأئمتها، كما نص على ذلك سائر أئمة الإسلام: الإمام أحمد ومن قبله وبعده، حتى قال بعضهم: من قال: إن أفعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من قال: إن السماء والأرض غير مخلوقة» [٢] ا.هـ.

(١) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ١٠٣)، الدرة البهية لابن سعدي ص٢٠-٢١.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٤٠٦).

المبحث الثاني
توحيد الألوهية

وأما هذا التوحيد فمكايده فيه عظيمة لا تحصى، وهو سبب طرده وإبعاده إلى نار تلظى، لهذا شمَّر عن ساعده وجمع ذريته وأعوانه لصد الناس عن عبادة الله تعالى.

وقبل بيان مكايده وأساليبه في هذا التوحيد أعرف به باختصار، فالألوهية مأخوذ من آله، الاهةً وألوهة، وهي العبادة، والجمع آلهة، والإله كل ما عبد بحق، وهو الله عز وجل، أو بغير حق كالأصنام وغيرها مما يعبد من دون الله عز وجل [١] .

وقيل مأخوذ من «إلاهٍ، وتقديرها فُعلانية بالضم: تقول إلاه بين الإلاهية وآلألهانية، وأصله من أله يأله إذا تحير، يريد إذا وقع العبد في عظمة الله تعالى وجلاله... وصرف وهمه إليها أبغض الناس حتى لا يميل قبله إلى أحد» [٢] .

وقيل: مأخوذ من ولاه، وقيل: لاه يلوه لياها وفيه أقوال أخرى [٣] ، وأما معنى توحيد الألوهية في الشرع، فالمراد به إخلاص العبادة لله تعالى وحده لا

---

(١) انظر: لسان العرب (١٣/ ٤٦٧ وما بعدها)، والقاموس المحيط ، ص ١٦٠٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/ ٦٢)، والصحاح (٦/ ٢٢٢٤)، ولسان العرب (١٣/ ٤٦٩).

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص ٢١-٢٢.

شريك لـه، والعبادة هي: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة» (١) .

فلا يدعى إلا الله، ولا يستغاث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يذبح إلا له، ولا يطاع إلا هو، ولا يرجى إلا هو.... إلخ.

وهذا هو التوحيد الطلبي، القصدي، الإرادي العملي الذي بينه تعالى في آيات كثيرة في كتابه العزيز منها، قولـه تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ (٢).

وهو الذي من أجله بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين، فكل نبي أرسل في قومه دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك لـه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٣) .

وهذا هود – عليه السلام – يقول: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٤) .

وهذا صالح يقول: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا

---

(١) العبودية لابن تيمية، ص ٤، ومجموع الفتاوى (١٤/ ٣٧٨-٣٨٠)، بدائع الفوائد، لابن القيم (١/ ١٣٨).

(٢) سورة الكافرون، الآيات: ١-٣.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٢٣ .

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٦٥.

لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ (١) .

وهذا شعيب يقول: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ (٢) .

ومن أجل هذا التوحيد كانت الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم، وأنزلت لأجله الكتب، ومن أجله قام الجهاد في سبيل الله، وخلقت الجنة والنار، وهذا التوحيد أنكره الكفار، وأبو قبوله مع اعترافهم بتوحيد الربوبية، ومع ذلك لم يقبل منهم وكانوا خالدين في النار وبئس المصير(٣).

أما مكايد الشيطان في هذا التوحيد فعظيمة لا يعلمها إلا من نور الله بصيرته بنور العلم، وحماه من كيد عدوه، وأعانه على التسلح بسلاح التقوى، وهداه صراطه المستقيم.

ومن أعظم مكايده للعباد إيقاعهم في الشرك الأكبر، الذي يخلد صاحبه في النار، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (٤) .

والمشرك محروم من الشفاعة، مستباح الدم والمال والعرض.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٧٣ .

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٨٥ .

(٣) انظر: زاد المعاد (١/ ٣٤).

(٤) سورة النساء، الآية: ٤٨.

ومن أنواع الشرك الذي أوقع الشيطان فيها العباد:

أولاً: شرك العبادة.

ثانياً: شرك الطاعة والاتباع.

ثالثاً: شرك الدعاء.

رابعاً: شرك الشفاعة.

خامساً: القول على الله بلا علم.

سادساً: الردة.

أولاً: شرك العبادة:

قال تعالى محذراً عباده من عبادة الشيطان: ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾ [(١)] .

ومعنى عبادته هنا طاعته، كما ذكر ذلك كثير من المفسرين ومنهم ابن جرير [(٢)] ، وابن كثير [(٣)] ، والقرطبي [(٤)] ، والشوكاني [(٥)] .

وقال سبحانه مبيناً قول إبراهيم – عليه السلام – لأبيه آزر: ﴿ **يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ**

---

(١) سورة يس، الآية: ٦٠.

(٢) انظر: جامع البيان (١٢/ ٢٣).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ص ١١١٩، ط. دار السلام، الرياض.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٤٧).

(٥) انظر: فتح القدير (٤/ ٣٧٧).

أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾ [١].

قال ابن كثير: «أي لا تطعه في عبادتك هذه الأصنام، فإنه هو الداعي إلى ذلك والراضي به»أ. هـ [٢] .

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «من أطاع شيئاً في معصية الله فقد عبده» أ. هـ [٣] ، وهذا ما يسمى بشرك الطاعة [٤] .

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ [٥] .

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«إن الله لم يجعل لـه عليهم سلطاناً ابتداء البتة، ولكنهم هم الذين سلَّطوه على أنفسهم بطاعاته ودخولهم في حزبه، فلم يتسلط عليهم بقوة لأن الله يقول: ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [٦] وإنما تسلط عليهم بإرادتهم واختيارهم» أ. هـ [٧] .

---

(١) سورة مريم، الآيتان: ٤٤-٤٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ص ٨٣٦، ط. دار السلام، وانظر: زاد المسير، لابن الجوزي (٥/ ٢٣٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١١/ ١١١).

(٤) انظر: أضواء البيان، للشنقيطي (٤/ ٣٠٨).

(٥) سورة سبأ، الآيتان: ٢٠-٢١.

(٦) سورة النساء، الآية: ٧٦.

(٧) أضواء البيان (٣/ ٣٢٧).

بل هناك – وللأسف – من عبد الشيطان عبادة، فصلَّى لـه وألهه[١]، وهؤلاء قد خصهم بمزيد ضلاله وفحشه – كما سيأتي – غير أنه لم ييأس من إضلال سائر العباد، إلا من حماه الله وخلَّصه.

فتربص لهم ليفسد عليهم عباداتهم ودينهم، ويحول بينهم وبين الوصول إلى صراط الله المستقيم، جاء في الحديث: (إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقة فقعد لـه بطريق الإسلام، فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك فعصاه فأسلم، ثم قعد لـه بطريق الهجرة فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول، فعصاه فهاجر، فقعد له بطريق الجهاد، فقال: تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال، فعصاه فجاهد، فقال رسول الله ﷺ : فمن فعل ذلك كان حقاً على الله عز وجل، أن يدخله الجنة، ومن قتل كان حقاً على الله عز وجل أن يدخله الجنة، إن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة...) [٢] .

وهو في هذه المعركة ليس وحيداً، بل معه جنود ومناصرون، قال تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾[٣] .

---

(١) سيأتي – إن شاء الله – بيان مذهب اليزيدية عبدة الشيطان.

(٢) رواه النسائي في كتاب: «الجهاد»، باب: (ما لمن أسلم وهاجر وجاهد عن سبرة بن أبي فاكه)، رقم: ٣١٣٤، (٦/ ٢١-٢٢).

(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ٩٤-٩٥.

والمراد بالجنود: «كل من كان من أتباعه ومن ذريته كان أو من ذرية آدم» [١] .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ومن شره إنه قعد لابن آدم بطرق الخير كلها فما من طريق من طرق الخير إلا والشيطان مرصد عليه يمنعه بجهده أن يسلكه، فإن خالفه وسلكه ثبَّطه منه وعوَّقه وشوش عليه بالمعارضات والقواطع، فإن عمله وفرغ منه قبض له ما يبطل أثره ويرده على حافرته»أ. هـ [٢] .

وقولـه تعالى: ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ ﴾ [٣] .

والمعنى: «يا بني آدم لا يخدعنكم الشيطان، فيبدي سوآتكم للناس بطاعتكم إياه عند اختباره لكم، كما فعل بأبويكم آدم وحواء... فأخرجهما بما سبب لهما من مكره وخداعه من الجنة، ونزع عنهما ما كان ألبسهما من اللباس ليريهما سوآتهما بكشف عورتهما وإظهارها لأعينهما بعد أن كانت مستترة» [٤] .

ومعنى (قبيله)، قيل: صنفه وجنسه، جمع قُبُل: وهم الجن [٥].

وقيل: أعوانه من الشياطين والجنود [١] .

---

(١) جامع البيان (١١/ ٨٨).

(٢) تفسير المعوذتين، ص ١١٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

(٤) جامع البيان، لابن جرير (٥/ ١٥١-١٥٢).

(٥) انظر: المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

قال ابن عباس: «جعلهم الله يجرون من بني آدم مجرى الدم، وصدور بني آدم مساكن لهم، فهم يرون بني آدم، وبني آدم لا يرونهم» (٢) .

وقيل: (قبيله): أي نسله وجيله (٣) .

عن ابن عباس قال: «أيما رجل منكم تخيل له الشيطان حتى يراه فلا يصدن عنه، وليمض قدماً فإنهم منكم أشد فرقاً منهم فإنه إن صد عنه ركبه وإن مضى هرب منه»(٤) .

ولعبادة الشيطان صور كثيرة وأشكال متعددة منها:

تعظيم الأجرام السماوية وعبادتها، كالكواكب والملائكة والمخلوقات الأرضية كالأشجار والأحجار والشمس والقمر (٥) .

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ

==

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/ ١٨٦)، زاد المسير، لابن الجوزي (٣/ ٤٣٦)، فتح القدير، للشوكاني (٢/ ١٩٧)، تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي (٣/ ١٦)، في ظلال القرآن(١٢٧٩-١٢٨٠).

(٢) زاد المسير، لابن الجوزي (٣/ ١٨٤).

(٣) انظر:الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/ ١٨٦)، الدر المنثور، للسيوطي (٣/ ٤٣٦).

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٣٦).

(٥) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٧/ ٤٦٠).

وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾ (١) .

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ (٢) .

وهذا السؤال الموجه من الله تعالى للملائكة يوم الحشر فيه توبيخ للمشركين الذين كانوا يعبدون الأنداد على صور الملائكة، ويتقربون إلى الله تعالى بهذه العبادة، فيسألهم تعالى وهو أعلم: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴾ .

فتقول الملائكة: ﴿ سُبْحَٰنَكَ ﴾ تنزيه وتقديس لله تعالى أن يكون معه إله يعبد.

﴿ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ﴾ ، والمراد بالجن الشياطين لأنهم زينوا لهم الشرك وعبادة غير الله وأضلوهم وزعموا أن الملائكة بنات الله فعبدوهم (٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فالشيطان يدعو المشركين إلى عبادته ويوهمهم أنه ملك، كذلك عباد الشمس والقمر والكواكب يزعمون أنهم يعبدون روحانيات هذه الكواكب، وهي التي تخاطبهم وتقضي لهم الحوائج، ولهذا إذا

---

(١) سورة فصلت، الآيتان: ٣٧-٣٨.

(٢) سورة سبأ، الآيتان: ٤٠-٤١.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ٥٥٩)، زاد المسير، لابن الجوزي (٦/ ٤٦٢)، شفاء العليل، لابن القيم، ص ٢٧.

اطلعت الشمس، قارنها الشيطان فيسجد لها الكفار فيقع سجودهم لـه وكذلك عند غروبها، وكذلك من عبدالمسيح وأمه لم يعبدهما وإنما عبد الشيطان، فإنه يزعم أنه يعبد من أمره بعبادته وعبادة أمه ورضيها لهم، وأمرهم بها، وهذا هو الشيطان الرجيم – أعاذنا الله منه – ... فما عبد أحد من بني آدم غير الله كائناً من كان إلا وقعت عبادته للشيطان»أ. هـ[1] .

ومن ذلك عبادة الأصنام والحجارة، كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح وعلى الكعبة ثلاثمائةصنم وستون صنماً، قد شدّ لهم إبليس أقدامهم بالرصاص ومعه قضيبه، فجعل يهوي به إلى كل صنم منها، فيخر لوجهه ويقول: ﴿ **جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا** ﴾ [2] حتى أمر به عليها كلها) [3] .

ومنها صرف الاستعانة والاستغاثة والتوكل لغير الله، وذلك بما توصل به في قلوبهم من اعتقاد النفع والضر لغير الله، حتى قال قائلهم: «ملعون ابن

---

(١) الجواب الكافي، ص ٩٩، وانظر: شفاء العليل، ص ٢٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨١.

(٣) رواه الطبراني في الكبير قم: ١٠٦٥٦، (١٠/ ٢٧٩)، والصغير رقم: ١١٥٢، (٢/ ٢٧٢)، وأصله في الصحيحين عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ﴿ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾).

ملعون من كان في شدة أو في ضيق ولم يقل يا ست أو يا سيد» [١] .

وحتى قال قائلهم:

يا كعبة الأسرار أنت غياثنا يا كاشف الكربات يا شيخ العرب

وقولهم:

عبدالقادر يا جيلاني يا ذا الفضل والإحسان
صرت في خطب شديد من إحسانك لا تناني

وقولهم:

رفاعي لا تضيعني أنا المحسوب أنا المنسوب

وقولهم:

يا دسوقي يا شريف قد دخلنا في حماك
بالحسن ثم الحسين خذ بيد (اللي) أتاك [٢]

ومنها السجود والركوع والقيام والطواف وحلق الرأس، وكذلك الذبح والنحر والنذر لغير الله.

وهذه كلها عبادات يشرك فيها القلب مع الجوارح، ومن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر كفراً أكبر.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وهذا السجود المنهي عنه قد اتخذه جهال الصوفية

---

(١) السنن والمبتدعات، لمحمد بن أحمد الحوامدي، ص ١١٠.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧٢.

عادة في سماعهم وعند دخولهم على مشايخهم واستغفارهم فيرى الواحد إذا أخذه الحال – بريبة – يسجد لأقدام الجهلة، سواء كان للقبلة أو غيرها جهالة منه، ضل سعيهم وخاب أملهم» [١] .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«فجاء شيوخ الضلال والمزاحمون للربوبية الذين أساس مشيختهم على الشرك والبدعة، فأرادوا من مريديهم أن يتعبدوا لهم، فزَّينوا لهم حلق رؤوسهم لهم، كما زينوا لهم السجود لهم، وسموه بغير اسمه، وقالوا: هو وضع الرأس بين يدي الشيخ، ولعمر الله إن السجود لله هو وضع الرأس بين يديه سبحانه، وزيَّنوا لهم أن ينذروا لهم، ويتوبوا لهم، ويحلفوا بأسمائهم، وهذا هو اتخاذهم أرباباً وآلهة من دون الله»أ. هـ [٢] .

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«والمقصود إن النفوس الجاهلة الضالة أسقطت عبودية الله سبحانه وأشركت فيها من تعظمه من الخلق، فسجدت لغير الله، وركعت لـه، وقامت بين يديه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٩٤).

(٢) زاد المعاد في هدى خير العباد، لابن القيم (٤/ ١٥٩)، تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط، وقال الحافظ الذهبي في ترجمة نفيسة بنت الحسن بن زين العابدين بن الحسن بن علي بن أبي طالب القرشية الهاشمية: «وللجهلة المصريين فيها اعتقاد يتجاوز الوصف، ولا يجوز مما فيه من الشرك، ويسجدون لها، ويلتمسون منها المغفرة وكان ذلك من دسائس دعاة العبيدية»أ. هـ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠٦).

قيام الصلاة، وحلفت بغيره، ونذرت لغيره، وحلقت لغيره، وذبحت لغير بيته، وطافت لغير بيته، وعظمته بالحب والخوف، والرجاء، والطاعة، كما يعظم الخالق، بل أشد، وهؤلاء هم المضادون لدعوة الرسل، وهم الذين بربهم يعدلون» [١] .

ويقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تحريم الطواف لغير الكعبة: «ليس في الأرض مكان يطاف به، كما يطاف بالكعبة، ومن اعتقد أن الطواف لغيرها مشروع فهو شر ممن يعتقد جواز الصلاة إلى غير الكعبة...» أ. هـ [٢] .

ومن أمثلة هذه العبادة في عصرنا الحاضر، القيام في البرلمان مطأطناً الرؤوس لمدة خمس دقائق عند موت زعيم في الدولة. والركوع عند دخول البرلمان احتراماً لـه إذ مكنه من الكلام أمام الناس.

ومنه: الركوع على المسرح من بعض المغنين والممثلين أمام الجمهور.

ومنه: إعطاء الزهور عند القبور في اليوم الوطني بزعمهم أنهم شهداء الدولة، ويظل الشخص ساجداً أمام القبر بضع دقائق.

ومنه: تعظيم التماثيل والنصب التذكارية في بعض البلدان والسجود لها أو الركوع أو القيام.

ومنه: القيام في الأصنام التذكارية لكبار الدولة عندما يسمونه (باليمين

---

(١) المرجع السابق (٤/ ١٦١).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٠).

الدستورية) ومع قيامهم يحلفون بالدستور حلفاً يقصدون به تعظيم المحلوف عليه، نسأل الله السلامة والعافية [١] .

وأما الذبح والنحر والنذر منها أيضاً عبادة من العبادات لا يجوز التقرب منها بشيء لغير الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [٢] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك فإن صلاته لله، ونسكه على اسمه وحده لا شريك له...» أ.هـ[٣] .

---

(١) انظر: الشرك في القديم والحديث، تأليف: أبو بكر محمد زكريا (٢/ ١١٣٤-١١٣٥)، والتوحيد لفضيلة الشيخ د. صالح الفوزان، ص ٤٠.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢-١٦٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ١٨٩).

يقول الشيخ مبارك الميلي مبيناً واقع قومه في الجزائر ووقوعهم في هذا الشرك: «إن كل من خالط العامة، يجزم بأن قصدهم بذبائح الزردة التقرب من صاحب المزار، ويكشف عن ذلك أشياء:

أحدها: أنهم يضيفون الزردة إلى صاحب المزار، فيقولون زردة سيدي فلان، أو طعام سيدي عبالقادر مثلاً.

ثانيها: أنهم يفعلونها عند قبره، وفي جواره، ولا يرضون لها مكاناً آخر.

ثالثها: أنهم إن نزل المطر إثرها، نسبوه إلى سر المذبوح لـه، وقوي اعتقادهم فيه وتعويلهم عليه.

==

و«النسك هي الذبيحة ، وهي أجل العبادات المالية، وما يجتمع للعبد في نحره من إيثار الله، وحسن الظن به، وقوة اليقين، والوثوق بما في يد الله أمر عجيب إذا قارن ذلك الإيمان والإخلاص» (١) .

ولهذا كادهم إبليس في هذه العبادة حتى صرفوها لغير الله معتقدين النفع والضر فيمن تذبح لهم، وكانوا يقدمون النذور للآلهة والأصنام (٢) ، وربما قدموا الذبائح الآدمية، كما في قصة نذر عبدالمطلب ذبح واحد من أولاده (٣)

ومن النذر الذي يكون للشيطان، النذر الذي لا يكون ابتغاء وجه الله، ومن ذلك ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ مر على

= =

رابعها: إنهم لو تركوها فاصيبوا بمصيبة نكسوا على رؤوسهم، وقالوا: إن وليهم غضب عليهم لتقصيرهم في جانبه»أ. هـ، رسالة الشرك ومظاهره، ص ٢٥٧.

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٦/ ٥٣١-٥٣٢).

(٢) يقول الشيخ على بابكر في كتابه: «الآيات البينات في تحريم دعاء الأموات»، ص ١٩: «حدثني الشيخ سالم بن عبدالرحمن الغضفري – القاضي في بلاكيرالا بالهند – أن رجلاً مسلماً في الهند لم يرزق ولداً، فطلب من العلماء أن يدعو لـه بأن يرزقه الله ولداً، فلم يرزقه الله ولداً ثم حج على بيت الله الحرام، ودعا الله في تلك البقاع المقدسة والأماكن الفاضلة أن يرزقه ولداً، فلم يستجب لـه، ثم بعد ذلك نذر لصنم يعبده الهندوس، واسم هذا الصنم (كرشنا) ومعناها في العربية (الأسود)، نذر إن رزق بمولود فإنه سيقرب طعاماً بوزن المولد بـ(كرشنا) – والعياذ بالله – بعد ذلك زرق الله ذلك الرجل مولوداً، فأوفى بنذره، وقرب لهذا الصنم بوزن المولود طعاماً – والعياذ بالله» أ. هـ!! فتأمل هذه الفتنة العظيمة، نسأل الله العافية.

(٣) انظر: السيرة لابن هشام (١/ ٢٠٣-٢٠٧).

رجلين مقترنين، فقال: (ما للأقران، فقالا: نذرنا لنقترنن حتى نأتي الكعبة، فقال ﷺ: أطلقا أنفسكما ليس هذا نذراً إنما النذر ما يبتغى به وجه الله» [١].

ومن الذبائح التي تكون للشيطان ما يسمى (بشريطة الشيطان)، كما في الحديث عن ابن عباس وأبي هريرة – رضي الله عنهما – قالا: (نهى رسول الله ﷺ عن شريطة الشيطان وهي التي تذبح فيقطع الجلد ولا تفرى الأوداج ثم تترك حتى تموت) [٢].

«وكان أهل الجاهلية يقطعون بعض حلقها ويتركونها تموت؛ وإنما أضافها إلى الشيطان لأنه هو الذي حملهم على ذلك، وحسَّن هذا العمل لديهم وسوَّله لهم» [٣].

وقيل: «إنه من الشرط الذي هو العلامة، أي شارطهم الشيطان فيها على ذلك»[٤].

---

(١) رواه محمد بن إسحاق الناكهي في أخبار مكة، رقم: ٤٤٤، (١/ ٢٣٧-٢٣٨)، ذكره ابن حجر في فتح الباري (٣/ ٤٨٢)، دار المعرفة، وقال: «وإسناده إلى عمرو حسن»أ. هـ، وقد جاء تسمية هذين الرجلين عند الطبراني وهما بشر وابنه طلق بن بشر.

(٢) رواه أبو داود في كتاب: «الضحايا»، باب: (في المبالغة في الذبح)، رقم: ٢٨٢٦، (٣/ ١٠٢-١٠٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٢٧٨)، وابن حبان في صحيحه، رقم: ٥٨٥٨، (٧/ ٥٥٤-٥٥٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١١٣)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وأحمد في المسند (٢٨٩) مختصراً.

(٣) النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير (٢/ ٤٦٠).

(٤) شرح مشكاة المصابيح، للطيبي (٨/ ١٠٣).

ومن عبادة الشيطان السحر، فالساحر يعبد الشيطان، ويستعين به، ويذبح باسمه، ويتقرب إليه بأنواع الطاعات والقربات، ومنها النذر لـه، والقيام بما يأمره به، ولو كان ذلك شركاً وكفراً ، كإهانة القرآن الكريم، وسب الله تعالى، وغيرها من أفعال السحرة، نعوذ بالله منهم [١] .

ومن عبادته الخوف من غير الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [٢] .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«المعنى عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه، قال قتادة: ويعظمهم في صدوركم، ولهذا تلا: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ ، فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم» أ. هـ [٣] .

والخوف على أربعة أقسام:

١- خوف السر: وهو خوف التذلل والتعظيم والخضوع، وهذا لا يصلح إلا لله تعالى، ومن صرفه لغير الله أشرك كمن يخشى من صنم أو أي معبود أن

---

(١) انظر: تفسير المعوذتين، ص ٧٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٣) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ٨٨)، ط. المكتبة الثقافية، وانظر: تفسير ابن جرير(٤/ ١٨٣-١٨٤)، الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٨٣)، وابن كثير (١/ ٤٣٢) ط. دار الفكر.

يصيبه بشيء من مرض أو موت أو فقر [١] .

٢- الخوف من الوعيد: وهو المقامات العالية في العبودية، وهو مما يحبه الله، قال تعالى في مدح الخائفين: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [٢] .

وقولـه تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [٣] .

وقولـه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ [٤] .

لكن هذا الخوف ينبغي ألا يوقع صاحبه في اليأس والقنوط من رحمة الله – كما سبق بيان ذلك – .

قال ابن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«فإن كان الخوف والخشية خوف تأله وتعبد وتقرب بذلك الخوف على من يخافه وكان يدعو إلى طاعة باطنة وخوف سري يزجر عن معصية من يخافه كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان وتعلقه لغير الله من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، لأنه أشرك في هذه العبادة التي هي من أعظم واجبات القلب غير الله مع الله»أ. هـ [٥] .

---

(١) انظر: القول المفيد شرح كتاب التوحيد، لابن عثيمين (٢/ ١٦٦)، تيسير العزيز الحميد، ٤٨٤-٤٨٦، الشرك في القديم والحديث، لأبي بكر محمد زكريا (٢/ ١٠٨٤-١٠٨٥).

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٤٦.

(٣) سورة النحل، الآية: ٥٠.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٥٧.

(٥) القول السديد، لابن سعدي، ص ٩٨.

٣- الخوف من الناس: كمن يخشى المواجهة في القتال، والإقدام على صعاب الأمور، وهو ما يعرف بالجبن، وهذا يمنع العبد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن الجهاد وكثير من الأعمال الشرعية التي تتطلب الشجاعة والقوة، ولهذا تعوذ الرسول ﷺ من الجبن لأنه مذموم ويدل على ضعف الإيمان.

٤- الخوف الطبيعي والجبلي: كالخوف من العدو أو السبع أو الغرق، وهذا الخوف إن حمله على ترك واجب أو فعل محرم كان محرماً وإلا كان مباحاً [١] .

وأما الخوف من الشيطان فيشمل عدة أمور:

١- الخوف من إيذاء الصنم، وإنها تسمع وتعي، ولها القدرة على إلحاق الضرر بمخالفيها.

٢- الخوف من أصحاب القبور ومن يسمون بالأولياء والأقطاب والأوتاد وإيها مهم أن لديهم من القوة والقدرة على إنزال العقوبة بمخالفيها.

٣- خوف السدنة والزعماء من ذوي المناصب التقليدية على مكانتهم لاجتماعية.

٤- الخوف من قطع العلاقات الاجتماعية معه إن ترك ما هم عليه.

٥- الخوف من الموت بسبب ترك عبادة الوثن.

---

(١) انظر: القول المفيد، لابن عثيمين (٢/ ١٦٦)، الشرك في القديم والحديث، (٢/ ١٠٨٥-١٠٨٦).

٦- الخوف من ضياع الممتلكات [١] .

مما جعلهم يقدمون القرابين والنذور للأوثان وأصحاب الأضرحة والقبور.

ومن عبادته النياحة على الميت، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: (لما افتتح النبي ﷺ مكة رن إبليس رنة اجتمعت إليه جنوده، فقال: ايئسوا أن نريد أمة محمد على الشرك بعد يومكم هذا، ولكن افتنوهم في دينهم وأفشوا فيهم النوح) [٢] .

ثانياً: شرك الطاعة والاتباع:

وهو من أعظم الذنوب، وأشدها عند الله عز وجل، لأنه اعتداء على خصائص الربوبية والألوهية، فلا مشرع إلا الله، ولا حاكمية إلا لله سبحانه وتعالى.

والشيطان قد حرص على إيقاع العباد في هذا اللون من الشرك، قال تعالى: ﴿

---

(١) استفدت هذه النقاط من أحد الإخوة من طلبة العلم في بلاد التوجو بغرب أفريقيا حيث يعيش الواقع، وتكثر عندهم عبادة الاوثان، وقد ألحقت هذا البحث بمجموعة من صور الأوثان والتماثيل المنصوبة التي تعبد إلى اليوم، انظر: الملاحق.

(٢) سبق تخريجه، بدون زيادة (ايئسوا أن نريد أمة محمد....) وهذه الزيادة رواها الطبراني في المعجم الكبير، رقم:١٢٣١٨، (١٢/ ٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٣): «ورجاله موثقون» أ. هـ. ورواه أبو نعيم في الحلية (٩/ ٦، ٦٣)، وابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان، رقم: ٣٣، ص ٥٣، وقال المنذري: «رواه أحمد بإسناد حسن»أ. هـ (٤/ ٣٥٠). وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم: ٣٥٢٦ (٣/ ٣٨١).

أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ (٢) .

والمراد بالطاغوت: الشيطان على قول كثير من الصحابة والتابعين (٣) ، وقيل: الكهان (٤) ، وقيل: السحرة (٥) .

وعلى العموم فأكبر طاغوت هو الشيطان، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: «والطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله، فهو طاغوت... والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة:

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٠.

(٣) انظر: جامع البيان (٣/ ١٨)، (٥/ ١٣١-١٣٢)، المحرر الوجيز، لابن عطية (٢/ ٢٨٣)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٥/ ١٦١)، معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٢٣٤)، الدر المنثور، للسيوطي (١/ ٥٨٤)، (٢/ ٣٠٧، ٣٢٨، ٥٨٢)، روح المعاني، للآلوسي (٢/ ١٢)، التفسير الكبير، للرازي (٧/ ١٦)، فتح القدير، للشوكاني (١/ ٢٧٦، ٤٧٧)، أضواء البيان، للشنقيطي (١/ ١٩٩)، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، ص ٤٠٥.

(٤) انظر: جامع البيان (٣/ ١٩)، تفسير ابن كثير (١/ ٥١٣).

(٥) انظر: جامع البيان (٣/ ١٩)، اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، ص ٤٠٥.

الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله...» [١] .

وهذا اللون من الشرك أعظم ما ابتلي به العباد في هذا الزمان، فكثير من الطوائف قد اتخذت لها معبوداً من دون الله تطيعه في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله، فها هم الرهبان والأحبار، وهؤلاء هم طواغيت الشر من دعاة القومية [٢] ، والوطنية، والعلمانية [٣] ، قد رفعوا راياتهم ودعوا العباد إلى عبادتهم بصور متعددة، وأشكال متنوعة لا يعلم مداها إلا الله، وهي عبادة لإبليس، إذ هو صانعها الأول ومرتكزها الأساسي.

يقول سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«والطواغيت التي تقوم في الأرض لتخضع الناس لحاكميتها وشرعها

---

(١) مجموعة التوحيد، ص ٩، ط. دار الفكر، وانظر: أضواء البيان (١/ ١٩٩)، مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٦٥).

(٢) القومية: «حركة سياسية فكرية متعصبة، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم، على أساس من رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين».

يصفها سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنها: «دعوة جاهلية إلحادية تهدف إلى محاربة الإسلام والتخلص من أحكامه وتعاليمه، ويقول أيضاً: «وقد أحدثها الغربيون من النصارى لمحاربة الإسلام والقضاء عليه في داره...»، الموسوعة الميسرة، ص ٤٠١-٤٠٢.

(٣) العلمانية: وهي تعني اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة بعيداً عن الدين، نشأت في أوروبا نتيجة لهيمنة الكنسية واستبدادها، ثم انتقلت إلى البلاد العربية والإسلامية بعد الاستعمار، وكان لها دعاة حملوا لواءها ونشروها، ومن أبرزهم كمال أتاتورك حاكم تركيا، وقاسم أمين، وطه حسين، وغيرهم، انظر: الموسوعة الميسرة، ص ٣٦٥، العلمانية، د. سفر الحوالي.

وقيمها وموازينها وتستبعد حاكمية الله وشرعه والقيم والموازين المنبثقة من دينه... إنما هي شياطين الإنس التي توحي لها شياطين الجن، والمعركة معهما هي المعركة مع الشيطان نفسه... وهكذا تتركز المعركة الكبرى الطويلة الضاربة في المواجهة مع الشيطان ذاته، ومع أوليائه...» أ. هـ[١].

ومن الأمثلة على هذا النوع من الشرك، الحكم بغير ما أنزل الله وطاعة العلماء والسلاطين فيه.

وهذا عده الإمام محمد بن عبدالوهاب من نواقض الإسلام العشرة، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الناقض الرابع: «الرابع: من اعتقد أن غير هدى النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر» أ. هـ[٢].

وقال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[٣].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وتفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاؤهم

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (٣/ ١٢٦٥-١٢٧٥)، وانظر: (٢/ ٨٢٨).

(٢) مجموعة التوحيد، ص ٢٧.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣١.

إياهم» [١] .

وقد سبق ذلك في حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما تلا عليه هذه الآية، فقال لسنا نعبدهم، قال: (صدقت ولكن كانوا يحلون لهم ما حرم الله فيستحلونه، ويحرمون ما أحل الله لهم فيحرمونه).

وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً لهم حالان:

الأول: أن يتبعوهم مع علمهم بمخالفة الحق، وما جاءت به الرسل، ويعلمون أنهم بدلوا شريعة الله، فيعتقدون معهم تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، فهذا كفر لا يشك في كفر صاحبه.

الثاني: أن يتبعوهم في هذا طاعة لهم مع اعتقادهم بتحريم الحلال الذي أحلوه، وتحليل ما حرموه مما هو حلال في شريعة الله التي جاءت بها الرسل؛ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب والمعاصي، كما صرح بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ [٢] .

وفي النوع الأول يقول تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ** ﴾ [٣] .

---

(١) الجامع الفريد، ص ٣٤١، وانظر: كتاب الإيمان ضمن مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧).

(٢) انظر: كتاب الإيمان ضمن مجموع الفتاوى (٧/ ٧٠).

(٣) سورة لقمان، الآية: ٢١.

فليس لديهم حجة في الإعراض عما أنزل الله تعالى، إلا التقليد والاتباع للآباء والأجداد، على الإطلاق حتى وإن كانوا على ضلال وفيه هي دعوة الشيطان فزيَّن لهؤلاء الآباء الشرك، ثم دعوته للتابعين باتباعهم والتمسك بما هم عليه [١] ، وهذا قول على الله بلا علم ولا برهان، ولهذا عقب الله تعالى بقوله سبحانه: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[٢] .

والمعنى من أخلص لله في العمل وانقاد لأوامره، واتبع الشريعة الحقة، مراقباً لله تعالى في سائر شؤونه، فبهذا يكون قد أخذ من الله موثقاً متيناً على ألا يعذبه[٣] .

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أورد بعض الآيات في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله: «وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور، إن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله، إنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله على بصيرته، وأعماه عن نور الوحي

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٣٩٣)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٢٤١-٢٤٢).

(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٢.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٣٩٣-٣٩٤).

مثلهم» أ. هـ [١] .

وقد سبق نقل نصوص العلماء في هذه المسألة.

تحريم بعض الأطعمة طاعة للطواغيت، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [٢] .

حيث كان المشركون يحرمون على أنفسهم أنواعاً من الرزق، ويحللون أنواعاً أخرى من تلقاء أنفسهم مما تمليه عليهم الشياطين.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [٣] .

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في تفسير هذه الآية:

«جعلوا لله من ثمراتهم ومالهم نصيباً، وللشيطان والأوثان نصيباً، فإن سقط من ثمره ما جعلوا لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن سقط مما جعلوه

---

(١) أضواء البيان، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (٤/ ٩٢).

(٢) سورة يونس، الآيتان: ٥٩-٦٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٣٦.

للشيطان في نصيب الله التقطوه وحفظوه وردوه إلى نصيب الشيطان، وإن انفجر من سقي ما جعلوا لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن انفجر من سقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله سدوه...» أ. هـ[١].

وقال تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[٢].

وقد جاء في تفسير معنى البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، أقوال ذكرها المفسرون وغيرهم، أذكر بعضاً منها ليظهر ضلال هؤلاء المشركين وسفههم:

قيل إن البحيرة: «الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن، والخامس ذكر بحروه فأكله الرجال والنساء، وإن كان الخامس أنثى بحروا أذنها، أي شقوها وكانت حراماً على النساء، لحمها ولبنها، فإذا ماتت حلت للنساء»[٣].

وقيل: إنها ابنة السائبة، وهي التي تابعت اثنتي عشرة أنثى ليس بينهن ذكر،

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٨/ ٤٠)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٠٦)، وقال: «وهكذا قال مجاهد وقتادة والسدي وغير واحد».

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ١٠٣-١٠٤.

(٣) تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، ص ١٤٧، وروي عن ابن عباس، انظر: زاد المسير (٢/ ٣٦).

فما نتجت بعد ذلك من أثنى شق أذنها ثم خليت وتسمى بحيرة [١] .

وقيل البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس[٢].

وأما السائبة فهي: «البعير يسيب بنذر يكن على الرجل إن سلّمه الله من مرض أو بلغه منزله أن يفعل ذلك» [٣] .

وقيل: إن السائبة هي الناقة إذا ولدت اثني عشرة إنثى ليس فيها ذكر سيبت فلا تركب ولا يشرب لبنها ولا يؤخذ وبرها [٤] .

وقيل: «إن الرجل كان يسيب من ماله ما شاء فيأتي به خزنة الآلهة، فيطعمون ابن السبيل من ألبانه ولحومه إلا النساء، فلا يطعمونهن شيئاً منه إلا أن يموت فيشترك يه الرجال والنساء، روي عن ابن عباس [٥] .

وقيل هي: «الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهن ذكر، سيبت فلم يركب ظهرها» [٦] .

---

(١) انظر: جامع البيان (٧/ ١٨)، ونقل عن عطاء، انظر: زاد المسير (٢/ ٤٣٦)، وذكره ابن إسحاق في السيرة (١/ ٢٢).

(٢) روي عن سعيد بن المسيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما روى ذلك البخاري في كتاب: «التفسير»، باب: (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام)، رقم: ٤٣٤٧، (٤/ ١٦٩٠).

(٣) تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، ص ١٤٧.

(٤) انظر: جامع البيان (٧/ ٨٨).

(٥) زاد المسير (٢/ ٤٣٧).

(٦) السيرة لابن هشام (١/ ١٣٣).

وقال سعيد بن المسيب: «السائبة: كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء»أ.هـ[١] .

وأول من سيب السوائب عمرو بن عامر الخزاعي، كما روى البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : (رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، كان أول من سيب السوائب) [٢] .

وأما الوصيلة، قيل: «من الغنم، كانوا إذا ولدت الشاة سبعة أبطن نظروا فإن كان السابع ذكراً ذبح فأكل منه الرجال والنساء، وإن كان أنثى تركت في الغنم، وإن كان ذكراً وأنثى قالوا: قد وصلت أخاها، فلم تذبح لمكانها، وكانت لحومها حراماً على النساء، ولبن الأنثى حرام على النساء، إلا أن يموت منها شيء فيأكله الرجال والنساء»[٣] !!

وقيل: «الوصيلة: إن الشاة إذا انتجت عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن ليس منها ذكر، جعلت وصيلة، قالوا: وصلت، فكان ما ولدت بعد ذلك لذكورهم دون إناثهم، إلا أن يموت منها شيء، فيشتركون في أكله ذكورهم

---

(١) رواه البخاري في كتاب: «التفسير» (٤/ ١٦٩٠)، كما تقدم في الهامش.

(٢) رواه البخاري في كتاب: «التفسير»، باب: (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة)، رقم: ٤٣٤٧، (٤/ ١٦٩٠)، ومسلم في كتاب: «الجنة وصفة نعيمها»، رقم: ٥١، (٤/ ٢١٩٢).

(٣) تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، ص ١٤٧، وقال ابن الجوزي: «رواه أبو صالح عن ابن عباس»، انظر: زاد المسير (٢/ ٤٣٨).

وإناثهم» [١] .

وروي عن سعيد بن المسيب قال: «فالوصيلة من الإبل كانت الناقة تبتكر بالأنثى، ثم ثنت بأنثى فسموها وصيلة، ويقولون: وصلت انثيين، ليس بينهما ذكر، فكانوا يجدعونها لطواغيتهم، أو يذبحونها» [٢] .

وأما الحام فقيل إنه: «الفحل الذي ركب ولد ولده، ويقال: إذا نتج من صلبه عشرة أبطن، قالوا: قد حمى ظهره فلا يركب ولا يمنع من كلأ ولا ماء» [٣] .

وقد نقل هذا القول عن ابن عباس ومالك والشعبي – رحمهم الله – [٤] .

وقيل: «إنه الفحل يظهر من أولاده عشر إناث من بناته، وبنات بناته» [٥] .

ولا شك أن هذا التحريم والتحليل لا دليل عليه، وإنما صدق إبليس ظنه فيهم، فأطاعوه وصرفوا ما رزقهم الله افتراء على الله، كما في حديث عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق وفيه: (وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً) .

ومن التحريم الذي كان الطواغيت يمارسونه في الجاهلية تحريم لبس الثياب

---

(١) جامع البيان (١١/ ٨٨)، وانظر: السيرة، لابن هشام (١/ ١٣٣).

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (والشك منه)، (٧/ ٩١)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٦٦٥)، وقال: «كذا روي عن الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ »أ. هـ.

(٣) تفسير غيب القرآن، لابن قتية، ص ١٤٨، وانظر: السيرة، لابن هشام (١/ ١٣٣).

(٤) انظر: جامع البيان، لابن جرير (٧/ ٨٩).

(٥) زاد المسير، لابن الجوزي (٢/ ٨٩) ونقل عن عطاء رَحِمَهُ اللَّهُ .

التي عليهم أثناء الطواف، فكان أحدهم يطوف عرياناً، حتى النساء كن يطفن عاريات وربما وضعت الواحدة منهن يدها على قبلها، وهي تقول: اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله [١] .

ثالثاً: شرك الدعاء:

قال تعالى: ﴿ **إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَـٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَـٰنًا مَّرِيدًا** ﴾[٢]

والدعاء باب عظيم ومسألة شريفة، وقد قسمه العلماء إلى قسمين:

١- دعاء مسألة.

٢- دعاء عبادة [٣] .

وهناك من زاد قسماً ثالثاً، وهو دعاء الثناء [٤] .

ومعناه: «السؤال والطلب رغبة أو رهبة أو مجموعهما» [٥] .

---

(١) انظر: السيرة الحلبية، لعلي بن برهان الدين الحلبي (٣/ ٢٣٣)، ط. عام ١٤٠٠، دار المعرفة.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٧.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٦٩)، (٢/ ٤٥٦)، (١٠/ ٢٣٧-٢٣٨)، زاد المعاد، لابن القيم (١/ ٢٣٤-٢٣٥)، وبدائع الفوائد، لابن القيم (١/ ١٦٤)، (٢/ ٩٠).

(٤) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٤٢٠)، والوابل الصيب، لابن القيم، ص ١٧٨-١٨٠.

(٥) القول الفصل النفيس، لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ص ٤٧، وانظر: ما ذكره ابن القيم في بدائع الفوائد (٣/ ٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«وأعظم الاعتداء والعدوان والذل والهوان، أن يدعى غير الله فإن ذلك من الشرك، والله لا يغفر أن يشرك به وإن الشرك لظلم عظيم» (١) .

وقال أيضاً: «دعاء الموتى والغائبين من الأنبياء والملائكة والصالحين والاستغاثة بهم والشكوى إليهم، فهذا لم يفعله أحد من السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا رخص فيه أحد من أئمة المسلمين» أ. هـ (٢) .

وقال أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«ولا يجوز لأحد أن يستغيث بأحد من المشايخ الغائبين ولا الميتين، مثل أن يقول: يا سيدي فلان أغثني وانصرني وادفع عني، وأنا في حسبك ونحو ذلك، بل كل هذا من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، وتحريمه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام» (٣) .

وهذا الشرك قد وقع فيه عامة الأمة في هذا الزمان إلا من رحم الله (٤) . بل

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٢٦٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٢٦٥).

(٣) التوسل والوسيلة، لابن تيمية، ص ١١٦.

(٤) بعض الباحثين يقدر عدد الأضرحة في القطر الذي يعيش فيه بما لا يقل عن عدد المدن والقرى في هذا القطر، حيث يقول: «وأضرحة الأولياء التي تنتشر في مدن مصر نحو ستة آلاف قرية: هي مراكز لإقامة الموالد للمريدين والمحبين، ويمكننا القول: إنه من الصعب أن نجد يوماً على مدار السنة

= =

هو أصل شرك العالم [١] .

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«غرهم الشيطان فقال: بل هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين، وكلما كنتم أشد لها تعظيماً، وأشد فيهم غلوا، كنتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد»[٢]

حتى قال بعضهم: «إذا نزلت نازلة بالمسلمين يذهبون إلى القبور ويدعون عندها لزوال ضرها...»أ. هـ[٣] .

وقال أيضاً: «ثم يتوسل بأهل تلك المقابر: أعني بالصالحين منهم في قضاء حوائجه ومغفرة ذنوبه»أ. هـ[٤] .

= =

ليس فيه احتفال بمولد ولي في مكان ما بمصر»، دمعة على التوحيد، من إصدارات المنتدى، ص ٢٥-٢٦.

ويقول عبدالله المحجوب الميرغني ت ١٢٠٧ في رسالته (تحريض الأغبياء على الاستعانة بالأنبياء والأولياء): «ولهذا يتبين لك وجوب(!!) التعلق بالوسائل والأسباب، وتأكد لزوم التزام الوسائط والأبواب، فتعلق بالوسائل والأسباب والجأ واستغث، وانده لخواص الله والأحباب، وأطرق لدى الخطوب ما شئت من الأبواب، تنل بذلك من فيض الوهاب ما لا يدخل في حساب»أ. هـ، نقلاً من المصدر السابق، ص ٤٥.

(١) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٣٤٦).

(٢) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ١٩٨).

(٣) المدخل، لابن الحاج (١/ ٢٤٨).

(٤) المرجع السابق.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«فتفكر رحمك الله، فيما حدث في الناس اليوم من دعاء غير الله، في الشدة والرخاء، فهذا تلحقه الشدة في البر أو البحر فيستغيث بعبدالقادر [١] ، أو شمسان أو نبي من الأنبياء، أو ولي من الأولياء أن ينجيه من هذه الشدة [٢] ، فيقال لهذا الجاهل: إن كنت تعرف أن الإله هو المعبود، وتعرف أن الدعاء من العبادة، فكيف تدعو مخلوقاً ميتاً، وتترك الحي القيوم الحاضر الرؤوف الرحيم القدير» [٣] أ. هـ، كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) انظر ما ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن تكفير الطاغوت شمسان في مؤلفات الإمام محمد بن عبدالوهاب، ص ٧٥، ٨٩، ٢٢٨.

(٢) ذكر الشيخ علي بابكر قصة واقعية حصلت للشيخ محمد أحمد باشميل ذكرها في رسالة له بعنوان: «كيف نفهم التوحيد» ملخصها أن مجموعة من الجهلة ركبوا سفينة في البحر الأحمر، وكان معهم فهاجت السفينة وغشيهم الموج من كل مكان، وفي تلك الساعة العصيبة ضج القبوريون بالدعاء وطلب العون والمدد من الأموات والغائبين ومنهم الشيخ سعيد بن عيسى الذي فارق الحياة منذ أكثر من ستمائة سنة قائلين: (يا ابن عيسى، با ابن عيسى حلها يا عمود الدين) وعندما حاول الشيخ محمد باشميل نصحهم ثاروا عليه ووصفوه بأنه وهابي، وكادوا يقذفون به بين الأمواج، وعندما هدأت العاصفة أقبل بعضهم يهني بعضاً مذكرين بأنه لولا حضور القطب ابن عيسى لكانوا في بطون الأسماك...!! فعجباً من هذا الكفر الصراح، انظر: الآيات البينات في تحريم دعاء الاموات، ص ١٣-١٨.

(٣) الدرر السنية (٢/ ٥٤). جمع العلامة عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط. الثانية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، دار العربية، بيروت.

ومن الأمثلة قول بعض المتصوفة:

يا ملاذي يا منجدي يا منائي
يا معادي يا مقصدي يا رجائي
يا نصيري يا عمدتي يا مجبري
يا خفيري يا عدتي يا شفائي
أدرك أدرك أغث أغث يا شفيعي
عند ربي واعطف وجد الرضاء
أنت عوني وملجئي وغياثي
وجلا كربتي وأنت غنائي [١]

وقول آخر:

يا مرجي الخطوب أنت المرجى
عندما ترجى الخطوب الرجاء
عظمت كربتي فجئتك قصدا
قاصداً للعظائم العظماء [٢]

وهذا كله شرك بدعاء غير الله.

---

(١) شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، للنبهاني، ص ٣٥٥. طبعة إيشيق، اصطنبول، تركيا.
(٢) المرجع السابق، وانظر: ديوان عبدالرحيم البرعي، ص ١٤-٢٥.

وقول آخر في حق عبدالقادر الجيلاني:

«يا صاحب الثقلين أغثني وأمدني بقضاء حاجتي وتفريج كربتي، أغثني يا محيي الدين عبدالقادر، أغثني يا ولي عبدالقادر، أغثني يا سلطان عبدالقادر... يا حضرة الغوت الصمداني، يا سيدي عبدالقادر الجيلاني، عبدك ومريدك مظلوم عاجز محتاج إليك في جميع الأمور في الدين والدنيا والآخرة...» (١) . وهذا كله شرك بدعاء غير الله.

ولا شك أن الشياطين تفتنهم بهذا فتنة عظيمة، حيث يسمعون الأصوات تخاطبهم وترد عليهم من داخل هذه القبور، وأحياناً تظهر لهم في صورته، فقضى حوائجهم التي طلبوها فيزدادون فتنة وضلالاً – والعياذ بالله – .

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«وهؤلاء المستغيثون بالغائبين والميتين عند قبورهم وغير قبورهم لما كانوا من جنس عباد الأوثان صار الشيطان يضلهم ويغويهم كما يضل عباد الأصنام ويغويهم، فتتصور الشياطين في صورة ذلك المستغاث به وتخاطبهم بأشياء على سبيل المكاشفة، كما تخاطب الشياطين الكهان» (٢) .

رابعاً: شرك الشفاعة:

ومن أنواع الشرك التي كاد بها الشيطان العباد، شرك الشفاعة، قال تعالى: ﴿

(١) دمعة على التوحيد، ص ٢١٢.

(٢) التوسل والوسيلة، لابن تيمية، ص ١١٦.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

«والشفاعة في اللغة مأخوذ من شفع، وهي خلاف الوتر، وهو الزوج، نقول: كان وتراً فشفعته شفعاً، وشفع لي يشفع شفاعة، وتشفع: طلب، والشفيع: الشافع، والجمع شفعاء، واستشفع بفلان على فلان وتشفع له إليه فشفعه فيه» (٢) .

إذن فالشفاعة بمعنى ضم شيء إلى آخر مساوياً له أو دونه لإعانته أو التوصل إلى محبوب عنده.

وهي تعني عند المشركين دعاء غير الله والتوجه إليه بالعبادة والتضرع والرغبة والرهبة والمحبة وسؤاله الحاجات، ليكون ذلك وسيلة إلى نيل ما عند الله عز وجل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«وكثيراً ما يتمثل لهؤلاء المشركين صورة ذلك الشخص المستغاث به ويكون

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٨.

(٢) لسان العرب، لابن منظور (٨/ ١٨٣-١٨٤)، وانظر: الصحاح (٣/ ١٢٣٨)، القاموس المحيط، ص ٩٤٧.

ذلك شيطاناً تمثل على صورته ليضل ذلك المستغيث به المشرك، كما كانت الشياطين تكلم الناس من الأصنام، وكما يقع كثير من ذلك في أرض الشرك أرض الصين والترك والهند والغرب والجنوب والشمال يردون أحياناً أن ميتهم قد جاء وحدثهم بأمور، وقضى لهم حوائج فيظنونه قد عاش بعد موته، وإنما هو شيطان قد تمثل على صورته»أ.هـ [١] .

وقد لبس عليهم الشيطان هذا الشرك بشبهة عظيمة تتلخص في أن هؤلاء المشركون يقولون: إن الله تعالى لعظمته لا نسأله إلا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك.

ثم جعلهم يصرفون العبادة لذلك الشافع والوسيط، مع فقر هؤلاء الآلهة [٢] وحاجتهم للخالق جل وعلا، قال تعالى: ﴿ **أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا** ﴾ [٣] .

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «لا يجوز أن يقول لملك ولا نبي ولا شيخ – سواء كان حياً أو ميتاً – اغفر ذنبي، ولا انصرني على عدوي، ومن سأل ذلك

---

(١) الصفدية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٢٩٢)، ط. الثانية، ١٤٠٦هـ، تحقيق: رشاد سالم.

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، ص ٣١٦، كشف الشبهات مع الهامش ص ١١-١٩، مجموع الفتاوى (٦/ ١٣٣)، الهدية السنية جمع ابن سحمان، ص ٥١-٥٢.

(٣) سورة الزمر، الآيتان: ٤٣-٤٤.

مخلوقاً، فهو مشرك بربه من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والتماثيل التي صوروها على صورهم، ومن جنس دعاء النصارى للمسيح وأمه...» (١).

والشفاعة المثبتة لا تكون إلا بإذن الله تعالى ورضاه عن الشافع والمشفوع (٢).

قال تعالى: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ﴾ (٣).

وقولـه: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ (٤).

وقولـه تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴾ (٥).

خامساً: القول على الله بلا علم:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ

---

(١) كتاب الزيارة، ص ٧٨-٧٩، ط. عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، دار مكتبة الحياة، مراجعة وتعليق: سيف الدين الكاتب.

(٢) انظر:في تفصيل الشفاعة وأنواعها، مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٨٠-٣٨٢)،(١٤/ ٤١٤)، مدارج السالكين (١/ ٣٤٠-٣٤١)، شرح الطحاوية، ص ٢٣٥-٢٣٦.

(٣) سورة يونس، الآية: ٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

﴿وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١) .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «أي إنما يأمركم عدوكم الشيطان بالأفعال السيئة، واغلظ منها الفاحشة كالزنا ونحوه، واغلظ من ذلك وهو القول على الله بلا علم فيدخل في هذا كل كافر وكل مبتدع» أ. هـ (٢) .

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (٣) .

وقد نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث (٤) ، فقد كان يكثر الجدل في الملائكة يزعم أنها بنات الله، وأن القرآن أساطير الأولين، وينكر البعث والقيامة، فأخبر تعالى أنه في جداله هذا متبع للشيطان، الذي قضى الله تعالى عليه بأن كل من يتبعه سوف يصير إلى ضلال وعذاب أليم – والعياذ بالله – (٥).

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١٦٨-١٦٩.

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٩).

(٣) سورة الحج، الآيتان: ٣-٤.

(٤) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، من بني عبدالدار، من قريش، كان من شجعان قريش ووجوهها آذى النبي ﷺ كثيراص، صاحب لواء المشركين ببدر، وقتل بها سنة ٢هـ، وهو ابن خالة النبي ﷺ ، وكان كثير الأذى والصد عن رسول الله ﷺ ، انظر: الإصابة في ترجمة ابنته (قتيلة) رقم: ٨٨٩، (٨/ ١٧٠)، ومعجم البلدان (١/ ١١٢)، الأعلام (٨/ ٣٣).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٦١٣)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٢/ ٥)، معالم التنزيل، للبغوي (٣/ ٢٧٤-٢٧٥).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«وهذا حال أهل البدع والضلال المعرضين عن الحق المتبعين للباطل يتركون ما أنزلـه الله على رسوله من الحق المبين، ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة الدعاة إلى البدع بالأهواء والآراء»أ. هـ [١] .

ومن الأمثلة على القول على الله بلا علم (ادعاء علم الغيب) وللشيطان فيه أعوان ومقربون ومن أبرزهم:

١ - الكهان:

والكهانة هي: «فعالة مأخوذة من التكهن، وهو التخرص والتماس الحق بأمور لا أساس لها» [٢] .

والكاهن: «هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل» [٣] .

وأساسها قائم على استراق الجني للسمع من كلام الملائكة، ثم يلقيه على أذن الكاهن فيزيد فيه وينقص [٤] .

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«والكهانة كانت ظاهرة كثيرة بأرض العرب، فلما ظهر التوحيد هربت

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٦١٣).

(٢) معجم ألفاظ العقيدة، عامر بن عبدالله فالح، ص ٣٤٠، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢١٤).

(٣) معجم ألفاظ العقيدة، ص ٣٤٠، مقدمة فتح الباري، لابن حجر (١/ ٨١).

(٤) انظر: فتح الباري (١٠/ ٢١٦-٢١٧)، ط. دار المعرفة، النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢١٤).

الشياطين وبطلت، أو قلت ثم إنها تظهر في المواضع التي يختفي فيها أثر التوحيد...»أ. هـ[١] .

وفي الحديث عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: (إن الملائكة تنزل في العنان – وهو السحاب – فتذكر الأمر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم) [٢] .

والشياطين تخدم الكهان، وتأتي لهم بما يطلبونه منها من مال أو فعل كقتل عدو أو غير ذلك، مقابل استمتاعهم بالكهان هؤلاء فتارة يسجد لهم وقد يمكنهم من فعل الفاحشة بنفسه، وقد يفعل من يطلب منه من إهانة أسماء الله تعالى وكلامه [٣] .

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة بالنهي عن إتيان الكهان وتصديقهم فيما يقولون، وتحريم ما يعطون من الحلوان وهو حرام بإجماع المسلمين، وقد

---

(١) النبوات، ص ٢٨٠.

(٢) رواه البخاري في كتاب: «بدء الخلق»، باب: (صفة إبليس وجنوده)، رقم: ٢٢١٠، (٦/ ٣٠٤).

(٣) انظر: دقائق التفسير، لابن تيمية (٢/ ١٣٧)، ط. الثانية ١٤٠٤هـ، نشر مؤسسة علوم القرآن، دمشق، تحقيق: د. محمد السيد الحليند، وانظر: الروح، لابن القيم، ص ٢٦٦، مجموع الفتاوى (٣٥/ ١١٦)، وقد ذكر قصة لأحد معاصريه واسمه شياح وكان لـه قرين اسمه عنتر يأتيه بالأخبار... إلخ.

نقل الإجماع في تحريمه جماعة منهم أبو محمد البغوي- رحمهم الله تعالى – » أ. هـ [١] .

والكهانة ثلاثة أنواع:

١- أن يكون للكاهن ولي من الجن يخبره بما يسترقه من السمع، وهذا كان قبل بعثة النبي ﷺ ، أما بعد مبعثه فقد حرست السماء ممن يسترق السمع ترسل عليه الشهب، قال تعالى: ﴿ **وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا** ﴾ [٢] .

٢- أن يكون لـه ولي من الجن يخبره بما يحدث في أقطار الأرض وأطرافها، مما يخفى على كثير من الناس.

٣- طائفة المنجمين والعرافين الذين يستدلون على الغيب بأمور وأسباب يعرفونها، كضرب الحصى والخط في الأرض والزجر وغير ذلك، ويكون الكذب فيه هو الغالب [٣] .

٢- الساحر:

والسحرة كذلك تدعي علم الغيب، وهذا الغيب الذي تزعم هو إملاء ووحي من الشيطان الرجيم – نعوذ بالله تعالى منه – .

---

(١) شرح مسلم للنووي (٥/ ٢٢).

(٢) سورة الجن، الآية: ٩.

(٣) انظر: المرجع السابق (١٤/ ٢٢٣).

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

ومعنى ﴿ تَتْلُواْ ﴾ أي: «تتقوله وتقرؤه... على عهد ملك سليمان، وقد كانون يظنون أن هذا هو علم سليمان، وأنه يستجيزه ويقول به، فرد الله ذلك عليهم وقال: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ﴾ » (٢) .

قال الرازي: «إن الشياطين كانوا يسترقون السمع، ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة، وقد دونوها في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس، وفشا ذلك في زمن سليمان – عليه السلام – حتى قالوا: إن الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه إلا

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٢) زبدة التفسير من فتح القدير، لمحمد بن سليمان الأشقر، ص٢٠،ط. الثالثة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، دار الهجرة، الدمام.

بهذا العلم، وبه يسخر الجن والإنس والريح التي تجري بأمره»[١] .

ويقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شأن السحرة:

«وهؤلاء يعبدون الكواكب بأنواع العبادات والقرابين وتتنزل عليهم الشياطين التي يسمونها هم روحانيات الكواكب، وهي أشخاص منفصلة عليهم، وإن لم يروها سمعوا كلامها فتخبرهم وتخاطبهم بأمور كثيرة، وتقضي لهم أنواعاً من الحوائج، وهذا موجود اليوم كثيراً... وأعرف من هؤلاء عدداً وهم كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [٢] ، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [٣] ...» أ. هـ [٤] .

٣- العرافون والمنجمون:

العراف: «هو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها»[٥]

وفي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : (من أتى

---

(١) التفسير الكبير، للرازي (٣/ ٢٢٠).

(٢) سورة طه، الآية: ٦٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٤) الصفدية (١/ ١٧٣)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٦٠).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣).

عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) [١] .

«وظاهر الحديث أنه يكفر متى اعتقد صدقه بأي وجه كان لاعتقاده أنه يعلم الغيب، وسواء كان ذلك من قبل الشياطين أو من قبل الإلهام ولا سيما وغالب الكهان في وقت النبوة إنما كانوا يأخذون عن الشياطين»[٢] .

وأما المنجم فهو مدعي علم التنجيم، وهو «الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية» [٣] .

ومن هذه الحوادث أوقات هبوب الرياح، ونزول المطر، والحر والبر، وبزعمون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها، ويزعمون أنها تؤثر في حوادث الأرض، وكل ذلك إدعاء لعلم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله [٤] .

والتنجيم على ثلاثة أقسام، «أحدها كفر بإجماع المسلمين، وهو القول بأن الموجود في العالم السفلي مركبة على تأثير الكوكب... وإن لـه قدرة فاعلة

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، رقم: ١٥، (١/ ٤٩) وصححه، ورواه البيهقي في السنن الكبرى، رقم: ١٦٢٧٣، (٨/ ١٣٥)، وأبو يعلى في مسنده، رقم:٥٤٠٨، (٩/ ٢٨٠)، والجعد في مسنده، رقم: ١٩٤١، (١/ ٢٨٧) عن عبدالله بن مسعود، ط. الأولى عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، مؤسسة نادر، بيروت، تحقيق: عامر أحمد، والطبراني في الأوسط عن ابن مسعود، رقم: ١٤٥٣، (٢/ ١٢٢).

(٢) شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبدالله بن سليمان بن محمد بن عبدالوهاب، ص ٣٥٨.

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٢)، وانظر: شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالله بن سليمان، ص ٣٨٧، والفروع لابن مفلح المقدسي (٦/ ١٦٩).

(٤) شرح كتاب التوحيد، ص ٣٨٧، وشرح الطحاوية، ص ٥٦٨.

مختارة وهذا قول الصابئة المنجمين.

الثاني: الاستدلال على الحوادث الأرضية بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها مع نسبة الفعل لتقدير الله ومشيئته، فلا ريب في تحريم ذلك، واختلف المتأخرون في تكفير القائل بذلك، وينبغي أن يقطع بكفره، لأنها دعوى لعلم الغيب.

الثالث: تعلم منازل الشمس والقمر للاستدلال بذلك على القبلة وأوقات الصلاة، وهذا مما اختلف فيه السلف» [١] .

ويدخل في ادعاء علم الغيب ما يسمى بالعيافة والطرق والطيرة، عن قبيصة [٢] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت)، قال عوف [٣] : العيافة زجر الطير، والطرق الخط في الأرض،

---

(١) المرجع السابق (باختصار وتصرف يسير)، ص ٣٨٨، وص ٣٩٣، وانظر: في القسم الثالث مجموع فتاوى العقيدة، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٢/ ١٨٥).

(٢) قبيصة بن المخارق بن عبدالله بن شداد بن صعصعة الهلالي أبو بشر،روى عن النبي ﷺ ، روى عنه ولده قطن وأبو عثمان النهدي، قال البخاري وابن أبي حاتم لـه صحبة ويقال له البجلي، انظر: الإصابة (٥/ ٤٠١).

(٣) عوف بن أبي جميلة العبدي أبو سهل البصري المعروف بالأعرابي، مات سنة ١٤٦هـ، وقيل: سبع، روى عن الحسن البصري وحيان بن العلاء، روى عنه يزيد بن هارون، ومحمد بن جعفر غندر، وثقه يحيى بن معين والنسائي وأحمد بن حنبل، وقال ابن حجر: رمي بالقدر والتشيع، انظر: تهذيب الكمال، للمزي (٢٢/ ٤٣٧)، تقريب التهذيب، رقم: ٥٢١٥، ص ٤٣٣، تهذيب التهذيب، لابن حجر (٨/ ١٤٨)، لسان الميزان، لابن حجر (٧/ ٣٣٠).

والجبت قال الحسن إنه الشيطان) [١] .

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وكلها ينطبق عليها اسم الكهانة قاله القاضي عياض» [٢] .

وذكر بعض العلماء فرقاً بين الكهانة والعرافة، بأن الكهانة يدعي معرفة ما في المستقبل، وأما العراف فيدعي معرفة الشيء المسروق والضالة، يعني ما مضى والكاهن فيما يستقبل [٣] .

سادساً: الـردة:

والرِّدة بمعنى التحول والرجوع والاسترداد وارتد فلان عن الإسلام إذا كفر بعد إسلامه ورجع عن الإسلام [٤] .

والشيطان في مكايده في هذا التوحيد لم يقتصر على إضلال من ضلَّ وحاد عن الطريق، بل لـه مكايد عظيمة، وحيل ووسائل لمن سلك سبيل الحق

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٦٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٣٩)، وأبو داود في كتاب: «الطب»، باب: (في الخط وزجر الطير)، رقم: ٣٩٠٧، (٢/ ٤٠٩)، والنسائي في السنن الكبرى، رقم: ١١١٠٨، (٦/ ٢٤)، والطبراني في المعجم الكبير، رقم: ٩٤٥، (١٨/ ٣٦٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/ ٣).

(٣) انظر: شرح مسلم للنووي (٥/ ٢٢)، وقد نقله عن الخطابي.

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور (٣/ ١٧٣-١٧٤)، مختار الصحاح (١/ ١٠١)، المطلع على أبواب المقنع، تأليف: محمد البعلي الحنبلي، ص ٣٧٨، ط. عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، المكتب الإسلامي، بيروت، أنيس الفقهاء، تأليف: قاسم القونوي (١/ ١٨٦-١٨٧)، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ، دار الوفاء، جدة، تحقيق: د. أحمد بن عبدالرزاق الكبيسي.

وسار عليه، ليرده على طريق الضلال والانتكاس بالردة عن دين الله.

والردة بمعنى التحول والرجوع والاسترداد، ويقال: ارتد فلان عن الإسلام إذا كفر بعد إسلامه [١] .

وفي قصة ردة عبدالله بن السرح [٢] ، أبرز مثال على ذلك، وكان صحابياً وكاتباً لوحي رسول الله ﷺ .

كما في الحديث عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كان عبدالله بن سعد بن أبي السرح يكتب لرسول الله ﷺ فأزله الشيطان فلحق بالكفار، فأمر رسول الله ﷺ أن يقتل يوم الفتح، فاستجار له عثمان بن عفان فأجاره رسول الله ﷺ) [٣] .

---

(١) انظر: لسان العرب (٣/ ١٧٣-١٧٤٩، مختار الصحاح ٠١/ ١٠١)، المطلع على أبواب المقنع، ص ٣٧٨، انيس الفقهاء (١/ ١٨٦-١٨٧).

(٢) عبدالله بن سعد بن أبي السرح القرشي العامري من بني عامر بن لؤي أخو عثمان بن عفان لأمه من الرضاعة، أسلم قبل فتح مكة وكان من كتاب الوحي ثم أرتد عن الإسلام ولحق بالمشركين بمكة وفي فتح مكة أهدر الرسول ﷺ فاستأمن له عثمان فأمنه الرسول ثم رجع إلى الإسلام، انظر: البداية والنهاية (٥/ ٣٥٠).

(٣) رواه أبو داود في كتاب: «الحدود»، باب: (الحكم فيمن ارتد)، رقم: ٤٣٥٨، (٤/ ٨٨-٨٩)، والنسائي في كتاب: «تحريم الدم»، باب: (توبة المرتد)، رقم: ٤٠٦٩، (٧/ ١٠٧)، وقال المنذري: «في إسناده على بن الحسين بن واقد وفيه مقال»، أ. هـ، وقد توبع تابعه علي بن الحسين بن شقيق، وهو من الثقات، فيرتقي الحديث به إلى الصحيح لغيره، انظر: رسالة الأحاديث الواردة في الشيطان، د. إلهام، ص ٨٠٧.

وقد رجع إلى الإسلام وبايعه النبي ﷺ يوم الفتح [١] .

وربما دخل الشيطان على العابد وعلى قارئ القرآن، كما في حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : (إن مما أتخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا ربت بهجته وكان ردء الإسلام اغتره الشيطان إلى ما شاء الله، فانسلخ منه ونبذه وراء ظهره وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك.

قلت: يا نبي الله أيهما أولى بالشرك المرمي أو الرامي، قال: (لا بل الرامي) [٢].

وقد كاد العباد لنقض هذا التوحيد بشبه واهية، ومكايد وأساليب خفية، لبّس بها عليهم الحق بالباطل، حتى وقع في شباكه عدد لا يحصى من الخلق

ومنها:

إيهامهم أن المهم هو توحيد الربوبية، فمن اعتقد بربوبية الله سبحانه وتعالى، فلا عليه أن يصرف العبادة لمن شاء من المخلوقات، ولا يعد ذلك مُخرجاً لـه من الإسلام ، فيدعو من شاء يستغيث بمن شاء مادام يعترف بالربوبية، وأن

---

(١) روى بيعته البيهقي في السنن الكبرى، رقم: ٣٥٣٠، (٢/ ٣٠٢)، وانظر: البداية والنهاية لابن كثير (٥/ ٣٥٠).

(٢) رواه عبدالله بن محمد بن علي الهروي، في ذم الكلام، ص ٤٣، تحقيق: د. سميح وغيم، ط. الأولى، ١٩٩٤م، دار الفكر، وابن حبان في صحيحه، رقم: ٨١ (١/ ٢٨١-٢٨٢) والبزار في مسنده رقم: ٢٧٩٣ (٧/ ٢٢٠) وحسنه.

ما ورد من الآيات في ذم المشركين إنما لأنهم لم يؤمنوا بالربوبية [١] .

وهذه مغالطة وإنكار لصريح المعنى الوارد في الآيات القرآنية التي تثبت إيمانهم بالربوبية، ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [٢] .

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «إنك لست تلقى أحداً منهم إلا أنباك أن الله ربه، وهو الذي خلقه ورزقه وهو مشرك في عبادته»أ. هـ [٣] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«فأما من أنكر الصانع، فذلك جاحد معطل للصانع، كالقول الذي أظهره فرعون والكلام الآن مع المشركين بالله المقرين بوجوده، فإذاً هذا التوحيد الذي قرروه لا ينازعهم فيه هؤلاء المشركون، بل يقرون به مع أنهم مشركون، كما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع، وكما علم بالاضطرار من دين

---

(١) انظر: في إبطال هذه الشبهة في كتاب: «الشرك في القديم والحديث» أبو بكر محمد زكريا، (٢/ ١١٨٧-١١٨٨)، (٢/ ١١٦٣)، وتفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (٢/ ٦٥ وما بعدها)، ط. الثانية، دار المعرفة، بيروت، ودمعة على التوحيد، ص ١٣٥ وما بعدها.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣١.

(٣) جامع البيان، لابن جرير (١٣/ ٧٨).

الإسلام» [١] .

ومنها الاحتجاج بالقدر على المعاصي، فالشيطان أول من احتج بالقدر على المعاصي، قال تعالى: ﴿ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[٢] .

وقوله تعالى: ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٣] .

فيقول: الله قدَّر المعاصي عليَّ فكيف يعذبني على شيء قدره عليَّ لا حيلة لي في دفعه، وهذه شبهة شيطانية وقع فيها الجبرية الضالة، ومن قبلهم كان احتجاج المشركين بها، حيث قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ ﴾ [٤] .

فيبين الله تعالى أن ذلك لم ينفعهم، بل عذبوا على كفرهم، ووصفهم بالجهل واتباع الظن الذي لا يغني عن الحق شيئاً، وطالبهم بالحجة والبرهان، ولهذا

---

(١) التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ١٨١-١٨٢، تحقيق: د. محمد عودة السعوي، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٣٩.

(٤) سورة الأنعام، البية: ١٤٨.

حذر النبي ﷺ أمته من فتح عمل الشيطان في باب القضاء والقدر، فقال: (... احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان).

لما يلقيه في القلب من الوساوس، والشبهات ومعارضة القدر وقد سبق التفصيل في ذلك [١].

ولو صح الاحتجاج بالقدر للزم من ذلك أن يكون فرعون وقارون، وأقوام الرسل جميعاً الذين كذبوا رسلهم وعصوهم، معذورين، لا لوم عليهم ولا عتب، وهذا الكفر الصريح، كما إنه يلزم من ذلك ألا يفرق بين أولياء الله وبين أعدائه، كما أن ما قدره الله على العبد أمر مجهول لا يعلمه أحد، فكيف يسلك العبد سبيل الغواية ويحتج بالقدر؟!

ولماذا لا يسلك سبيل الاستقامة، ويقول هذا قدري؟ لا شك أن هذه مغالطة، ولو كان القدر حجة للعصاة، لكان في إرسال الرسل عبث ينزه الرب تعالى عنه، حيث أخبر أن الرسل تقيم الحجة وتبين البرهان فلو كان

(١) انظر: ص ٣٢٨-٣٣٠.

القدر حجة للعصاة لما أقيمت هذه الحجة [١] .

ولهذا جعل الله العبد مسئولاً عن عمله وكسبه، وأن ما يناله من عذاب جزاء كفره، وفعله الذي هو بإرادته وقدرته، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ [٢] .

وقولـه تعالى: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [٣] .

واثبت لـه مشيئة، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [٤]، وعلى هذا اتفق سلف الأمة وأئمتها [٥] ، وكان السلف

---

(١) انظر: منهاج السنة، لابن تيمية (٣/ ٥٤-٧٢)، مجموع الفتاوى (٨/ ٢٦٢-٢٦٥)، (٨/ ٢٨٨)، الدرة البهية لابن سعدي (١٩/ ٢٠)، (٥١-٥٢)، لمعة الاعتقاد مع شرحه، لابن عثيمين، ص ٩٣-٩٥.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٠٨.

(٣) سورة يونس، الآية: ٥٢.

(٤) سورة الإنسان، الآيتان: ٢٩-٣٠.

(٥) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٥٩-٤٦٠).

ينكرون لفظ (الجبر)، ويقولون: (جبل) [١] .

والجبر من الألفاظ المجملة، فإن أريد بالجبر القهر والقدرة، وهو معنى اسم الله تعالى (الجبار)، أي بمعنى أنه قادر على كل شيء قاهر له، ومن قهره أن يجعل لـه قدرة وإرادة على الفعل، فهذا صحيح فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

وإن أريد بالجبر الإكراه على الفعل، مع عدم القدرة على جعل الشخص مريداً لفعله، أو قادراً عليه فهذا باطل، ولا يطلق على الله تعالى عما يقولون علواً كبيراً؛ وهذا قد يفعل المخلوق مثله.

والفرق بينه وبين ما قبله يتبين بما يلي:

١- عجز المخلوق عن جعل المكره قادراً أو مريداً.

٢- إن هذا قد يسمى ظلماً والله تعالى منزه عن الظلم.

٣- إن المخلوق جاهل بالعاقبة، ولا يعلم الحكمة وقد يكون سفيهاً، جاهلاً، أما الرب تعالى فأفعاله على مقتضى حكمته وعلمه سبحانه.

٤- إن جبر المخلوق لمخلوق يكون لنقص في المكره وعجز عن القيام بالعمل بمفرده والله تعالى له الكمال المطلق [٢] .

---

(١) انظر: السنة، للخلال، ص ٥٤٩-٥٥٠، مجموع الفتاوى (٨/ ١٠٣-١٠٤)، (٨/ ٤٦٠-٤٦٢)، شفاء العليل، ص ٢٢٠، شرح الطحاوية، ص ٥١٤.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٤٦٣-٤٦٥)، شفاء العليل، ص ٢٢٠-٢٢٢.

والقول بالجبر من أشنع البدع، وأشدها قبحاً، قال العلامة عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وهذا القول من أشنع البدع وأنكرها، وهو مخالف للكتاب والسنة، وإجماع الأئمة المهتدين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ومخالف للعقول والفطر، ومخالف للمحسوس، وكل قول يمكن صاحبه أن يطرده، إلا هذا القول الشنيع»أ. هـ[١].

ومما يدل على بطلان هذا القول عدة أمور:

الأول: إن الله تعالى نسب أفعال العباد إليهم، كما سبق ذكره في الآيات، وأخبر أنه يجازيهم بها، فدل على أن لهم قدرة وإرادة، والله تعالى خالقهم وخالق إرادتهم وقدرهم.

الثاني: إنه يلزم منه سقوط الأمر والنهي، إذا لا قدرة للعبد على فعل مأمور أو ترك محظور.

الثالث: إنه يلزم منه إسقاط إقامة الحدود على مرتكبي الجرائم، إذ هم مجبورون على الفعل، ومعلوم أنه لو أعتدي على أحد هؤلاء الجبرية معتد ثم احتج بالقدرة وأنه لا قدرة لـه على الترك لعد ذلك زيادة تهكم وظلم.

الرابع: أنه يلزم منه إبطال الأسباب وتعطيلها سواء كانت دينية أو دنيوية[٢]

---

(١) الدرة البهية، لابن سعدي، ص ٢٢.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٢٢-٢٣.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«فمن نظر إلى الحقيقة القدرية، وأعرض عن الأمر والنهي والوعد والوعيد كان مشابها للمشركين، ومن نظر إلى الأمر والنهي وكذب بالقضاء والقدر كان مشابهاً للمجوسيين، ومن آمن بهذا وهذا، وإذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر؛ وعلم أن ذلك كله بقضاء الله وقدره، فهو من المؤمنين، فإن آدم – عليه السلام – لما أذنب تاب فاجتباه ربه وهداه، وإبليس أصر واستكبر، واحتج بالقدر؛ فلعنه الله وأقصاه»أ.هـ [١].

ومنها إيهامهم إن ذلك من التوسل المشروع، ودخل عليهم من باب الأدلة التي جاء فيها جواز التوسل، ولم يفرقوا فيها بين التوسل الجائز والممنوع [٢] .

قال النبهاني:

«وينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل والتوجه به ﷺ ، فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه، فإن كلا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه للنبي واقع في كل حال قبل خلقه وبعده، في مدة حياته في الدنيا وبعد موته، في مدة البرزخ، وبعد البعث في

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٨/ ٢٤٣).

(٢) انظر: التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، والتوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع، لنسيب الرفاعي، والشرك في القديم والحديث (٢/ ١١٦٦) وما بعدها.

عرصات القيامة» [١] .

ومنها إيهامهم أن دعاء الأنبياء والصالحين جائز، لأنه من باب التوسط بهم إلى الله تعالى، ومن باب طلب الشفاعة منهم دون تفريق بين الشفاعة المثبتة والمنفية [٢] .

وأوهمهم أن عبادة الأصنام أشد وأدعى لتعظيم الله تعالى، فقالوا مقام الله عز وجل أعظم من أن نعبده، ولكن نعبد هذه الأصنام لتكون لنا شفعاء عند الله سبحانه وتعالى [٣] .

قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ** ﴾[٤] .

جاء في سبب نزولها أن النضر بن الحارث قال: «سوف تشفع لي اللات والعزى»[٥] فنزلت هذه الآية.

«بل كادهم إبليس بأعظم من ذلك فكانوا ويزعمون أن المؤثر في حوادث

---

(١) الأنوار المحمدية، ص ٦٠٤، وانظر: المدخل، لابن الحاج (١/ ٢٥٨-٢٥٩).

(٢) انظر: الشرك في القديم والحديث، لأبي بكر محمد زكريا (٢/ ١١٩٩).

(٣) انظر: تفسير الرازي (١٧/ ٦٣).

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٤.

(٥) انظر: جامع البيان لابن جرير الطبري (٧/ ٢٧٩).

العالم هو قوى النفس أو الحركات الفلكية أو القوى الطبيعية فيقولون: إن الإنسان إذا أحب رجلاً صالحاً قد مات، ولا سيما إن زار قبره فإنه يحصل لروحه اتصال بروح ذلك الميت فيما يفيض على تلك الروح الزائر المستشفعة من غير أن يعلم الله بشيء من ذلك...» [١] !!

ويحسن لهم الدعاء عند القبور، فإذا ما أجيبت دعوة العبد انتقل معه إلى فتنة أخرى أشد وهي دعاء الله بصاحب القبر وسؤاله به والإقسام عليه به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«وهو بدعة باتفاق المسلمين» [٢].

ثم يتدرج معه إلى فتنة أعظم، وهي اتخاذ هذا القبر وثناً يعبد، ويعكف عليه ويطاف ويتمسح به، فإذا تمكن ذلك من قلب هذا العبد انتقل به إلى فتنة أشد، وهي دعوة الناس إلى عبادة هذا القبر واتخاذه عيداً.

ثم يوهم الناس أن المنع من قصد القبر وإيقاده بالسرج وبناء القباب عليه والسفر إليه والاستغاثة به، إنما هو حط من قدر صاحب القبر وتنقيص لـه، فتراهم ركعاً، سجداً، معظمين لهذا القبر، ولا حول ولا قوة إلا الله [٣] .

---

(١) مجموع الفتاى (١/ ١٦٧-١٦٨).

(٢) نقله عنه تلميذه ابن القيم – رحمهما الله – في إغاثة اللهفان (١/ ١٦٨)، ط. مكتبة الثقافة.

(٣) انظر: المرجع السابق (١/ ١٦٧-١٦٩)، وانظر: في أبطال هذه الشبهة: مجموع الفتاوى (١/ ٢٠٠)، (١/ ١٦٧-١٦٨)، (٦/ ٢٥٤، ٥١٤)، (١٥/ ٤٠٦)، وإغاثة اللهفان (١/ ١٧٠ وما بعدها)، وحادي الأرواح، ابن القيم، ص ٢٠٨، شرح الطحاوية، لابن العز ، ص ٢٣٧، ط. المكتب

= =

ومنها إيهامهم أن الأنبياء والأولياء وأصحاب الأضرحة أحياء في قبورهم يسمعون من يدعوهم ويقضون حاجات من يلجأ إليهم، وقد يسعى إبليس وأعوانه في تأكيد الفتنة بما يحصل عند هذه الأضرحة من سماع الأصوات ورؤية بعض الأشخاص.

كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال:

«ولا ريب أن الأوثان يحصل عندها من الشياطين وخطابهم وتصرفهم ما هو من أسباب ضلال بني آدم، وجعل القبور أوثاناً هو أول الشرك، ولهذا يحصل عند القبور لبعض الناس من خطاب يسمعه وشخص يراه وتصرف عجيب ما يظن أنه من الميت، وقد يكون من الجن والشياطين، مثل أن يرى القبر قد انشق وخرج منه الميت وكلمه وعانقه، وهذا يرى عند قبور الأنبياء وغيرهم، وإنما هو شيطان، فإن الشيطان يتصور بصور الإنس ويدعي أحدهم أنه النبي فلان أو الشيخ فلان، ويكون كاذباً في ذلك، وفي هذا الباب من الوقائع ما يضيق هذا الموضع عن ذكره، وهي كثيرة جداً، والجاهل يظن أن ذلك الذي رآه قد خرج من القبر وعانقه أو كلمه هو المقبور أو النبي أو الصالح...إلخ» (١).

= =

الإسلامي، وتأسيس التقدس، لابن بابطين، ص ٨٢، ومقومات التصور الإسلامي، لسيد قطب، ص ١٠٨-١٠٩، والآيات البينات لعلي بابكر، ص ٢٠.

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١٦٨).

وقضاء الحوائج قد يكون سببه اضطرار الداعي، أو رحمة الله له، أو أمراً قضاه الله [١] .

وقد يكون فتنة لـه لإضلاله وإضلال أتباعه، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقولـه: «وهكذا كثير من أهل البدع والضلال والشرك المنتسبين إلى هذه الأمة؛ فإن أحدهم يدعو ويستغيث بشيخه الذي يعظمه وهو ميت... ويرى ذلك الشخص قد أتاه في الهواء ودفع عنه بعض ما يكره ، أو كلمه ببعض ما سأله عنه... وهو لا يعرف أن تلك شياطين تصورت في صورته لتضله، وتضل أتباعه، فتحسن لهم الإشراك بالله ودعاء غير الله»أ.هـ[٢] .

ومنها افتتانهم بقضاء الحوائج فيقال: فلان ذهب إلى قبر الولي فلان وسأله حاجته فقضيت، وسأله الشفاء فشفي [٣] ، وتنشر مثل هذه القصص الموهمة، والحكايات الغريبة، ويروج لها أحاديث موضوعة ومختلفة، كقولهم: (إذا أعتيكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور).

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٥٣)، وإغاثة اللفهان (١/ ٣٣٣-٣٣٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٥٦) باختصار، وانظر: تلخيص الاستغاثة، لابن تيمية، ص ٣٢٥ وما بعدها، ط. ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، د. دار أطلس للنشر.

(٣) انظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم (٨/ ١٦٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«فهذا الحديث كذب مفترى على النبي ﷺ ، بإجماع العارفين بحديثه لم يروه أحد من العلماء بذلك، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة» أ.هـ[١]

وقولهم: (لو أحسن أحدكم ظنه بحجر نفعه).

ومنها افتتانهم بما يرون من الصور والأشكال، فيرى أحدهم النبي ﷺ ويزعم أنه صافحه وعانقه يقظة لا مناماً، بل ربما رأى الكعبة تطوف به ، وربما يرى عرشاً وعليه صورة عظيمة أو يرى أشخاصاً يظنها الملائكة فيظن أن هذه الصورة العظيمة هي الله تعالى وتقدس [٢] .

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«فإذا كانت الشياطين تأتي الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – لتؤذيهم وتفسد عبادتهم... فكيف من هو دون الأنبياء؟ فالنبي ﷺ قمع شياطين الإنس والجن بما أيده الله تعالى من أنواع العلوم والأعمال... فمن كان متبعاً

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٣٥٦)، وانظر: كلام ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/ ٣٣٢)، والمجموع المفيد في نقض القبورية، د. محمد الخميس، ص ١١٧، ط. الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، دار أطلس.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٧١-١٧٢)، وقد ذكر قصة الشيخ عبدالقادر الجيلاني في حكايته المشهورة: «حيث قال كنت مرة في العبادة فرأيت عرشاً عظيماً وعليه نور فقال لي: يا عبدالقادر! أنا ربك وقد حللت لك ما حرمت على غيرك، قال: فقلت: له أنت الله الذي لا إله إلا هو؟ اخسأ يا عدو الله، قال: فتمزق ذلك النور وصار ظلمة، وقال: يا عبدالقادر نجوت مني بفقهك في دينك وعلمك وبمنازلاتك في أحوالك، لقد فتنت بهذه القصة سبعين رجلاً...» أ. هـ.

للأنبياء نصره الله سبحانه بما نصر به الأنبياء.

وأما من ابتدع ديناً لم يشرعوه، وابتدع الغلو في الأنبياء والصالحين والشرك بهم، فإن هذا تتلاعب به الشياطين» (١) .

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«وقد لبس الشيطان على كثير من الجهال، فجعلهم يرجون غير الله ويسألون غيره؛ كما يفعل المشركون الذين اتخذوا من دون الله شفعاء سواء كانوا ملائكة أو أنبياء أو صالحين... وكثيراً ما يتمثل لهؤلاء المشركين صورة ذلك الشخص المستغاث به، ويكون ذلك شيطاناً تمثل على صورته ليضل ذلك المستغيث به المشرك، والشيطان كما قد يتمثل في المنام بصورة شخص؛ فقد يتمثل أيضاً في اليقظة بصورة شخص، يراه كثير من الناس؛ كما كانت الشياطين تكلم الناس من الأصنام» (٢) .

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَـٰثًا ﴾ «إناثاً يعني اللات والعزى ومناة، وكان لكل حي صنم يعبدونه، ويقولون: أنثى بني فلان، قاله الحسن وابن عباس، وأتى مع كل صنم شيطانه يتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم...»(٣) .

---

(١) المرجع السابق (١/ ١٧١) مختصراً.

(٢) فتح المنان (١/ ٢٦٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٥/ ٣٨٧).

وقد حصل مثل هذا كثيراً لابن تيمية وتلميذه ابن القيم – رحمهما الله تعالى – حيث تتصور الشياطين بصورتيهما وتأتي إلى من استغاث بهما وتقضي حاجته[١].

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: كانت العزى شيطانه تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة، فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد فقال ائت بطن نخلة فإنك تجد ثلاث سمرات فاعتضد الأولى فأتاها فعضدها، فلما جاء إليه قال: هل رأيت شيئاً قال: لا، قال فاعضد الثانية فأتاها فعضدها، ثم أتى النبي ﷺ . فقال هل رأيت شيئاً، قال: لا، قال فاعضد الثالثة فأتاها فإذا هو بجنية نافشة شعرها واضعة يديها على عاتقها تصر بأنيابها وخلفها ديبة السُّلمى، وكان سادنها فقال خالد يا عز كفرانك لا سبحانك، أني رأيت الله قد أهانك، ثم ضربها ففلق رأسها فإذا هي حممة ثم عضد الشجرة وقتل ديبة السادن ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب [٢] .

ومنها افتتانهم بالرؤى والمنامات التي ترى لهم [٣] .

---

(١) انظر: فتح المنان (١/ ٢٧٠-٢٧١).

(٢) تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ص ٧٣، انظر: إغاثة اللهفان، (٢/ ١٥٧).

(٣) من أمثلة ذلك ما يظهر بين آونة وأخرى وما يسمى «بوصية الشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف» الذي قال فيها: «كنت ساهراً ليلة الجمعة أتلو القرآن الكريم، وبعد تلاوة قراءة أسماء الله الحسنى، فلما فرغت من ذلك تهيأت للنوم، فرأيت صاحب الطلعة البهية رسول الله ﷺ ... فقال: يا

= =

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ومنهم من يرى في المنام شخصاً يظن أنه المقبور ويكون ذلك شيطاناً تصور بصورته أو بغير صورته، كالشياطين الذين يكونون بالأصنام وكالشياطين الذين يتمثلون لمن يستغيث بالأصنام والموتى والغائبين، وهذا كثير في زماننا وغيره...» أ. هـ[١] .

ومنها إيهامهم بأن الآيات التي تنهى عن دعاء غير الله والاستغاثة بمن سوى الله، إنما وردت في الأصنام والأوثان فقط، وأما الأولياء والصالحون فلا يشملهم النهي فهم ليسوا كالأصنام[٢] .

ومن المعلوم أن هؤلاء المشركين الذين نزلت عليهم الآيات التي تذم عبادتهم وتنهاهم عنها لم يكونوا يعبدون الأصنام كلهم بل كان منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد عزيراً وعيسى وأمه، كما ذكر ذلك السلف[٣] ، عند

==

شيخ أحمد قلت: لبيك يا رسول الله، يا أكرم خلق الله، فقال لي: أنا خجلان من أفعال الناس القبيحة، ولم أقدر أن أقابل ربي ولا الملائكة، لأن من الجمعة إلى الجمعة مات مائة وستون ألفاً على غير دين الإسلام...» ثم ختم هذه الوصية بترغيب في نشر هذه الوصية وأن من نشرها بني له قصر في الجنة، وإن كان فقيراً أغناه الله وإن كان مديوناً قضي دينه، وإن كان عليه ذنوب غفرت ذنوبه... إلخ، مجموع فتاوى ومقالات، سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ١٩٨-١٩٩)، وانظر: الرد عليها في نفس الجزء والصفحة، ط. الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(١) تلخيص الاستغاثة، لابن تيمية، ص ٣١١.

(٢) انظر: الشرك في القديم والحديث (٢/ ١٢٥٨)، والمجموع المفيد، د. محمد الخميس، ص ٦٠.

(٣) انظر: جامع البيان (١٥/ ١٠٥)، زاد المسير (٥/ ٤٩-٥٠)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٢٧٩).

تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ (١) .

ولهذا يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكر الأقوال في تفسير هذه الآية: «وهذه الأقوال كلها حق، فإن الآية تعم كل من كان معبوده عابداً غير الله سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر، والسلف – رضي الله عنهم – في تفسيرهم يذكرون جنس المراد بالآية على نوع التمثيل» (٢) .

ومما يدل على شمولها قوله تعالى: ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ ، فإن هذا لا يمكن في الجمادات (٣) .

ومنها إيهامهم أن هذا ما هو إلا تبرك بآثار وذوات الصالحين، وأن هذا التبرك لا يعد من العبادة (٤) ، وليس بمحروم مستندين في ذلك على بعض الشبه التي فتنهم بها إبليس (٥) .

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٥٦-٥٧.

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٢٦).

(٣) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٣٧)، الدر النضيد، للشوكاني، ص ١٨، وانظر: في إبطال هذه الشبهة، تاريخ ابن غنام (٢/ ٢٨٥).

(٤) انظر: المدخل، لابن الحاج (١/ ٢٤٩).

(٥) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه، د. ناصر الجديع، ص ٣٨٥-٣٨٧.

ومن مكايده في هذا التوحيد استحسان عبادة الوثن والظن والاعتقاد بأنه الحق، وإقناع الأبناء بأن أرواح الآباء والأجداد الذين ماتوا في الوثنية لن ترتاح إن أسلم الأبناء وأن عبادة الأبناء توصل الرحمة للآباء.

ومنها تخويفهم العار والخيانة، وهذا الذي أوقع أبو طالب عم النبي ﷺ في النار وموته على الشرك خشية أن يموت على ملة غير ملة عبدالمطلب!

ومنها تأصيل العادات والأفكار الباطلة في نفوسهم وتزيينها لهم بما يصحب ذلك من المراسيم الوثنية والحفلات المصاحبة بالطبول والرقص والخمور.

ومنها إيهامهم بأن تقليد الآباء والأجداد أسلم لأن «الأدلة تشتبه والصواب قد يخفى والتقليد سليم» (١).

قال محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهو – أي التقليد – القاعدة الكبرى بجميع الكفار: أولهم وآخرهم...» (٢).

قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ** ﴾ (٣).

قال سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فهذا الموقف إنما هو دعوة من الشيطان لهم، ينتهي إلى عذاب السعير، فهل

---

(١) تلبيس إبليس، ص ١٠٠.

(٢) مسائل الجاهلية، شرح وتحقيق: د. يوسف السعيد (١/ ١٧١).

(٣) سورة لقمان، الآية: ٢١.

هم مصرون عليه ولو قادهم إلى ذلك المصير» (١) .

كما بين – عليه الصلاة والسلام – في الحديث السابق بقوله: (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُ: أَتُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ، وَدِينَ آبَائِكَ، وَآبَاءِ أَبِيكَ؟ " قَالَ: " فَعَصَاهُ، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: أَتُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ، وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ " قَالَ: " فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ " قَالَ: " ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ : هُوَ جَهْدُ النَّفْسِ، وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ، وَيُقَسَّمُ الْمَالُ " قَالَ: " فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ " فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَمَاتَ، كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّةٌ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ) (٢).

ومن هنا توصل الشيطان مع عابديه بهذه الشبهة إلى نتائج خطيرة ومهلكة ومنها:

١- الدمار والهلاك، كما صرح تعالى في كتابه في قصة – نوح عليه السلام – عندما دعاهم إلى عبادة الله تعالى، فمنعهم تقليد الآباء والأجداد عن الانصياع لأمره والاستجابة لـه، فقالوا: ﴿ **مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن**

(١) الشيطان في ظلال القرآن، عكاشة الطيبي، ص ١٣٢.

(٢) رواه أحمد (١٥٩٥٨) ، البيهقي(٤٢٦).

يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (١) .

وكذلك هود – عليه السلام – كما في قوله تعالى: ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (٢) .

وكذلك صالح – عليه السلام – كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ (٣) .

وهذا الخليل – عليه السلام – يجيبه قومه عندما دعاهم إلى عبادة الله ونبذ عبادة الأصنام فردوا عليه بأنهم وجدوا آباءهم لها عابدين، كما في قوله تعالى: ﴿ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (٤) ، وقوله: ﴿ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾ (٥) .

وعلى ذلك سار مشركو العرب عندما جاءهم نبينا محمد ﷺ ، كما في قوله

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٧٠.

(٣) سورة هود، الآية: ٦٢.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٧٤.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٥٣.

تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ (١) .

٢- انحراف الموحدين عن العقيدة الصحيحة، كما في قصة بني إسرائيل عندما طلبوا من موسى – عليه السلام – أن يجعل لهم إلهاً يعبدونه، وكذلك تقليدهم للسامري في عبادة العجل.

ونسبة الولد لله تعالى، قال تعالى مبيناً حالهم في تقليد من سبقهم: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ (٢) .

٣- ارتكاب الفواحش، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ ﴾ (٣) .

٤- انتشار البدع، فأكثر المبتدعة اليوم كان سبب انتشار بدعهم التقليد كالشيعة والصوفية.

«فالمتصوفة يرون أنه لا يجوز الإنكار على المشايخ أمراً فعلوه، ولو كان مخالفاً للشريعة، ويرون من ينكر عليهم خارجاً عن طريقتهم، بل ربما قالوا: عن

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٨.

الإسلام؛ وذلك لأن المشايخ في نظرهم لا يمكن أن يفعلوا ما يخالف الإسلام، وأوجبوا على المريدين التسليم الكامل لهم، حتى ولو كان فيه مخالفة يراها المريد» (١) .

ومن هذه البدع ما شرعه لهم مشايخهم من الأذكار المبتدعة، والاجتماع لسماع القصائد سواء كان ذلك بكف أو بدف.

كقولهم يا «هو، يا من لا هو إلا هو، ديهار، يا ديهور...» إلخ.

حتى اعتبروا قول (لا إله إلا الله) التي هو أعظم كلمة توحيد العوام (٢) .

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فلا أصل لـه، فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين، بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات وذريعة إلى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد» (٣) .

ويقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«الاجتماع على الذكر بصوت جماعي لا أصل له في الشرع، وهكذا الاجتماع

---

(١) مسائل الجاهلية (١/ ١٧١)، لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، شرح وتحقيق: د. يوسف السعيد.

(٢) انظر: تفسير الرازي (١/ ١٥٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٣٣)، وانظر: (١٠/ ٣٩٦)، (١٠/ ٥٥٦).

بقول: الله . الله، أو هو. هو، إنما الذكر الشرعي أن يقول: لا إله إلا الله، فهذا هو الذكر الشرعي، أو سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، أستغفر الله، اللهم أغفر لي، أما الاجتماع بصوت واحد: لا إله إلا الله، أو: الله، الله، أو : هو هو؛ فهذا لا أصل له، بل هو من البدع المحدثة...إلخ» (١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فهذا لم يفعله أحد من الصحابة، لا من أهل الصفة ولا من غيره، بل ولا من التابعين، بل القرون المفضلة...»أ.هـ(٢) .

وكتشريع عبادات وصلوات ما أنزلها الله، حظهم منها التعب والنصب، فأحيوا البدع، وأماتوا السنن، ومن أمثلتها: إحياء ليلة النصف من شعبان، وصلاة الرغائب، وصلاة الكفاية (٣) ، والاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، والمولد النبي، وغيرها من البدع.

يقول الحوامدي في كتابه السنن والمبتدعات:

---

(١) البدع والمحدثات وما لا أصل له، جمع وإعداد حمود بن عبدالله المطر، ص ٤٢٥، ط. الثانية ١٤١٩هـ/ ١٩٩١م، نشر دار ابن خزيمة، الرياض.

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٥٧).

(٣) هي ركعتان يصليها العبد في أي وقت ويقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص عشر مرات، و﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ خمسين مرة ثم يسلم، انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي (١/ ١٩٢ وما بعدها).

«يقوم الدرويش (المربي) بعد نصف الليل بساعة أو ساعتين فيتوضأ ويصلي ركعتين في ربع دقيقة ثم يجلس، تحت السبحة الغليظة المعلقة في السقف في (البكرة) ثم يقرأ الفاتحة لشيخه ومشايخه وأصحاب السلسلة (!!) وأصحاب التصريف (!!) والأغواث والأقطاب والأنجاب والأبدال والعشرة الكرام، ثم يناديهم.... » [١] إلخ ما ذكره من البدع والمحدثات التي أملاها عليهم إبليس .

ومنها الاغترار بالكثرة حيث «يستدلون على بطلان الشيء بغربته وقلة أهله»[٢].

وكذلك إغراؤهم باتباع الفسقة والمترفين، كما حصل لليهود باتباعهم السامري في عبادة العجل وكذلك اتباع المشركين لعمرو بن لحي في عبادة الأصنام [٣] .

كما بين تعالى في قوله: ﴿ **وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَاْ** [٤] .

ومنها الاستدلال بفعل أهل الأفهام والأعمال وأصحاب الملك والمال والجاه

---

(١) السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، محمد بن أحمد الشقيري الحوامدي، ص ١٦٨، مكتبة ابن تيمية.

(٢) مسائل الجاهلية، للشيخ محمد بن عبدالوهاب (١/ ١٧٨)، تحقيق: د. يوسف السعيد.

(٣) انظر: المرجع السابق، (١/ ٢٠٠ وما بعدها).

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٦٧.

كاليهود والنصارى ليدل على رجاحة الشيء وحسنه [١] .

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَاْ ﴾[٢] .

ومنها خداعه لأهل الباطل بأن الحق لم يتبعه إلا الضعفاء كما نسمع في هذا الزمن من يتشدق بأن الإسلام سبب ضعف المسلمين وتخلفهم!! وما علموا أن المسلمين ما وصل بهم الحال إلى هذه الحال إلا بسبب بعدهم عن التمسك بتعاليمه[٣] .

والشبهات كثيرة وهذا ما فتح الله به – وسيأتي في المبحث القادم مكايده في إفساد توحيد الأسماء والصفات – أعاذنا الله من الشيطان وكيده.

---

(١) انظر: مسائل الجاهلية، شرح: د. يوسف السعيد (١/ ١٩٢-١٩٣).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦٧.

(٣) انظر: أمثلة في شرح مسائل الجاهلية (١/ ٢٠٠ وما بعدها).

المبحث الثالث

توحيد الأسماء والصفات

الإيمان بأسماء الله وصفاته هو القسم الثالث من أقسام التوحيد، وهو يندرج ضمن التوحيد العلمي، الاعتقادي، الخبري، ومعرفة هذا التوحيد والإيمان به من أكبر عوامل جلب محبة الله عز وجل في القلب وزيادة الإيمان فيه (١) .

ومعناه: الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسول ﷺ فيما ثبت عنه على الحقيقة من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل ولا تحريف ونفي ما نفي سبحانه عن نفسه أو نفاه رسوله ﷺ فيما صح عنه.

وأسماء الله تعالى كلها حسنى، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٢)

ومعنى كونها حسنى أن «كل اسم دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسنى، فإنها لو دلت على غير صفة؛ بل كانت علماً محضاً، لم تكن حسنى، وكذلك لو دلت على صفة، ليست بصفة كمال، بل إما صفة نقص أو صفة منقسمة إلى المدح والقدح، لم تكن حسنى» (٣) .

«وقد اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٣/ ١٧).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي (٣/ ١٢٠)، وانظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٤).

حقائقها» [١] .

والذي عليه السلف في هذا التوحيد أنهم اجتنبوا التعطيل في مقام النفي والتنزيه، وتجنبوا التمثيل في مقام الإثبات، وضابطهم في هذا الباب إن أسماء الله وصفاته توقيفية، فلا نسمي الله جل وعلا إلا بما سمىَّ به نفسه، وكذلك لا نصفه إلا بما وصف به نفسه، أو جاء على لسان رسوله ﷺ ، فلا نثبت إلا ما أثبته الله ولا ننفي إلا ما نفاه الله عن نفسه وأسماؤه جل وعلا حق على حقيقتها، وليس فيها ألغاز، بل معناه واضح معروف لا سيما وهو كلام الله وكلام رسوله الذي هو أعلم الخلق بربه وأفصحهم بياناً [٢] .

وهذا مذهب السلف قاطبة روى الدارقطني عن الوليد بن مسلم [٣] قال: «سألت الأوزاعي ومالك بن أنس وسفيان الثوري، والليث بن سعد، عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية وغير ذلك، فقال امضها بلا كيف» [٤] .

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة، على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، اختصار محمد الموصلي (١/ ٢١)، وانظر: شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية (٢/ ٢٤)، العقيدة الواسطية، لابن تيمية، ص ٦، ص ٢٣، ص ٢٩.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٢٦-٢٧).

(٣) «الوليد بن مسلم القرشي، أبو العباس الدمشقي، ثقة لكنه كثير التدليس والتسوية مات سنة ١٩٥»، التقريب، ص ٥٨٤، وانظر: ترجمته في ميزان الاعتدال (٤/ ٣٤٧-٣٤٨)، وتهذيب التهذيب (١١/ ١٣٣-١٣٤).

(٤) رواه الدارقطني، في كتاب: «الصفات»، ص ٧٥، ورواه الذهبي في العلو عن الوليد بن مسلم (المختصر رقم ١٣٧، ص ١٤٣)، وروى أيضاً نحوه، رقم ١٣٤، ص ١٤٢، وقال الألباني في
==

ومن منهجهم إن كل اسم من أسمائه تعالى، إذا أطلق عليه فهو يتضمن إثبات صفة له سبحانه وتعالى لأن أسماءه تعالى أعلام وأوصاف، ولو كانت أعلاماً محضة لم تكن محمودة، ولساغ إبدال بعضها ببعض، ولأصبح معنى العزيز، والرحيم، والقوى... واحداً ولأصبحت من المترادفات، وهذا من أبطل الباطل، وهذا الإلحاد في أسماء الله تعالى، حيث قال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

قال أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفقه الأكبر بعد ذكره الصفات وأنها على قسمين ذاتية وفعلية: «لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته لم يحدث له اسم ولا صفة لم يزل عالماً بعلمه، والعلم صفة في الأزل، وقادراً بقدرته، والقدرة صفة في الأزل ومتكلماً بكلامه، والكلام صفة في الأزل، وخالقاً بتخليقه والتخليق صفة في الأزل، وفعل الله تعالى غير مخلوق وصفاته في الأزل غير محدثة ولا مخلوقة، فمن قال: إنها مخلوقة أو محدثة، أو وقف أو شكَّ فيها فهو كافر بالله

==

المختصر: «إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات...»، أ. هـ، مختصر العلو، ص ١٤٢. للحافظ الذهبي، ط. الثانية ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

تعالى»أ. هـ [١] .

وروى الذهبي عن يونس بن عبدالأعلى [٢] قال: سمعت الشافعي يقول: «لله تعالى أسماء وصفات لا يسع أحد قامت عليه الحجة ردها»[٣].

وروى اللالكاني عن محمد بن الحسن قال: «اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تغيير ولا وصف، ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة، لأنه قد وصفه بصفة لا شيء» [٤] .

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام أحمد – رحمهما الله – قوله: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل ومن غير تكييف، ولا تمثيل، بل يثبتون لـه ما أثبته لنفسه من

---

(١) الفقه الأكبر مع شرحه، ص ١٨٠، وانظر: قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، محمد صديق، ص ٤٨ وما بعدها.

(٢) يونس بن عبدالأعلى، أبو موسى الصدفي، وثقه أبو حاتم، ونعتوه بالحفظ والعقل ووثقه ابن حجر، مات سنة ١٦٤هـ، (انظر: ميزان الاعتدال ٤/ ٤٨١)، والتقريب، ص ٦١٣.

(٣) رواه الذهبي (المختصر، ص ١٧٧)، وقال الذهبي: قد تواتر عن الشافعي ذم الكلام وأهله وكان شديد الاتباع للآثار في الأصول والفروع... أ. هـ.

(٤) شرح أصول الاعتقاد للالكائي، رقم: ٧٤٠، (٣/ ٤٣٢-٤٣٣).

الأسماء الحسنى، والصفات العليا، ويعلمون أنه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [١] ، لا في صفاته، ولا في ذاته، ولا في أفعاله»أ. هـ [٢]

ويقول الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «كنا والتابعون متوافرون – نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات» [٣] .

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «كان الزهري ومكحول يقولان: أمروا الأحاديث كما جاءت» [٤] .

وأما مكايد الشيطان في هذا التوحيد، فهي عظيمة جداً، إذ ضلَّ في فهمه أقوام كثيرة، وحيث إنه متعلق بذات الرب تعالى، وأسمائه وصفاته، فدعاهم الشيطان إلى الخوض في الكيفية والقول على الله بلا علم لهم به، ثم ألقى عليهم شبهات كثيرة للإحكام عليهم في فهم هذا التوحيد.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٥/ ٢٥٧)، وانظر: المجموع (٥/ ٥٨-٥٩)، معارج القبول، لحافظ حكيم (١/ ٣٦٢-٣٦٥).

(٣) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٥٠)، دار الكتاب العربي، ط. الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، تحقيق: عمادالدين أحمد حيدر، دار الكتاب العربي، بيروت، وصححه ابن تيمية في الحموية، ص٢٣، ط. السلفية، والذهبي في العلو، انظر: المختصر للألباني، ص ١٣٨، وذكره ابن القيم محتجاً به في اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، ص ١٢٦، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، نشر دار الكتاب العربي، تحقيق: فواز زمرلي.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللالكائي (٣/ ٤٣٠-٤٣١)، رقم: ٧٣٥.

تَعْلَمُونَ ﴾ [١] .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان مكايد الشيطان في هذا التوحيد:

«وقصر [أي الشيطان] بقوم حتى قالوا: إن رب العالمين ليس داخلاً في خلقه ولا بائنا عنهم، ولا هو فوقهم ولا تحتهم ولا خلفهم ولا أمامهم ولا عن أيمانهم ولا عن شمائلهم، وتجاوز بآخرين حتى قالوا: هو في كل مكان بذاته... وقصر بقوم حتى نفوا حقائق أسماء الرب تعالى وصفاته وعطلوه منها، وتجاوز بآخرين حتى شبهوه بخلقه ومثلوه بهم»أ. هـ [٢] .

وأعظم ما أوقعهم فيه الإلحاد، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [٣] ، وأصل الإلحاد والميل والعدول والجور ومنه اللحد في القبر الانحراف لجهة القبلة [٤] .

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«يعني به المشركين، وكان إلحادهم في أسماء الله أنهم عدلوا بها عما هي عليه، فسموا بها آلهتهم وأوثانهم، وزادوا فيها ونقصوا منها، فسموا بعضها اللات

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٩.

(٢) إغاثة اللهفان، لابن القيم ٠١/ ٩٤)، ط. المكتبة الثقافية.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (٤/ ٤٢٠)، لسان العرب لابن منظور (٣/ ٣٨٨).، المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص ٤٤٨.

اشتقاقا منهم لها من اسم الله الذي هو الله، وسموا بعضها العزى، اشتقاقا لها من اسم الله الذي هو العزيز» أ. هـ[١] .

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «الإلحاد هو العدول بأسماء الله وصفاته وآياته عن الحق الثابت»أ. هـ.

وقيل: الإلحاد هو تحريف اللفظ أو المعنى [٢] .

وقيل: «هو الشرك في العبادة، لأن أسماءه تعالى تدل على التوحيد فالإشراك بغيره إلحاد في معاني أسمائه سبحانه وتعالى ولا سيما مع الإقرار بها» [٣] ، ولذلك قيل: أنه أصل الشرك [٤] .

والإلحاد في أسماء الله وصفاته أنواع:

الأول: الإلحاد بالتغيير والتبديل، كما فعل المشركون، الذين شبهوا المخلوق بالخالق واستقوا لآلهتهم أسماء من أسماء الله تعالى، فسموا اللات من الإله والعزى من العزيز، ومناة من المنان، كما ذكر ذلك ابن عباس ومجاهد وغيرهما.

الثاني: الإلحاد بالزيادة عليها وذلك بأن يسمي الله بما لم يسم به نفسه في كتابه،

---

(١) جامع البيان، لابن جرير (٦/ ١٣٣)، وانظر: تفسير ابن كثير، ص ٥٥٦، د. دار السلام.

(٢) انظر: زبدة التفسير مختصر تفسير الإمام الشوكاني، لمحمد سليمان الأشقر، ص ٢٢٢.

(٣) شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبدالله، ص ٥٨١، مكتبة الرياض الحديثة.

(٤) انظر: مدارج السالكين (١/ ٢٨ وما بعدها).

أو على لسان نبيه محمد ﷺ ، كأن يقال: يا سخي بدل جواد أو يا جلد بدل قوي، لأن أسماء الله تعالى توقيفية.

«وقد أنكر ابن عباس على رجل قال: يا رب القرآن» (١) .

الثالث: الإلحاد بالنقصان بأن ينفي بعض أسماء الله تعالى أو صفاته، كحال المعطلة الذين عطلوا أسماء الله تعالى وما تضمنته من صفات الكمال، أو أثبتوا أسماءً مجردة من المعاني.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ونفي معاني أسمائه الحسنى من أعظم الإلحاد، ولأنها لو لم تدل على معان وأوصاف لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها، ويوصف بها لكن الله أخبر عن نفسه بمصادرها وأثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله..» أ. هـ (٢) .

الرابع: الإلحاد بالتشبيه كقول المشبه لـه يد كيدنا، وكبصر كبصرنا وتسميته بما لا يليق كتسمية النصارى لـه (أب)، وإطلاق الفلاسفة عليه العلة الفاعلة أو موجباً بذاته.، ووصفه بما لا يليق كقول اليهود: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ** ﴾ (٣) ، وقولهم: ﴿ **يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ** ﴾ (٤) ، وكقولهم (إن الله استراح

(١) زاد المسير، لابن الجوزي (٣/ ٢٩٣).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٢٨).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨١.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

بعد أن خلق الخلق)، على غير ذلك من أنواع الكفر والفحش تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً [١] .

فوقع هؤلاء الملاحدة في التعطيل والتحريف الذي سموه تأويلاً، كما وقعوا في التكييف والتمثيل والتشبيه، وإليك بيان ما وقعوا فيه بكيد إبليس وتلبسه عليهم بشبه واهية وفلسفات عقيمة:

١ - التعطيل:

ومعناه: تخلية الله سبحانه من صفاته أي نفي صفاته سبحانه وإنكار قيامها بذاته جل شأنه [٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «قال عمرو بن عثمان المكي [٣] في كتابه

---

(١) انظر: فيما سبق في أنواع الإلحاد، جامع البيان، لابن جرير (٦/ ١٣٣)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/ ٣٢٨)، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٧٠)، ط. دار الفكر، التدمرية، لابن تيمية، ص ٧-٨، مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ١١٠-١١١)، مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٢٨ وما بعدها)، فتح القدير، للشوكاني (٢/ ٦٨)، مختصر معارج القبول للشيخ حافظ حكمي، اختصار سعد القحطاني، ص ٥٨-٥٩، التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية، ص ٢٩، تأليف الشيخ عبدالعزيز الرشيد، ط. الثانية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، مكتبة الرياض الحديثة، شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبدالله، ص ٢٨، وص ٥٨٠، مكتبة الرياض الحديثة، تلخيص الحموية ضمن رسائل في العقيدة لابن عثمين، ص ٥٦، ط. دار طيبة.

(٢) انظر: بدائع الفوائد (١/ ١٦٩)، التنبهات السنية، ص ٢٣.

(٣) عمرو بن عثمان بن كرب، أو عبدالله المكي، قال أبو نعيم في الحلية: العارف البصير والعالم الخبير لـه اللسان الشافي، والبيان الكافي، معدود في الأولياء، محمود في الأطباء، أحكم الأصول وأخلص في

= =

الذي سماه: «التعرف بأحوال العباد والمتعبدين»، قال: باب (ما يجيء به الشيطان للتائبين) وذكر أنه يوقعهم في القنوط، ثم في الغرور وطول الأمل، ثم في التوحيد فقال: من أعظم ما يوسوس في التوحيد، بالتشكيك أو صفات الرب، بالتمثيل والتشبيه، أو بالجحد لها والتعطيل... إلى أن قال:».

«فالله تعالى... أعظم وأجل، وأكبر ألا تسمع لقولـه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[1]، وقولـه: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [2] ، أي لا شبيه ولا نظير ولا مساوي ولا مثل... فإن اعتصمت بها وامتنعت منه أتاك من قبل التعطيل لصفات الرب – تعالى وتقدس – في كتابه وسنة رسوله محمد ﷺ ، فقال لك: إذا كان موصوفاً بكذا أو وصفته أوجب لـه التشبيه فأكذبه، لأنه اللعين، إنما يريد أن يستزلك ويغويك، ويدخلك في صفات الملحدين، الزائغين الجاحدين لصفة الرب تعالى...» [3] .

==

الوصول»أ. هـ، حلية الأولياء (١٠/ ٢٩١)، من أهل مكة لـه مصنفات في التصوف، زار أصبهان ومات ببغداد، انظر ترجمته: حلية الأولياء (١٠/ ٢٩١ وما بعدها)، تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (١٢/ ٢٢٣-٢٢٥)، الأعلام للزركلي (٥/ ٨١-٨٢).

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة الإخلاص، الآية: ٤.

(٣) مجموع الفتاوى، (٥/ ٦٣).

٢- التحريف:

وهو مأخوذ من التغيير والإمالة والعدول [١] .

ومعناه: تغيير ألفاظ أسماء الله تعالى، سواء ألفاظها أو معانيها [٢] ، وقد سموه تأويلاً ، ليقبل منهم وزخرفوه بباطل القول، وعارضوا أدلة الحق [٣] .

والتحريف نوعان:

١- لفظي كنصب لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿ **وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا** ﴾ [٤] ، أو تغيير الفظ بزيادة أو نقصان.

٢- معنوي، ومعناه العدول بالمعنى إلى معنى آخر، يشترك معه في اللفظ

---

(١) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٢/ ١٦٣)، التعريفات، للجرجاني (٢/ ٧٥)، المفردات، للراغب، ص ١١٤.

(٢) انظر: التنبيهات السنية، تأليف الشيخ عبدالعزيز الرشيد، ص ٢٣، تلخيص الحموية، لابن عثمين (ضمن رسائل العقيدة)، ص ٥٤.

(٣) انظر: شرح الطحاوية، ص ٢٣٢، شرح نونية ابن القيم، لأحمد بن عيسى (٢/ ١٦)، والتأويل يطلق على معان منها:

١- حقيقة المعنى الذي يؤول اللفظ إليه، وهي الحقيقة الموجودة في الخارج.

٢- «المعنى والبيان» في إصطلاح المفسرين.

٣- عند أهل الكلام «صرف الفظ عن ظاهره إلى معنى مرجوح..»

انظر: تفصيل ذلك في مجموع الفتاوى (٥/ ٣٥-٣٦)، مختصر الصواعق (١/ ١٢-١٤)، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٦٩-٧٠، ط. المكتب الإسلامي.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

كتحريفهم المعنى في قولـه تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ فقالوا معناه: «جرّح الله موسى بأظفاره المحسن ومخالب الفتن» [١] .

وكتحريفهم المعنى في قولـه تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ [٢] ، المضافتين على الله تعالى، بالقوة والنعمة.

فقالوا: «ظاهر الآية يقتضي اقتضاء السجود لاختصاص آدم بما تضمنته الآية، فالظاهر متروك إذاً، والعقل حاكم بأن الذي يقع الخلق به القدرة [٣] .

وقالوا في تحريف قوله تعالى: ﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾ [٤] .

«ولم يثبت أحد من المنتمين إلى التحقيق أعينا لله تعالى، والمعنى بالآية أنها تجري بأعيننا، وهي منا بالمكان المحوط بالملائكة والحفظ الرعاية...»[٥].

وأهل التحريف قد ورثوه من سلفهم اليهود، حيث لم يتمكنوا من تحريف اللفظ، كما فعل سلفهم فآلوا إلى تحريف المعنى، لأن الله تعالى قد تعهد بحفظ

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشري نقلاً من موسوعة جامع التفاسير الإلكترونية، شركة عريس، وانظر: التنبيهات السنية، ص ٢٣.

(٢) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٣) الإرشاد، للجويني، ص ١٤٧، وانظر: المواقف، للإيجي، ص ٢٩٨.

(٤) سورة القمر، الآية: ١٤.

(٥) الإرشاد، ص ١٤٧، وانظر: المواقف، للإيجي، ص ٢٩٨، وانظر: في رد التحريف وإبطاله، درء تعارض النقل والعقل (١/ ٢٠٥ وما بعدها).

كتابه جل وعلا، فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (١) ومن الأمثلة على تحريفهم للكلم عن مواضعه، تحريفهم معنى الاستواء بالاستيلاء والغلبة، وتحريفهم للعرش بالملك (٢) .

يقول البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «واختلف أصحابنا في هذا فمنهم من قال: إن آية الاستواء من المتشابه (٣) ، الذي لا يعلم تأويله إلا الله، وهذا قول مالك بن أنس وفقهاء المدينة والأصمعي، ومنهم من قال: إن استواءه على العرش فعل أحدثه في العرش سماه استواء...»، ثم ساق الأقوال إلى أن قال: «والصحيح عندنا تأويل العرش في هذه الآية على معنى الملك كأنه أراد أن

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبدالجبار، ص ٢٢٦، وانظر: الإرشاد، للجويني، ص ٥٩-٦٠، والمواقف، للإيجي، ص ٢٧٣، ص ٢٩٧، نشر مكتبة المتنبي، القاهرة.

(٣) إن نسبة القول أن الاستواء من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله إلى الإمام مالك وفقهاء المدينة، افتراء عليهم، فمذهبهم معلوم، وقول مالك المشهور في الاستواء عندما سأله رجل كيف استوى ربنا؟ فقال: «الكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالاً، ثم أمر به فأخرج»، رواه الدارمي في الرد على الجهمية، ص ٢٨٠، والبيهقي في الاعتقاد من طريق أخرى، وقال ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤١٧): «سنده جيد».
وفي هذا دليل على أنه يرى رأي أهل السنة في أن الاستواء معلوم غير مجهول المعنى.
وقد نقل عنه أنه نقل الإجماع على إثبات الاستواء على العرش، انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٣٩)، واجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، ص ١١١.

الملك ما استوى لأحد غيره...» أ. هـ [١] .

«وقال بعض أصحاب بن كلاب [٢] : إن الاستواء صفة ذات ومعناه نفي الاعوجاج» [٣] .

ولشناعة هذه الأقوال أبسط القول في الرد عليهم مستعينة بالله تعالى:

فالاستواء من الصفات الفعلية [٤] التي أثبتها أهل السنة والجماعة.

---

(١) أصول الدين، للبغدادي، ص ١١٢-١١٣، وانظر: لمع الأدلة في قواعد أهل السنة، للجويني، ص ١٠٨، ط. الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، عالم الكتب، تحقيق: د. نوقية حسين محمود.

(٢) «عبدالله بن سعيد بن كلاب، أبو محمد القطان، متكلم يقال له ابن كلاب، قيل: لقب بها لأنه كان يجتذب الناس إلى معتقده إذا ناظر عليه... له كتب منها (الصفات) و(خلق الأفعال)، و(الرد على المعتزلة)، توفي سنة ٢٤٥»، الأعلام، للزركلي (٤/ ٩٠).

(٣) انظر: الفصل في الملل والنحل (٢/ ٢٨٩)ن وانظر: الرد عليه في المرجع نفسه ونفس الجزء والصفحة.

(٤) صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين:

أولاً: صفات ثبوتية كالسميع، والعليم، والقدير، والحي... وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- صفات ذاتية: وهي الصفات الملازمة لذاته سبحانه لم يزل ولا يزال متصفاً بها، كالعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والقدرة، والوجه، واليدين..

ب- صفات فعلية تتعلق بإرادته ومشيئته تعالى، كالنزول والاستواء والمجيء...إلخ.

جـ- صفات ذاتية فعلية: أي أن الله تعالى متصف بها أزلاً وأبداً، وأنها في الوقت نفسه تحدث آحادها بمشيئته وإرادته، كالكلام.

ثانياً: صفات سلبية: وهي صفات النقص التي نفاها الله عز وجل عن نفسه، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾، الكهف، الآية: ٤٩.

==

قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

وقد انعقد إجماع سلف الأمة على إثبات صفة الاستواء (٢) .

روى البيهقي بسنده عن محمد بن كثير المصيصي (٣) قال: سمعت الأوزاعي يقول: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته جلا وعلا» (٤) .

= =

فهي لا تقتضي النفي المطلق بل النفي فيها لإثبات كمال الضد، لأن النفي المحض لا كمال فيه ولا مدح، ويوصف به الجماد، كما يقال: الجدار لا يظلم، لعجزه وعدم مقدرته، وهذا نقص ينزه الرب عنه.

انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٤/ ١٣٣)، التدمرية، لابن تيمية، ص ٥٧-٥٩، الحق الواضح المبين، لابن سعدي، ص ٦ وما بعدها، مكتبة المعارف، القواعد المثلى، لابن عثيمين، ص ٢١ وما بعدها.

(١) سورة يونس، الآية: ٣.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٥/ ٣٩)، (٥/ ١٦٤)، اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، ص ١١١ وما بعدها، ص ١٢٢، مختصر العلو للذهبي، ص ١٢٨ وما بعدها، كتاب العرش، لابن شيبة، ص ١٢ وما بعدها.

(٣) «محمد بن أبي كثير النفعي، نزيل المصيصة، صدوق كثير الغلط، مات سنة مائة وبضع عشرة»، التقريب، رقم: ٦٢٥٠، انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر (٩/ ٣٦٩-٣٧٠).

(٤) سبق تخريجه.

وذكر البخاي عن أبي العالية [١] في معنى ﴿ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [٢] : ارتفع، وعن مجاهد استوى: علا على العرش [٣] .

وقد أبطل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تأويل المعطلة للاستواء بالاستيلاء من اثني عشر وجهاً منها:

إن هذا التفسير مخالف لما فسره سلف الأمة – رحمهم الله – كما سلف وأول من أحدثه هم الجهمية والمعتزلة، ولم يختلفوا عليه، فكل تفسير حدث بعد ذلك لا يلتفت إليه.

ومنها: إن معنى الاستواء مشهور ومعلوم عند العلماء من السلف، ولو لم يكن معلوماً ما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ (الكيف مجهول) فنفي الكيف دلالة على العلم بالأصل.

ومنها: لو جاز تفسير الاستواء بالاستيلاء لجازم أن نقول: إنه مستو على السماء والأرض، ولجاز أن يقال: إنه مستو على الهواء والبحار... ولما منع

---

(١) رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين، مات سنة ٩٠هـ، وقيل: غير ذلك، قال العجلي، تابعي ثقة من كبار التابعين، انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر (٣/ ٢٤٦-٢٤٧)، التقريب، رقم: ١٥٩٣، ص ٢١٠.

(٢) سورة فصلت، الآية: ١١.

(٣) ذكره البخاري في كتاب: «التوحيد»، باب: (وكان عرشه على الماء٩، معلقاً بصيغة الجزم (٦/ ٢٦٩٨)، وانظر: فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٤١٥)، جامع البيان، لابن جرير (١/ ١٩١-١٩٢٩، الحجة في بيان المحجة، للإمام الأصبهاني (٢/ ٢٥٨).

ذلك دلَّ اختصاص الاستواء بالعرش.

ومنها: إن تفسير الاستواء بالاستيلاء يفهم منه أن الرب جل وعلا لم يكن مستوياً على العرش حتى خلق السموات والأرض وهذا باطل.

إن هذا التفسير لم يثبت في اللغة، وعمدتهم في ذلك بيت من الشعر [١]، وهو بيت مصنوع مختلق لا يعرف في اللغة.

إن الاستواء لو حمل على هذا المعنى لفهم منه إنه كان عاجزاً، ثم غلب كما ذكر ذلك بعض علماء اللغة في تفسير معنى الاستيلاء، كما إنه يأتي بمعنى المنازعة والمغالبة فمن نازع الرب جل وعلا في العرش؟!!

إن لفظ الاستواء تكرر في جميع المواطن التي ذكر فيها بهذا اللفظ، ولو كان بمعنى الاستيلاء لذكر ولو لموضع واحد، فلما لم يذكر وجب تفسيره بما دل عليه القرآن والسنة واللغة [٢].

كما أبطله ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من اثنين وأربعين وجهاً، أوجز بعضها فيما يلي:

- إن لفظ الاستواء يأتي مطلقاً ويأتي مقيداً، والمطلق من أمثال قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ﴾ [٣]، ومعناه كمل وتم، والمبتدأ يأتي مقيداً

---

(١) البيت هو قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

انظر: شرح الأصول الخمسة، ص ٢٢٦.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٥/ ١٤٤-١٤٩).

(٣) سورة القصص، الآية: ١٤.

(بإلى) أو (على) أو (مقروناً بالواو)، وفي الأولى يكون معناه العلو والارتفاع، كما في قولـه تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ ، والثاني أيضاً معناه العلو والارتفاع والاعتدال، كما في قولـه تعالى: ﴿ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ ، وقولـه: ﴿ لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ ، والثالث في مثل نحو استوى على الخشبة بمعنى ساواها، وهذه معاني الاستواء في اللغة ولم يرد فيها الاستيلاء البتة.

- إنه لو كان الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء، لم يكن لذكر الاستواء على العرش فائدة أصلاً، لأن الله عز وجل مستولٍ على كل شيء.

- إنه أتى بلفظ (ثم) التي معناها الترتيب مع التراخي، ولو كان معنى الاستواء الاستيلاء، لكان يعنى أن الرب جل وعلا لم يستول على العرش إلا بعد خلق السموات والأرض، ومعلوم بطلانه.

- إن الإجماع منعقد على أن الله عز وجل مستو على عرشه حقيقة، وقد نقل هذا الإجماع عدد من أئمة أهل السنة.

أن البيت الذي استدلوا به محرف والصحيح أنه هكذا...

بشر قد استولى على العراق....

وهذا لو كان لـه قائل معروف، فكيف وهو غير معروف في دواوين العرب وأشعارهم، وعلى فرض صحته فلا دليل فيه، لأن معناه الاستواء حقيقة على سرير الملك حيث إن بشراً نائب لعبد الملك بن مروان على العراق، ولم يكن

مستولياً على العراق، وإنما الذي استولى عليها هو عبدالملك بن مروان، ولم يكن بشر منازعاً لأخيه ملكه.

كما أنه لو أراد ذلك اللفظ المجازي البعيد لذكر في اللفظ قرينة دالة على ذلك، فلما لم يكن، بل دل اللفظ على بطلانه لم يجز حمله عليه!!

أن الرب جل شأنه عبر بالفوقية على العرش، وهذا معنى الاستواء على العرش، وقالت الجهمية: إن معنى ذلك أن الرب خير من العرش وأفضل منه، وهذا يلزم منه معنى قبيح، يعد ذماً وهو من جنس قول القائل السماء فوق الأرض والثلج بارد، والشمس أضوأ من السراج وفي المثل السائر نظما:

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

بخلاف ما إذا كان الأمر احتجاجاً على مبطل أو مشرك، كما في قوله تعالى: ﴿ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

أن حقيقة قولهم هذا إخلاء العرش من الله سبحانه وتعالى (٢) .

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن أبي حنيفة قوله فمن قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض، قال: «قد كفر لأن الله يقول: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ (٣) ، وعرشه فوق سبع سموات» (١) .

---

(١) سورة النمل، الآية: ٥٩.

(٢) انظر: مختصر الصواعق، لابن القيم، اختصار محمد الموصلي (٢/ ١٢٦، ١٥٢).

(٣) سورة طه، الآية: ٥.

ويقول الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وما ظننا أن نضطر إلى الاحتجاج على أحد ممن يدعي الإسلام في إثبات العرش والإيمان به، حتى ابتلينا بهذه العصابة الملحدة في آيات الله، فشغلونا بالاحتجاج لما لم تختلف فيه الأمم قبلنا» أ.هـ[٢].

٣- التكييف:

«وهو تعيين كنه الصفة، يقال: كيَّف الشيء: أي جعل لـه كيفية معلومة، وكيفية الشيء صفته وحاله... وهذا مما استأثر الله به، فلا سبيل على الوصول إليه...» [٣] .

ولهذا لما سئل الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الاستواء، قال السائل: كيف استوى؟ قال الراوي: فما رأينا مالكاً وجد من شيء كوجده من مقالته، وعلاه الرمضاء، وأطرق، وجعلنا ننتظر ما يأمر به فيه، قال: ثم سرى عن مالك، فقال: «الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به

==

(١) نقلها ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/ ٤٧)، (٥/ ٥٢)، وشارح الطحاوية،ص ٣٢٢، والشيخ أحمد بن عيسى في شرح قصيدة ابن القيم (١/ ٤٤٧)، ونسبها لـه علي القاري في الفقه الأكبر، ورواها عنه صاحب الفاروق شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري بسند عن أبي بكر نصير بن يحي عن أبي مطيع الحكم بن عبدالله البلخي.

(٢) الرد على الجهمية، للدارمي، ص ٢٦٣، ضمن عقائد السلف.

(٣) التنبيهات السنية، للشيخ عبدالعزيز الرشيد، ص ٢٤، وانظر: تلخيص الحموية، ص ٥٥، ضمن رسائل في العقيدة.

واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالاً» ثم أمر به فأخرج[١].

والفرق بين التشبيه والتكييف: «أن التكييف أن يحكي كيفية الشيء سواء كانت مطلقة أم مقيدة بشبيه، وأما التمثيل والتشبيه فيدلان على كيفية مقيدة بالمماثل والمشابه»[٢] ، ومن هنا فالتكييف أعم من وجه وأخص من وجه آخر، فالعموم ما سبق، وأما الخصوص فلكونه خاصاً بالصفات دون القدر والذات.

٤- التمثيل:

وهو بمعنى التشبيه، يقال: مثل الشيء بالشيء، أي سوَّاه وشبهه به وجعله مثله وعلى مثاله، فالـمِثْل والـمَثَل والـمَثِيل، كالشِبْه والشَبَه والشبيه لفظاً ومعنى [٣] .

---

(١) رواه الدارمي في الرد على الجهمية، ص ٢٨٠. ورواه البيهقي في الاعتقاد، من طريق أخرى، ص ٥١، ونقله الذهبي في العلو عن البيهقي، ص ١٠٣، وقال: «إسناده صحيح»، قوال ابن حجر، في الفتح (١٣/ ٤١٧): «سنده جيد»، وقال ابن تيمية: «إسناده كلهم ثقات» أ. هـ، مجموع الفتاوى (٥/ ٤٠-٤١).

(٢) تلخيص الحموية لابن عثيمين، ص ٥٥، ضمن رسائل في العقيدة.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي (٤/ ٤٨١)، المفردات في غريب القرآن، للراغب، ص ، التنبيهات السنية، ص ٢٥.

وقد فرق بينهما الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: «التمثيل: إثبات مثيل للشيء، والتشبيه: إثبات مشابه لـه، فالتمثيل يقتضي المماثلة، وهي المساواة من كل وجه، والتشبيه يقتضي

= =

وفي نفي المثل والشبيه، يقول تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (١) ، وفي هذه الآية فوائد جمة منها:

- إثبات السمع والبصر والرد على نفاة الصفات من المعطلة.
- وفيها رد على من يثبت بعض الصفات دون البعض.
- وفيها نفي مجمل وإثبات مفصل، وتقديم النفي على الإثبات.
- فيها الجمع بين صفة السمع والبصر وهذا يأتي كثيراً.
- وفيها أن صفات الله تعالى ليست كصفات المخلوقين.
- وفيها دلالة على أن لله تعالى صفات ونعوت كمال، وأنها لكثرتها وعظمتها ليس له فيها مثل (٢) .

والتمثيل والتشبيه على قسمين:

الأول: تشبيه المخلوق بالخالق كتشبيه النصارى عيسى بن مريم بالله تعالى في صفات الألوهية والربوبية، وتشبيه المشركين آلهتهم بالله واشتقاقهم لها اسماً من أسماء الله كقولهم العزى من العزيز ومناة من المنان واللات من الإله (٣) .

= =

المشابهة، وهي المساواة في أكثر الصفات»أ. هـ، تلخيص الحموية، ص ٥٥، ضمن رسائل في العقيدة، وانظر: معجم ألفاظ العقيدة، ص ٩٩.

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) انظر: التنبيهات السنية، ص ٢٦-٢٨.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٢٥، وانظر: التحفة العراقية، ص ٤٠، مطبوع ضمن الرسائل المنيرية، الجزء الثاني، ط. ١٣٤٦هـ، توزيع مكتبة طيبة، الرياض.

الثاني: تشبيه الخالق بالمخلوق كتشبيه اليهود حيث شبهوا الخالق بالمخلوق، ووصفوه بصفات النقص والعجز، فقالوا: فقير وبخيل، ووصفوه بالبكاء والحزن تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وكما زعمت المشبهة [١] – أخزاهم الله – فقالوا: «أن معبودهم جسم لـه نهاية، وحد طويل عريض، عميق، طوله مثل عرضه، وعرضه مثل عمقه ذو لون وطعم ورائحة مجسة...» [٢] .

ويزعمون: «أن الله تعالى على صورة الإنسان، وأنه نور ساطع يتلألأ بياضاً، وأنه لـه حواس خمس كحواس الإنسان، سمعه غير بصره، وكذلك سائر حواسه...» [٣] .

إلى آخر ما قالوا – تعالى الله عن قولهم هذا علواً كبيراً – وأكثرهم من الشيعة.: «وكلا النوعين كفر، وكل مشبه معطل وبالعكس، فإن المعطل لم يفهم من صفات الله إلا ما يليق بالمخلوق، فشبه أولاً وعطل ثانياً وشبهه ثالثاً بالمعدومات والناقصات، وكذلك المشبه عطل الصفة التي تليق بالله ووصفه

---

(١) المشبهة: أصحاب هشام بن الحكم الرافضي، المتوفى سنة ١٩٠، في خلافة المأمون ، وهم صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره، وصنف شبهوا صفاته بصفات غيره، وهم فرق شتى: منهم السبابية، والبيانية اتباع بيان بن سمعان، والمغيرية، والمنصورية، ومنهم: الخطابية والحلولية... وغيرهم.
انظر: مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، ص ٢٠٩، والفرق بين الفرق، للبغدادي، ٢١٤-٢١٩، والملل والنحل، للشهرستاني (١/ ١٠٣ وما بعدها)، والأعلام، للزركلي (٨/ ٨٥).

(٢) مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، ص ٣١٠-٣١٢، وانظر: الفصل في الملل والنحل (٢/ ٢٧٧)، والملل والنحل (١/ ٩٢).

(٣) مقالات الإسلاميين، ص ٢٠٩.

بصفات المخلوق، فعطل أولاً وشبهه ثانياً: فكل معطل مشبه وبالعكس» [١].
وقد دخل الشيطان على هؤلاء المشبهة من باب (الغلو)، ومن خلال هذا الغلو في الإثبات، أثبتوا لله صفات ليست لـه تعالى وشبهوه بالمخلوق!! كقولهم: «إنه ينزل عشية عرقة على جمل أورق فيصافح المشاة، ويعانق الركبان»، و«أن النبي ﷺ رآه في الطواف»أو «في بعض سكك المدينة» و«أن مواضع الرياض هو موضع خطواته»، ونحو ذلك مما فيه من وصفه بالتحيز أمر باطل مبني على أحاديث موضوعة ومفتراة [٢] .
يقول أبو الحسن الأشعري ناقلاً أقوالهم:
«واختلفوا – أي المجسمة – في مقدار الباري بعد أن جعلوه جسماً، فقال قائلون: هو جسم، وهو في كل مكان، غير أن مساحته أكثر من مساحة العالم؛ لأنه أكبر من كل شيء، وقال بعضهم: ليس لمساحة الباري نهاية ولا غاية، وأنه ذاهب في الجهات الست اليمين والشمال والأمام والخلف والفوق والتحت... وقال قوم: إن معبودهم هو الفضاء، وهو جسم تحل الأشياء فيه، ليس بذي غاية ولا نهاية...»ألخ أقوالهم الشنيعة والمنكرة، وقال

(١) التنبيهات السنية على الواسطية، ص ٢٥، وانظر: التوحيد، لابن خزيمة (١/ ١٩٦) ط. الثانية ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، نشر مكتبة الرشد، الرياض، تحقيق: عبدالشيخ د. عبدالعزيز الشهوان، ومجموع الفتاوى (٥/ ٢٧)، والتحفة العراقية، ص ٤٠، مطبوع ضمن الرسائل المنيرية.
(٢) تلبيس الجهمية، لابن تيمية (٢/ ١٤).

بعضهم: «إن ربه في مكان دون مكان، وأن مكانه هو العرش، وأنه مما س للعرش، وأن العرش قد حواه وحده...» [١] !!

«ومن أهل الأهواء من بالغ وقال: إنه صورة على صورة الإنسان، ثم هؤلاء اختلفوا فمنهم من قال: على صورة شاب أمرد جعد قطط، ومنهم من قال: هو على سورة شيخ أشمط الرأس واللحية، ومنهم من قال: إنه مركب من لحم ودم...» [٢] !!

إلى آخر أقوالهم المنكرة التي يردها النقل والعقل، والتي يستحيي من – ذكرها تعالى الله وتقدس عما يصفه الظالمون علواً كبيراً –.

وقد أوقعهم إبليس في هذا الإلحاد بعدة شبه منها:

١ – التنزيه:

فغلاة المعطلة نفوا عن الله تعالى الأسماء والصفات، بل نفوا ذاته تعالى بدعوى التنزيه.

«فقالوا: وليس لـه اسم كالشيء والحي والعليم، ونحو ذلك، لأنه إذا كان له اسم من هذه الأسماء لزم أن يكون متصفاً بمعنى الاسم كالحياة والعلم،

---

(١) مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري.

(٢) غاية المرام في علم الكلام، لعلي بن أبي علي الآمدي، (٢/ ١٨٠)، تحقيق: حسن عبداللطيف، ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، عام ١٣٩١هـ، وانظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ٣٢٠.

وذلك يقتضي قيام الصفات به، وذلك محال؛ ولأنه إذا سمي بهذه الأسماء فهي مما يسمى به غيره، والله منزه عن مشابهة غيره...» [١].

يقول صاحب جوهرة التوحيد:

«وكل نص أو هم التشبيها أوّله أو فوِّض ورم تنزيها» [٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضحاً كيد إبليس في هذا التوحيد:

«وأبرز لهم الشرك في صورة التعظيم، والكفر بصفات الرب تعالى وعلوه وتكلمه في قالب التنزيه»أ. هـ [٣].

فقالوا: «الرحمة لغة رقة القلب وانعطافه، وذلك من الكيفيات التابعة للمزاج، والله منزه عنها، فالمراد بها في حقه تعالى إرادة الخير والإحسان... والاستهزاء من باب العبث والسخرية، والله تعالى منزه عن ذلك، فمعنى يستهزئ بهم أي يجازيهم على استهزائهم.. أو المعنى يعاملهم معاملة المستهزئ... والضحك هو رضاه تعالى بفعل عبده ومحبته إياه وإظهاره نعمته...» [٤].

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٥)، وانظر: الرد على الزنادقة والجهمية، للإمام أحمد بن حنبل، ص ٧٢، الأسماء والصفات، د. عمر الأشقر، ص ١١٩-١٢٠.

(٢) المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد، ص ٨٦.

(٣) إغاثة اللهفان، (١/ ٨٨)، ط. المكتبة الثقافية، انظر: أقاويل الثقات، للكرمي، ص ٧١-٧٢.

(٤) أقاويل الثقات، للكرمي، ص ٧١-٧٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«والجهمية تدعي أنها تقدسه بنفي الصفات، ومنهم من يقول: بمخالطته للنجاسات والباقون يلتزمون ذلك؛ فمهم منجسون لا مقدسون، وهو سبحانه (القدوس ، السلام)، والقدوس: مأخوذ من التقديس، وهو التطهير... وحصل بما ذكره الأئمة أن هؤلاء الجهمية أصل قولهم الذي يموهون به على الناس، إنما هو التنزيه، ويسمون أنفسهم المنزهين، وهم أبعد الناس عن تنزيه الله، وأقرب الناس إلى تنجيس تقديسه...» (١) .

فنزهوه عن الأعراض ونفوا لأجل ذلك وصفه بأي صفة، ونزهوه عن الأغراض ونفوا لذلك حكمته ومشيئته تعالى.

ونزهوه عن الحوادث ونفوا مع هذا التنزيه كلامه ونزوله وغضبه وفرحه ومحبته ونداءه وغير ذلك من أفعاله جل وعلا.

ونزهوه عن الجسم والتحير والجهة، ونفوا لأجل ذلك علوه واستواءه على عرشه تعالى الله عما يقول الظالمون (٢) .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«وحقيقة هذا التنزيه إنه منزه عن الوجود وعن الإلهية وعن الربوبية وعن الملك، وعن كونه فعالاً لما يريد، بل عن الحياة والقيومية، ولا يتقرر كونه رباً

---

(١) مقدمة بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية (١/ ٢٤-٢٥).

(٢) انظر: الصواعق المرسلة، (٣/ ٩٤٨)، الدين الخالص، للقاسمي (١/ ١٠٨-١٠٩).

للعالمين، وإلهاً للعباد إلا بالتنزيه عن هذا التنزيه والإجلال عن هذا الإجلال، كسوا حقائق أسمائه وصفاته وعلوه على خلقه واستوائه على عرشه، هذه الألفاظ ثم توصلوا إلى نفيها»أ.هـ[١] .

ويقول الأشعري في الإبانة رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«فلم يثبتوا لـه في وصفهم حقيقة، ولا أوجبوا لـه بذكرهم إياه وحدانية، إذ كل كلامهم يؤول إلى التعطيل وجميع أوصافهم تدل على النفي يريدون بذلك التنزيه ونفي التشبيه على زعمهم فنعوذ بالله من تنزيه يوجب النفي والتعطيل»أ. هـ[٢] .

وأما سلف الأمة وأئمتها، فإن تنزيههم لله تعالى يرجع إلى أصلين ثابتين هما:

الأول: تنزيهه عن النقص المناقض لكماله، فما دلَّ على ثبوت الكمال لـه فهو يدل على تنزهه عن النص المناقض لكماله، وهذا معلوم بالعقل.

الثاني: أنه ليس كمثله شيء في صفات الكمال [٣] .

ومن الأصول أيضاً في تنزيهه تعالى أن يقال: «كل كمال ثبت لمخلوق فالخالق أولى به، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أولى بتنزيهه عن ذلك» [٤] .

---

(١) الصواعق المرسلة (٣/ ٩٤٨).

(٢) الإبانة، لأبي الحسن الأشعري (٢/ ١١٧).

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٦/ ٣٦٣) «بتصرف واختصار». وانظر:(٣/ ٧٤، ٨١).

(٤) المرجع السابق (٣/ ٨٦).

٢- نفي الجسمية والتحيز والتركيب والجوهر والانقسام:

وهي مصطلحات كلامية عقيمة لم يرد بها كتاب ولا سنة [١] .

لبّس بها إبليس على المعطلة لقياس أسماء الله وصفاته بها فأوقعهم في نفيها وإنكارها.

فقالوا: «لو كان الله تعالى جسماً لكان كونه جسماً ذاتاً لا صفة، فإذا كان سائر الأجسام مساوية لـه في الجسمية، أعنى في كونها متحيزة طويلة عريضة عميقة، فحينئذ تكون سائر الأجسام مماثلة لذات الله تعالى في كونه ذاتاً والنص ينفي ذلك فوجب ألا يكون جسماً» [٢] .

---

(١) قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «أول من تكلم بالجسم نفياً وإثباتاً هم طوائف من الشيعة المعتزلة...»أ.هـ، بيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٤).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : «لفظ الجسم لم يتكلم به أحد من الائمة والسلف في حق الله لا نفياً ولا إثباتاً ولا ذموا أحداً ولا مدحوه بهذا الاسم، وإنما تواتر عنهم ذم الجهمية الذين ينفون هذه الصفات...» المرجع السابق، (١/ ٤٧).

(٢) تفسير الفخر الرازي (٢٧/ ١٥١)، وانظر: الإرشاد، للجويني، ص ٦١، وقد ذكر الرازي مقدمات وأطال فيها لإثبات أن الأجسام متماثلة، ثم ذكر أقوال الإمام ابن خزيمة في كتابه التوحيد وسماه: «كتاب الشرك»!! وعقب بقوله: «فثبت أن الكلام الذي أورده إنما ذكره لأجل أنه كان من العوام»أ. هـ، انظر: (٢٧١٥٢-١٥٣٩، فإذا كان ابن حزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ من العوام وهو من قال فيه الذهبي: «كان هذا الإمام جهبذاً عالماً بالحديث، بصيراً بالرجال»أ. هـ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٧٢).

وقال ابن أبي حاتم لما سئل عنه «ويحكم، هو يسأل عنا ولا نسأل عنه، هو إمام يقتدي به»، أ. هـ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٦-٣٧٧)، وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «... كان بحراً من بحور العلم، طاف

= =

وقالوا: «لو كان متحيزاً بكل جزء علم وقدرة؛ فيلزم تعدد الآلهه، وربما يقال: لو كان متحيزاً لكان مساوياً لسائر المتحيزات، فيلزم إما قدم الأجسام أو حدوثه، وهو بناء على تماثل الأجسام، وربما يقال: لو كان متحيزاً لساوى الأجسام في التحيز، ولا بد من أن يخالفها بغيره فليزم التركيب» (١) .

وقالوا: «فإن كان جسماً لاتصف بصفات الأجسام، إما كلها فيجتمع الضدان أو بعضها فيلزم الترجيح بلا مرجح، أو الاحتياج...»(٢).

ومن أقوالهم:

يقول الرازي: «فنقول إن قولـه تعالى: ﴿ أَحَـدٌ ﴾ يدل على نفي الجسمية ونفي الحيز والجهة، أما دلالته على أنه تعالى ليس بجسم، ذلك لأن الجسم أقله أن يكون مركباً من جوهرين، وذلك ينافي الوحدة...»(٣) .

وقال أيضاً: «إن كل ما كان يشار إليه بحسب الحس بأنه هاهنا أو هناك فلا

==

البلاد، ورحل إلى الآفاق، في الحديث وطلب العلم، فكتب الكثير وصنف وجمع وهو من المجتهدين في دين الإسلام»-أ. هـ، البداية والنهاية (١١/ ١٤٩)، وانظر: ترجمته في مقدمة محقق كتاب التوحيد، د. عبدالعزيز الشهوان، فمن يكون العالم إذن!! أعاذنا الله من البدع.

(١) المواقف، للإبجي، ص ٢٧١-٢٧٢، وانظر: أقوال الرازي في تأسيس التقديس، ص ٣١.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧٣.

(٣) نقله شيخ الإسلام ابن تيمية في تلبيس الجهمية (١/ ٤٦١-٤٦٢)، وانظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ٢٠٣.

بد أن يتميز أحد جانبيه عن الآخر، وذلك يوجب كونه منقسماً» [١] .

وقال أيضاً: «لو كان الإله تعالى مختصاً بحيز، لكان محدثاً، هذا محال، فلو اختص ذات الله تعالى بحيز معين لكان اختصاصه به، لأجل أن مخصصاً خصصه بذلك الحيز»[٢] .

ومن خلال نفي الحيز توصل معهم إبليس إلى نفي علو الله تعالى وفوقيته مع إجماع أهل السنة واتفاقهم على ذلك، وتواتر النقل وشهود الفطرة عليه [٣] ، فقالوا: «مذهب أهل الحق قاطبة [٤] إن الله سبحانه وتعالى يتعالى عن التحيز والتخصص بالجهات، وذهبت الكرامية [٥] وبعض الحشوية [٦] إلى أن الباري

---

(١) تأسيس التقديس، ضمن تلبيس الجهمية، لابن تيمية (٢/ ٦١).

(٢) تفسير الرازي (١٤/ ١١٠.

(٣) انظر: بسط الأدلة على علو الله تعالى في مجموع الفتاوى (١٦/ ٨٤-٨٩)، منهاج السنة، لابن تيمية (٣/ ٣٤٢-٣٤٣)، اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، ص ٨٦ وما بعدها، العلو للذهبي.

(٤) بل مذهب أهل الباطل.

(٥) «فرق من فرق المرجئة، وهم اتباع أبي عبدالله محمد بن كرام، قامت بخراسان، وهم فرق كثيرة منهم الطريقة الإسحاقية، الحماقية، العابدية، اليونانية، حقاقية، الواحدية، الهيمصمية، من عقائدهم مجسمة ومشبهة في الصفات، وقالوا: الإيمان إقرار وتصديق باللسان دون القلب، وأجازوا الخطأ على الأنبياء في التبليغ» انظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ٢٠٢-٢١٤، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي، ص ٦٧، غاية المرام، للآمدي (٢/ ٨٩)، (٢/ ١٨٠)، الفصل لابن حزم(٤/ ٢)، الملل ونحل، للشهرستاني (١/ ١٠٨).

(٦) الحشوية يقصدون مثبتة الصفات من أهل السنة، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

==

تعالى عن قولهم (!!) متحيز بجهة فوق...» [١] .

كما أدى ذلك إلى نفيهم لرؤية الله تعالى، وبعضهم قال: إن الله يرى لا في جهة[٢] !! ونفيهم الاستواء ونفي الصفات الخبرية.

أما المعتزلة والجهمية فإنهم نفوا بناء على ذلك كل كمال لله تعالى، بل نفوا ذاته بناء على قاعدة باطلة، وهي «إن كل ما يقال لـه حي وعالم وقادر فهو جنس واحد متماثل» [٣] .

فشبهوه تعالى بالجمادات، بل المعدومات التي لا تقبل الكمال، وقد عاب تعالى الأصنام بسلبها صفات الكمال من كلام وهداية وحياة، فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ

==

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى بالوحي من أثر ومن قرآن
حشويه يعنون حشوا في الوجود وفضلة في أمة الإنسان
ويظن جاهلهم بأنهم حشوا رب العباد بداخل الأكوان

شرح العقيدة، لمحمد خليل هراس (١/ ٣٣٣-٣٣٤)، وانظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٨٧-٨٨)، (٥/ ١١١)، (٦/ ٤٠)، (١٢/ ١٧٦).

(١) الإرشاد للجويني، ص ٥٨.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ١٦٧، وانظر: الرد عليهم تلبيس الجهمية، لابن تيمية (١/ ٣٥٩)، وسيأتي – إن شاء الله – بسط أقوالهم والرد عليهم.

(٣) انظر: تلبيس الجهمية (٢/ ٩٦-٩٧).

كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (١) .

وقولـه تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٢) .

وقولـه تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا... ﴾ (٣) .

وجدالهم هذا من الجدال بالباطل، وهو من إيحاء الشيطان، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٤).

والسلطان: الحجة (٥) ، وإن كانت نزلت في كفار مكة، لكن العبرة بعموم اللفظ.

ولهذه الألفاظ المجملة متى وضحت معانيها وفصل المراد بها زال الاشتباه

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣٥.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٠٦.

(٣) الأعراف، الآية: ١٤٨، وانظر: تلبيس الجهمية (٢/ ٩٦-٩٧).

(٤) سورة غافر، الآية: ٥٦.

(٥) انظر: جامع البيان، لابن جرير (١٢/ ٧٦-٧٧)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٥/ ٣٢٤-٣٢٥)، زاد المسير (٧/ ٢٣٤).

فيها، وبطلت حجتهم وظهر المعنى الحق [١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«وما تنازع فيه المتأخرون، نفياً أو إثباتاً، فليس على أحد، بل ولا لـه أن يوافق أحداً على إثبات لفظ أو نفيه، حتى يعرف مراده، فإن أراد حقاً قبل، وإن أراد باطلاً رُدّ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقاً ولم يرد جميع معناه، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى»أ. هـ [٢] .

«فإن أرادوا بالجسم ما يشار إليه بمعنى أن الأيدي ترفع إليه في الدعاء، ويقال: هو هنا وهناك، ويراد به القائم بنفسه، ويراد به الموجود» [٣] ، فهذا معنى حق، وإن أريد بالجسم: «المركب من الجواهر المفردة أو من المادة والصورة» [٤] ، فهو معنى باطل ينزه عنه الحق سبحانه وتعالى.

وكذلك لفظ التحيز إن أريد به «أنه منحاز عن المخلوقات مباين لها منفصل عنها، ليس حالاً فيها» [٥] .

فهذا معنى حق، وإن أريد بالحيز أنه تحوزه المخلوقات [٦] ، أو أنه تحويه بعض

---

(١) تلبيس الجهمية (٢/ ٦١).

(٢) التدمرية، ص ٦٥-٦٦.

(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٢٠).

(٤) المرجع السابق (٥/ ٤١٩).

(٥) التدمرية، ص ٦٨.

(٦) انظر: المرجع السابق، ص ٦٧.

المخلوقات، فهذا معنى باطل فمعلوم أنه بائن من خلقه ليس فيه شيء من خلقه، وليس هو في شيء من مخلوقاته تعالى وتقدس.

وكذلك لفظ التركيب، يقال لهم: إن أردتم أن الرب تعالى مركب، بمعنى أنه ركبه غيره، فهذا من أفحش الكفر وأقبحه، وإن أردتم أنه مؤلف من أجزاء متفرقة اجتمعت، فهذا أيضاً قول باطل لم يقل به أحد، وهو كفر وضلال تعالى الله وتقدس، وكذلك من زعم أنه مركب من الجواهر المفردة أو المادة والصورة، فهو قول باطل.

وكذلك من زعم أنه مركب بمعنى أنه يقبل التفريق والانقسام، فهذه أقوال باطلة ينزه الرب تعالى عنه، وهي من أكبر أصول المعطلة، وهي من أفسد الخيالات [١].

«وحقيقة كلامهم أن ما وصف به الرب نفسه لا يعقل منه إلا ما يعقل في قليل من المخلوقات التي نشهدها كأبدان بني آدم، وهذا في غاية الجهل، فإن من المخلوقات مخلوقات لم نشهدها كالملائكة والجن، حتى أرواحنا، ولا يلزم أن يكون ما أخبره به الرسول ﷺ مماثلاً لها، فكيف يكون مماثلاً لما شاهدوه» [٢].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٤٢٧-٤٢٩)، وتلبيس الجهمية (٢/ ٢٠٧)، و (٢/ ٤٧ وما بعدها)، (١/ ٢٧ وما بعدها).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٥/ ٤٣٣-٤٣٤).

ومجمل القول أن يقال: إن هذه الألفاظ ألفاظ مبتدعة لم يرد بها كتاب ولا سنة، ولا قال بها أحد من السلف، بل حتى الملل الأخرى لم يرد عنها ذكر مثل هذه الألفاظ، فقد أنكر تعالى على اليهود أقوالهم وأفعالهم ولم يرد منهم مثل هذه الألفاظ، بل ولا حتى المشركين – والعياذ بالله [١] .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«فكذلك أهل البدع والضلال من جميع الطوائف هذا معظم ما ينفرون به عن الحق ويدعون به إلى الباطل، فيسمون إثبات صفات الكمال لله تجسيماً وتشبيهاً وتمثيلاً، ويسمون إثبات الوجه واليدين لـه تركيباً، ويسمون إثبات استوائه على عرشه وعلوه على خلقه فوق سماواته تحيزاً وتجسيماً، ويسمون العرش حيزاً وجهه، ويسمون الصفات أعراضاً والأفعال حوادث...» أ.هـ[٢].

(١) انظر: الرد عليهم، تلبيس الجهمية، لابن تيمية (١/ ٤٧)، (١/ ٥٣٤ وما بعدها)، مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام (٦/ ٣٤)، ومنهاج السنة، لشيخ الإسلام (٢/ ٣٤٨) (٥٥٨-٥٥٩)، العقيدة الأصفهانية، لشيخ الإسلام (٢/ ١١٤)، نشر مكتبة الرشد، التدمرية، لشيخ الإسلام، ص ٣٦-٣٨، الصفدية (٢/ ١١٤ وما بعدها)، الصواعق المرسلة، لابن القيم (٣/ ٩٤٨ وما بعدها)، الدين الخالص، للقاسمي (١/ ١٠٤-١٠٥).

(٢) الصواعق المرسلة، لابن القيم (٢/ ٤٣٩).

٣- نفي الجهة:

ومجمل هذه الشبهة أن الله تعالى – على حد زعمهم – ليس في جهة بمعنى أنه «لو كان في جهة لكان إما أن يكون غير متناه من كل الجهات، وإما أن يكون متناهياً في كل الجهات، وإما أن يكون متناهياً من بعض الجهات دون البعض...» [١] .

وقالوا: «لو كان مختصاً بالحيز والجهة لكان محتاجاً في وجوده إلى ذلك الحيز وتلك الجهة وذلك محال» [٢] .

وهذا يلزم عندهم أن تكون السموات والأرض حاله في ذاته، وبعضهم يتوهم بقدم الجهة، ويلزم منه على زعمهم أن تكون ذاته سماء لسكان العرش[٣] ، تعالى الله علوا كبيراً، وقالوا: إنه لو كان في جهة مستوياً على العرش للزم تغير الذات، لأن كل شيء يفني ومن ذلك العرش[٤] ، كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [٥] ، وفساد قولهم بيّن ظاهر.

---

(١) تفسير الفخر الرازي (١٤/ ١٠٦ وما بعدها)، وانظر: أقواله (٥/ ١٠٣ وما بعدها) في تفسير قولـه تعالى:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ... ﴾ سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٢) تأسيس التقديس للرازي، نقلاً من بيان تلبيس الجهمية (٢/ ١٠٦). بلغنا

(٣) تفسير الفخر الرازي (١٤-١٠٦ وما بعدها)، وانظر: أقواله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ... ﴾ البقرة، الآية: ١٨٦.

(٤) انظر: المرجع السابق (١٤/ ١٠٦)، و (٥/ ١٠٣).

(٥) سورة القصص، الآية: ٨٨.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية، كالجنة والنار والعرش وغير ذلك؛ ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المتبدعين كالجهم بن صفوان، ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله، وإجماع سلف الأمة وأئمتها...» (١) .

«والشبهة التي قادت نفاة الجهة إلى نفيها هي أنعم اعتقدوا أن إثبات الجهة يوجب إثبات المكان، وإثبات المكان يوجب إثبات الجسمية...» (٢) .

«وهذا النفي تنكره بداهة العقول، لأنه يستلزم إثبات موجود مع وجود غيره ولا يكون وجود أحدهما قبل وجود الآخر ولا معه ولا بعده» (٣) .

«ومنشأ غلط كثير من الناس هنا، أن الجهة نوعان، إضافية متغيرة وثابتة، لازمة حقيقة، فالأولى هي بحسب الحيوان، فإن كل حيوان له ست جهات جهة يؤمها هي امامه، وجهة يخلفها هي خلفه، وجهة تحاذي يمينه وجهة تحاذي يساره، وجهة فوقه تحته، وهذه الجهات تتبدل وتتغير بحسب حركته،

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٠٧)، وانظر: في الرد عليهم تلبيس الجهمية (١/ ٥٣٢-٥٣٦)، اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، ص ٣٢٦ وما بعدها.

(٢) بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية (١/ ٣١ وما بعدها، (١/ ١٢٠).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٣٥-٤٣٥).

وليس لها صفة لازمة ثابتة، وإنما الجهة اللازمة الثابتة الحقيقية هي جهتا العلو والسفل فقط... وإذا كان الأمر كذلك لزم من مباينة الله للعالم أن يكون فوقه، وليس هناك شيء آخر يجوز أن يكون جهة لله تعالى ولا يمين العالم ولا يساره ولا تحته...» (١).

ومن نفى الجهة فيلزمه أحد أمرين:

«إما أن يقول: إنه سبحانه بعد انتهاء العالم محيط به من سائر جوانبه وجهاته وحينئذ فهو تعالى لا في جهة، بل في جميع الجهات لكن هذا لا يقال به ولا أعلم أحداً قال به (٢) .

وإما أن يقول: إنه سبحانه داخل العالم أو معه سارياً في جميعه، كما يقول به بعض المتصوفة، وهذا لا يقال به لأنه يوهم الحلول أو هو لازمه وأنه سبحانه مختلط بالمخلوقات تعالى الله عن ذلك، وهذا خلاف إجماع المسلمين» (٣) .

وأما لفظ الجهة فلم يرد دليل من الكتاب أو السنة على إثباته أو نفيه، «وقد علم أنه ما ثم موجود إلا الخالق والمخلوق، والخالق مباين للمخلوق سبحانه وتعالى، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، فيقال لمن نفى الجهة: أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق فالله

---

(١) المرجع السابق (٢/ ١٢١)، وانظر: أقاويل الثقات، ص ٩٣.

(٢) القائل هو مرعي الكرمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

(٣) أقاويل الثقات، للكرمي، ص ١٠٧.

ليس داخلاً في المخلوقات؛ أم تريد بالجهة ما وراء العالم، فلا ريب أن الله فوق العالم، بائن من المخلوقات...» [١] .

وقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: (يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض)[٢] .

فكيف يظن ظان، أو يقول قائل: إن المخلوقات تحويه أو تحيط به!! سبحانه تعالى وتقدس [٣] ، وهو مستوٍ على عرشه، بل قد اتفقت جميع الشرائع السماوية على أن الله تعالى في السماء [٤] ، فالجهة أمر وجودي وعدمي، فإن أريد الوجودي، أي العرش، ومعنى كونه فيها أي مستوٍ على العرش فهذا معنى حق، ويكون المعنى أنه فوق الموجودات كلها وهو غني عنها، وإن أريد العدمي أي بمعنى أنه فوق بائن من خلقه فيما فوق العالم، فهو معنى

---

(١) التدمرية، لابن تيمية، ص ٦٦، وانظر: بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية (٢/ ١٣)، وشرح الطحاوية، ص ٢١٢، ص ٤٤٢، ط. المكتب الإسلامي، وقطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، لمحمد صديق خان، ص ٤٢، ص ٨٢-٨٤.

(٢) رواه البخاري في كتاب: «التفسير»، باب: (قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ... ﴾)، رقم: ٤٥٣٤، (٤/ ١٨١٢)، ومسلم في كتاب: «صفة القيامة والجنة»، باب: (صفات المنافقين)، رقم: ٢٧٨٧.

(٣) انظر: قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، لمحمد صديق، ص ٤٣.

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣١)، (١/ ١٢٠).

حق أيضاً، وهو في كلا الأمرين ليس محتاجاً إلى أحد من مخلوقاته، بل هم جميعاً بحاجته وبأشد الفقر إليه [١] .

قال تعالى: ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ [٢] .

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«ومن توهَّم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه أو أنه محتاج إلى مخلوقاته، أو أنه محصور فيها، فهو مبطل كاذب إن نقله عن غيره وضال إن اعتقد في ربه، فإنه لم يقل به أحد من المسلمين بل لو سئل العوام هل تفهمون من قول الله ورسوله أن الله في السماء أن السماء تحويه؟ لبادر كل أحد منهم بقوله: هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا، بل عند المسلمين أن معنى كون الله في السماء وكونه على العرش واحداً بمعنى أنه تعالى في العلو لا في السفل، ولا يتوهم أن خلقاً يحصره ويحويه تعالى عن ذلك» أ. هـ [٣] .

ونقل عن القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله:

«... قد كان السلف الأول – رضي الله عنهم – لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى، كما نطق كتابه

---

(١) انظر: المرجع السابق (١/ ٥٢٠)، وللاستزادة انظر: (١/ ٥٨٣).

(٢) سورة الحج، الآية: ٦٥.

(٣) نقلاً من أقاويل الثقات، للكرمي، ص ٩٤، وانظر: الرد عليهم، تلبيس الجهمية (١/ ٨٨)، (١/ ١١١-١١٧)، (١/ ٥٥٨ وما بعدها)، (٢/ ٢٢/ ١٢٨).

وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة... وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته»أ. هـ[١] .

٤- نفي التشبيه:

وهي شبهة عظيمة دخل بها إبليس على النفاة، فقالوا: «لا يسمى بإثبات ولا نفي، ولا يقال: موجود ولا لا موجود، ولا حي ولا لا حيٌ لأن في الإثبات تشبيهاً لـه بالموجودات وفي النفي تشبيهاً لـه بالمعدومات وكل ذلك تشبيه» [٢] .

يقول الزمخشري عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [٣] :

«الغرض من هذا الكلام إذا أخذته بجملته ومجموعه تصوير عظمته، والتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو مجاز»أ. هـ [٤] .

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية (٢/ ٣٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٥)، انظر: العقيدة الاصفهانية (١/ ١٠٦)، والإرشاد، للجويني، ص ٥٧.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٧.

(٤) تفسير الزمخشري (٤/ ٤٠).

نقل ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله:

«التشبيه أن تقول: يد كيد، أو وجه كوجه، فأما إثبات يد ليست كالأيدي، ووجه ليس كالوجوه، فهو إثبات ذات ليست كالذوات وحياة ليست كغيرها من الحياة، وسمع وبصر ليس كالأسماع والأبصار»أ. هـ[١].

وهؤلاء النفاة من الأشاعرة يثبتون الحياة والسمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة والكلام فقط [٢] ، دون باقي الصفات، فيؤولونها ويقال لهم: فكما أنكم تقولون حياته ليست بعرض وعلمه كذلك وبصره كذلك... فكذلك نقول نحن في باقي صفاته تعالى من العلو والاستواء والنزول والضحك واليد والقبضة... فهي معلومة لنا من حيث المعنى والثبوت، غير معقولة الكيف والتحديد، وبهذا ننجو من الوقوع في التحريف والتشبيه. فلا فرق بين سائر الصفات لأنها ثابتة جميعاً بالنصوص القطعية في الكتاب والسنة، وإلا لزمهم التأويل في سائر الصفات التي أثبتوها حيث آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض.

وكذلك الكلام في الذات كالكلام في الصفات فكما أن لـه ذاتاً لا تشبه ذوات

---

(١) مختصر الصواعق (١/ ٢٧)، وانظر: الرد عليهم في (١/ ٢٩ وما بعدها)، النصيحة في صفات الرب، لأحمد الواسطي (٢/ ٢٣ وما بعدها)، ط. المكتب الإسلامي.

(٢) انظر: تفصيلاتهم وأدلتهم في المواقف، للإيجي، ص ٢٧٩.

المخلوقين، فكذلك له صفات لا تشبه صفات المخلوقين [١] .

وقالوا: «لو كانت ذاته مساوية لسائر الذوات في هذه الصفات لزم افتقاره إلى خالق آخر، ولزم التسلسل، أو لزم القول: إن الإمكان والحدوث غير محوج إلى الخالق، وذلك يلزم منه نفي الصانع» [٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«المعتزلة ونحوهم من نفاة الصفات يقولون: كل من أثبت لله صفة قديمة فهو مشبه ممثل، فمن قال: إن لله علماً قديماً، أو قدرة قديمة، كان عندهم مشبهاً ممثلاً، لأن القديم عند جمهورهم هو أخص وصف الإله، فمن أثبت لـه صفة قديمة فقد أثبت لله مثلاً قديماً، ويسمونه ممثلاً بهذا الاعتبار»أ. هـ[٣].

ويقول الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرد عليهم:

«وكيف استجزت أن تسمي أهل السنة وأهل المعرفة بصفات الله المقدسة مشبة، إذا وصفوا الله بما وصف به نفسه في كلامه بالأشياء التي أسماؤها

---

(١) انظر: النصيحة في صفات الرب، لأحمد الواسطي (٢/ ٢٢ وما بعدها)، التدمرية، لابن تيمية، ص ٤٣، العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية (٢/ ٢٤ وما بعدها)، شرح قصيدة ابن القيم، لأحمد بن عيسى (١/ ٢٨-٢٩).

(٢) تأسيس التقديس، للرازي،نقله ابن تيمية في نقض التأسيس (١/ ٥٧)، وانظر: الرد عليه في نفس الجزء والصفحة.

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٧٠).

موجودة في صفات بني آدم بلا تكييف.

وأنت قد شبهت إلهك في يديه وسمعه وبصره بأعمى وأقطع، وتوهمت في معبودك ما توهمت في الأعمى والأقطع، فمعبودك في دعواك مخدج منقوص أعمى لا بصر لـه؛ وأبكم لا كلام لـه، وأصم لا سمع لـه، ومقعد لا حراك به، وليس هذه بصفة إله المصلين...إلخ» (١) .

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ رداً عليهم:

«إن مجرد الاعتماد في نفي ما ينفى على مجرد نفي التشبيه لا يفيد إذ ما من شيئين إلا ويشتبهان من وجه ويفترقان من وجه، بخلاف الاعتماد على نفي النقص والعيب... وكذلك إذا أثبت لـه صفات الكمال ونفي مماثلة غيره له فيها، فإن هذا نفي المماثلة فيما هو مستحق له، وهذا حقيقة التوحيد، ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها إثبات ما وصف به نفسه من الصفات، ونفي مماثلته لشيء من المخلوقات» (٢) .

وما يستدل به المعطلة من أن الشيء إذا ماثل أو شابه غيره في شيء جاز عليه ما يجوز عليه، وامتنع عليه ما يمتنع عليه، ووجب له ما وجب عليه، يرد عليه بأن هذا القدر المشترك لازمه غير ممتنع على الرب سبحانه وتعالى إذ لا يقتضي نقصاً ولا حدوثاً.

---

(١) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي، ص ٤٢.

(٢) التدمرية، ص ١٢٤، وانظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٦٩ وما بعدها).

فالله تعالى سمى نفسه عليماً، وسمى بعض عباده عليماً، وكذلك السميع والبصير والحليم... ومعلوم قطعاً أن العليم ليس كالعليم فالخالق له من صفات الكمال ما ينفي أن يشاركه فيها أحد من خلقه، والعبد له صفات المخلوقين اللائقه (١) .

«ولما كان الأمر كذلك كان كثير من الناس يتناقض في هذا المقام، فتارة يظن أن إثبات القدر المشترك يوجب التشبيه الباطل، فيجعل ذلك حجة فيما يظن نفيه من الصفات، حذراً من ملزومات التشبيه؛ وتارة يتفطن أنه لا بد من إثبات هذا على كل تقدير، فيجيب به فيما يثبته من الصفات لمن احتج به من النفاة» (٢) .

٥- نفي الأعراض:

والعرض هو ما «يحتاج في وجوده إلى موضع أي محل يقوم به كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم هو به» (٣) .

ومن الأعراض ما يشاهد وتجتمع أجزاؤه في الخارج كالبياض والسواد، ومنه ما لا تجتمع أجزاؤه كالحركة والسكون، وكذلك من العرض ما هو سريع

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ١٢٤-١٢٧، والرد على الجهمية، لابن تيمية (١/ ٥٧-٥٨)، الحجة في بيان المحجة (١/ ١٤٤-١٦٨).

(٢) التدمرية، ص ١٢٨، وانظر: الصواعق المرسلة، لابن القيم (١/ ٢٣٤-٢٣٥).

(٣) التعريفات، للجرجاني، ص ١٥٣.

الزوال، كحمرة الخجل، ومنه ما هو بطيء الزوال كالشيب [١] .

وقد نفاه المعطلة وتوصلوا بهذا النفي إلى نفي صفات الله تعالى وما تدل عليه من معاني الكمال.

فقال الجهمية: «لو قام به صفة لكان جسماً، ولو كان جسماً لكان حادثاً، فيلزم من إثبات صفاته إنكار ذاته» [٢] .

وقد نفوها بناء على مقدمين ذكرها ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

الأولى: أن الجسم لا يخلو عن الأعراض التي هي الصفات.

الثانية: أن ما لا يخلو عن الصفات التي هي الأعراض فهو محدث لأن الصفات التي هي الأعراض لا تكون إلا محدثة [٣] .

ثم أعقبها بقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«فهذه الطريقة مما يعلم بالاضطرار أن محمداً ﷺ لم يدع الناس بها إلى الإقرار بالخالق ونبوة أنبيائه، ولهذا اعترف حذاق أهل الكلام – كالأشعري وغيره – بأنها ليست طريقة الرسل وأتباعهم، ولا سلف الأمة وأئمتها، وذكروا أنها محرمة عندهم، بل المحققون على أنها طريقة باطلة...» [٤] .

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ١٥٣-١٥٤.

(٢) الصواعق المرسلة، لابن القيم (٣/ ٩٨٥-٩٨٦).

(٣) درء تعارض النقل والعقل (١/ ٣٩)، انظر: في الرد عليهم، الصواعق المرسلة، لابن القيم (١/ ٢٢٧ وما بعدها).

(٤) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (١/ ٣٩).

«فتنزيهه عن الأعراض هو جحد صفاته كسمعه وبصره وحياته وعلمه وكلامه وإرادته، فإن هذه أعراض لا تقوم إلا بجسم، فلو كان متصفاً بها لكان جسماً، وكانت أعراضاً له وهو منزه عن الأعراض» [١] .

ولهذا كان لوازم القول به، القول بفناء الجنة والنار، وهذا قول جهم بن صفوان، وانقطاع حركات أهل الجنة، وهو قول أبو الهذيل العلاف... إلى غير ذلك من اللوازم الباطلة [٢] ، فكلما تلاعبوا بالنصوص وانتهكوا حرمتها وادعوا تنزيه الله عن أمر وقعوا وللأسف في شر مما فروا منه.

ثم لما أحرق نور الإيمان واليقين، وأدلة الكتاب والسنة شبهاتهم وأدلتهم الشيطانية، سلك بهم إبليس طريقاً آخر لنفي هذه الصفات، طريق المجاز، وهذه الدعوى هي مما «لهج به المتأخرون، والتجأ إليه المعطلون وجعلوه جنة يَتترَّسُون بها من سهام الراشقين، ويصدون به عن حقائق الوحي المبين، فمنهم من يقول الحقيقة هي: اللفظ المستعمل فيما وضع لـه أولاً، ومنهم من يقول الحقيقة هي: المعنى الذي وضع لـه اللفظ أولاً، والمجاز استعمال فيما وضع لـه ثانياً..» [٣] ، والمجاز في اللغة هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له

---

(١) الصواعق المرسلة، لابن القيم (٣/ ٩٣٤)، (١/ ٢٢٧)، وانظر: مجموع الفتاوى(٦/ ٣٤)، (٥/ ٢١٥).

(٢) انظر: درء تعارض النقل والعقل، لابن تيمية (١/ ٣٩-٤٠)، والصواعق المرسلة (١/ ٢٣٤)، (١/ ٢٢٨).

(٣) مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم، اختصار: محمد الموصلي (٢/ ٢).

والمراد من التمسك بهذه الشبهة القول: إن صفات الله تعالى وأسمائه تطلق عليه مجازاً لا حقيقة، وزعموا أن من قال: عالم حقيقة، قادر حقيقة مشبه [١] .

يقول الفخر الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [٢] :

«لا شك أن لفظ القبضة واليمين مشعر بهذه الأعضاء والجوارح، إلا أن الدلائل العقلية قامت على امتناع الأعضاء والجوارح لله تعالى، فوجب حمل هذه الأعضاء على وجوه المجاز، فنقول: إنه يقال فلان في قبضة فلان، إذا كان تحت تدبيره وتسخيره» [٣] .

وحمل أسماء الله تعالى على المجاز هو من أقوال غلاة الجهمية، ومن أشدها شراً، وهو مخالف لإجماع أهل السنة، وحقيقته نفي الخالق جل وعلا [٤] .

وقال أيضاً:

«وإنما ينكر أن تكون هذه الأسماء حقيقة النفاة من القرامطة الإسماعيلية الباطنية، ونحوهم من المتفلسفة الذين ينفون عن الله الأسماء الحسنى،

---

(١) انظر: الرد عليهم، في الإبانة، لأبي الحسن الأشعري (٢/ ١٤٠)، مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٢-٧٦)، شرح الطحاوية، ص ١٠٢. ط. المكتب الإسلامي.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٧.

(٣) تفسير الفخر الرازي (٢٧/ ١٦-١٧).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٩٨)، وشرح قصيدة ابن القيم، لأحمد بن عيسى (١/ ٢٥٠).

ويقولون: ليس بحي ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، ولا موجود، ولا معدوم؛ فهؤلاء ومن ضاهاهم ينفون أن تكون لـه حقيقة...» أ. هـ [١] .

ولا شك أن هذا الادعاء لا يغني عنهم شيئاً، لأن الحقيقة واحدة لا فرق بين كونهم نفوها أو جعلوها مجازاً.

ومما يدل على بطلانه في أسماء الله تعالى وصفاته أن معيار المجاز صحة نفيه، كما يقال: زيد أسد فيصح القول زيد ليس بأسد، وهذا لا خلاف فيه بينهم.

ولا يصح أن يقال: الله ليس بسميع أو بصير أو رحيم [٢] .

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرد على الزنادقة:

«فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يثبتون شيئاً، لكنهم يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون في العلانية... وإذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيماً لله ولا يعلم أنهم إنما يقودهم قولهم إلى ضلال وكفر...» [٣] .

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

يا قوم ليس نزولـه وعلوه حقاً لديكم بل هما عدمان
كذاك ليس يقول شيئاً عندكم لا ذا ولا قولاً سواه ثان

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١٩٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٩٧-١٩٩)، شرح نونية ابن القيم، لأحمد بن عيسى (١/ ١٥)، وشرح الطحاوية، ص ١٢١، ط. المكتب الإسلامي.

(٣) شرح قصيدة ابن القيم، للشيخ أحمد بن عيسى (١/ ٢٥٠).

كل مجاز لا حقيقة تحته أوّل وزد وانقص بلا برهان [١]

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«... له ذات حقيقة ليست كالذوات، ولـه صفات حقيقة لا مجازاً ليست كصفات المخلوقين، وكذلك قولنا في وجهه تبارك وتعالى ويديه وسمعه وبصره وكلامه واستوائه، ولا يمنعنا ذلك أن نفهم المراد من تلك الصفات وحقائقها، كما لا يمنع ذلك من أثبت لله شيئاً من صفات الجمال من فهم معنى الصفة وتحقيقها، فإن من أثبت لـه سبحانه السمع والبصر أثبتهما حقيقة، وفهم معناهما، فهكذا سائر الصفات المقدسة»[٢].

«وقد ثبت في الخطاب العربي الذي أجمع عليه أهل اللغة أن تسمية الوجه في أي محل وقع من الحقيقة والمجاز يزيد على قولنا ذات، فأما في الحيوان فذلك مشهور حقيقة، ولا يمكن دفعه، وأما في مقامات المجاز فكذلك أيضاً، لأنه يقال: فلان وجه القوم لا يراد به ذوات القوم، إذ ذوات القوم غيره قطعاً...»[٣].

«ومن حق الكلام أن يحل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا تعالى إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام

---

(١) انظر: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٢) الصواعق المرسلة، لابن القيم (٢/ ٤٢٦-٤٢٨).

(٣) أقاويل الثقات، للكرمي، ص ١٤٣.

الله – عز وجل – على الأشهر والأظهر من وجوهه، ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدعٍ ما ثبت شيء من العبادات، وجل الله أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين» (١) .

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، ١٣٦، وانظر: التمهيد، لابن عبدالبر (٧/ ١٤٥).

* ومما تجد الإشارة إليه ورده وإبطاله ما يذكره الشيخ نوح علي سلمان القضاة في كتابه المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد، ص ٩٠-٩١، بعد أن ذكر الأقوال في اليد ومعناها في قولـه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ الفتح الآية: ١٠.

ثم أعقبها بقولـه: «والكل متفقون على أن الله تعالى ليست لـه يد كأيدينا... والذي يدقق النظر يجد أقوال غير المشبهة متقاربة، لأن اليد في اللغة هي يد الإنسان المعروفة، فإذا أطلقت على غيرها كان مجازاً، سواء قلنا بعد ذلك: الله أعلم بمراده، أو قلنا: المراد القهر والغلبة، أو قلنا: يد تليق بجلاله، والكل يريد التنزيه، فلا داعي لإثارة الخلاف والعداوة بين المسلمين، وهم يواجهون الملاحدة والجاحدين، ويجب الاهتمام بالمعنى الذي سيق النص من أجله واعلم بموجبه، فقول الرسول ﷺ : (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، ويقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر لـه) متفق عليه، المراد بالحديث الحث على الاستيقاظ في الثلث الأخير من الليل والاشتغال بالدعاء والاستغفار... فالاشتغال بمعنى النزول مع الغفلة عن قيام هذه الساعات المباركة انحراف عن التوجيه النبوي وطلب للفتنة...»أ. هـ.

إذاً فكيف تفهم نصوص الصفات، وبأي وجه تفسر إذا التزمنا بما ذكره المؤلف، ثم وللأسف أن تذكر هذه الأقوال جميعاً ويقال إنها متقاربة لا نفرق بين المذهب الحق وخلافه مع أن الأمر أمر اعتقاد وفهم لصفات الله وأسمائه، حتى معطلة الجهمية أرادوا التنزيه.

ولقد قرأت كلاماً جميلاً لـ د. عمر الأشقر، في كتاب: «الأسماء والصفات»، ص ٢٣٣-٢٣٤، يقول – حفظه الله – : «والفرق الإسلامية التي انحرف مسارها وشكلت منهجاً عقائدياً أو سلوكياً ينادي

= =

وقد أطال شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم – رحمهما الله – في إبطال المجاز في القرآن، وسماه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ طاغوتاً وأبطله من خمسين وجهاً [١] ، وكذلك الشيخ محمد الأمين الشنقيطي وغيرهم [٢] .

٦- تحكيم العقل في مسائل الصفات:

وقد تقدم الحديث عن تقديم العقل على النقل في مكايد الشيطان في إيقاع العباد في البدع، ولا شك أنها شبهة عظيمة وقع فيها أهل البدع أدت بهم على إنكار الصفات وتأويلها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«إن الله سبحانه اقتضت حكمته وعدلـه أن يفسد على العبد عقله الذي

==

بعض أتباعها إلى التقارب مع أصحاب المنهج الحق، وقد انخدع بكل تلك الدعوات بعض أتباع المنهج الحق، وظنوا أن في ذلك خيراً للإسلام وأهله، ونحن نقول: إننا لا نرفض الحوار الهادف الذي تكشف فيه الحقائق، وتكشف به العقائد الزائغة والمنحرفة، فذلك منهج أصيل دعا إليه ديننا، ولكن نرفض أن تحرف حقائق الإسلام كي تلتقي مع أباطيل النصرانية واليهودية والشيوعية وغيرها... إن القيمة الكبرى هو أن يبقى المنهج الحق واضح المعالم لطالبي الحق، ظاهرة أنواره، بارزة خطوطه، وأن يبقى الفرق بينه وبين غيره مستعلناً كي تقوم حجة الله على خلقه، وكي يستطيع الباحثون عن الهدى أن يعرفوه»أ. هـ.

(١) لشيخ الإسلام، رسالة بعنوان: «الحقيقة والمجاز»، ضمن مجموع الفتاوى (٢٠/ ٤٠٠-٤٩٨)، وانظر: الفتاوى (١٢/ ٢٧٧)، وانظر: مختصر الصواعق، لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الجزء الثاني.

(٢) له رسالة بعنوان: «منع جواز المجاز»، وانظر: التمهيد، لابن عبدالبر (٧/ ١٣١).

خالف به رسله، ولم يجعله منقاداً لهم مسلماً لما جاءوا به، مذعنا لـه بحيث يكون مع الرسول كمملوكه المنقاد، فأول ما أفسد سبحانه عقل شيخهم القديم إبليس حيث لم ينقد به لأمره وعارض النص بالعقل وذكر وجه المعارضة...

ثم تأمل كيف أفسد عقول من أعرض عن رسله وعارض ما أرسلوا به فآل بهم فساد تلك العقول إلى ما قصه الله عنهم في كتابه، ومن فساد تلك العقول أنهم لم يرضوا بنبي من النبيين ورضوا بإله من الحجر، ومن فساد تلك العقول أنهم استحبوا العمى على الهدى، وآثروا عقوبة الدنيا والآخرة على سعادتهما... إلخ» (١) .

إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«وأما متكلمو الجهمية والمعتزلة فأفسد عقولهم عليهم حتى قالوا: ما يسخر العقلاء من قائله... وقالوا: يتكلم الرب بغير كلام يقوم به، وخالق بلا خلق يقوم به، وسميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وحي بلا حياة، وقدير بلا قدرة، ومريد بلا إرادة... وقالوا: الرب موجود قائم بنفسه ليس في العالم ولا خارجه، ولا متصلاً به ولا منفصلاً عنه، ولا فوقه ولا تحته، ولا عن يمينه ولا عن يساره...» (٢) .

---

(١) الصواعق المرسلة، لابن القيم (٣/ ٨٦١-٨٦٢).

(٢) المرجع السابق (٣/ ٨٦٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«... كل ما يدل عليه الكتاب والسنة، فإنه موافق لصريح المعقول، وإن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، ولكن كثيراً من الناس يغلطون، إما في هذا وإما في هذا، فمن عرف قول الرسول ومراده كان عارفاً بالأدلة الشرعية، وليس في المعقول ما يخالف المنقول...» (١) .

ومن الأمثلة على نفي الصفات بحجة أن العقل يحيلها مسألة «الرؤية» أي رؤية الله تعالى في الآخرة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة من المتأولين لهذا الباب، في أمر مريج، فإن من أنكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها، وأنه مضطر فيها إلى التأويل، ومن يحيل أن لله علماً وقدرة، وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك، يقول: إن العقل أحال ذلك فاضطر إلى التأويل (٢) ؛ بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في الجنة، يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل...» (٣) .

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٢/ ٨٠-٨١).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٨-٢٩).

(٣) كذلك يمكن إثبات الصفات التي نفوها بالعقل – أيضاً – فنقول: نفع العباد تدل على الرحمة، ومثوبة الطائعين تدل على محبته لهم، وعقابه للكافرين يدل على بغضهم... انظر في رده هذه الشبه: مجموع الفتاوى (٥/ ٢٨ وما بعدها)، حيث أطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرد عليهم، وانظر: التدمرية، ص ٥٦-
= =

فمن أقوالهم:

«يستحيل أن يرى في ذاته، فيجب أن يدل ذلك على أنه لا يصح أن يرى بالأبصار، ولا يدرك بها، لأنها لا يصح أن يرى بالبصر ما يستحيل أن يرى في نفسه، كما لا يصح أن يعلم بالقلب ما يستحيل أن يكون معلوماً في نفسه»(١).

يقول جمال الدين القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ راداً عليهم في تحكيم العقل وتقديمه على نصوص الكتابة والسنة:

«ولنضرب مثلاً لذلك مسألة الرؤية: فإن المعتزلة الذين أنكروها يزعمون أن العقل يحيل رؤية بلا جهة، وأنهم مضطرون إلى تأويل النصوص الواردة بإثباتها، بينما يخالفهم خصومهم من الأشعرية في تلك الاستحالة العقلية، ويقولون: إن الرؤية لا تستلزم الجهة، فيمكن أن تقع بدونها، فبأي عقل إذاً يمكن أن توزن نصوص الكتاب والسنة والعقول كما ترى مختلفة متناقضة؟»(٢).

وقد استدلوا على نفي الرؤية بقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ

==

٥٧، وص ٣٢-٣٤، وتوضيح الكافية الشافية، ص ٦١، للعلامة ابن سعدي، ط. عام ١٣٦٨هـ، المطبعة السلفية، القاهرة.

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي عبدالجبار (٤/ ١٤٠).

(٢) دلائل التوحيد، لجمال الدين القاسمي، ص ٦٢.

لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ... ﴾ (١).

وقولـه تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ (٢).

فقالوا: «وجه الدلالة في الآية، هو ما قد ثبت من أن الإدراك إذا قرن بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية، وثبت أنه تعالى نفى عن نفسه إدراك البصر، ونجد في ذلك تمدحاً راجعاً إلى ذاته، وما كان في نفيه تمدحاً راجعاً إلى ذاته، كان إثباته نقصاً، والنقائص غير جائزة على الله تعالى في حال من الأحوال» (٣).

وقالوا مستدلين بالعقل:

«إنه يستحيل أن يرى في ذاته، فيجب أن يدل ذلك على أنه لا يصح أن يرى بالأبصار، ولا يدرك بها» (٤).

وقالوا: «ومما يدل على أنه لا يصح أن يرى بالأبصار أن البصر لا يصح أن يرى به إلا ما كان مقابلاً له، أو في حكم المقابل له» (٥).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٣) شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبدالجبار، ص ٢٣٣.

(٤) المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي عبدالجبار (٤/ ١٤٠).

(٥) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

وأما الأشاعرة فقالوا: إن الله يرى لا في جهة [١] .

ومما هو معلوم وعليه السلف والخلف من أهل السنة والجماعة، أن رؤية الله تعالى ثابتة لم يختلف فيها، بل هي غاية شمر لها المشمرون، وتنافس عليها المتنافسون، وأكرم الله بها أولياءه وأهل محبته، وحجب عنها أهل سخطه ومقته، وهي أعظم نعيم أهل الجنة، قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [٢] .

وقد أضاف الله تعالى النظر إلى الوجه الذي هو محل النظر، وعداه (بإلى) التي هي صريحة في النظر بالإضافة على عدم وجود قرائن صارفة للمعنى الظاهر[٣].

وقد روي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : (إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه ألفي سنة، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر في وجه الله عز وجل في كل يوم مرتين، ثم تلا: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ ، قال: البياض

---

(١) انظر: الإرشاد، للجويني، ص ١٦٧، والتوحيد، للماتريدي، ص ١٥٥، تحقيق: فتح الله خليف، نشر الجامعة المصرية.

(٢) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢-٢٣.

(٣) انظر: التصديق بالنظر، للآجري، ص ٩، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، مؤسسة الرسالة، تحقيق: سمير الزهيري. وحادي الأرواح، ص ٢٧٦.

والصفا ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، قال: ينظر كل يوم إلى وجه الله عز وجل»[١].
وهذا التفسير ثبت عن عدد من الصحابة والتابعين من أمثال ابن عباس وعكرمة والحسن... وغيرهم» [٢] .
وكذلك تفسير (الزيادة)، في قولـه تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾[٣].

فالحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم.
وقد صح مرفوعاً وموقوفاً على عدد من الصحابة والتابعين.
ومنها ما رواه مسلم في صحيحه عن صهيب عن النبي ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم، فيقولون: ألم تبيِّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب

(١) رواه الدارقطني في الرؤية، ص ٢٧٣-٢٧٤، ورواه الترمذي في «صفة الجنة»، باب: (ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى)، رقم: ٢٥٥٦، (٧/ ٢٣١)، بمعناه. وقال الترمذي: «وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعاً...» أ. هـ.
(٢) انظر: السنة لعبد الله بن أحمد، ص ٦١-٦٢، والشريعة، للآجري، ص ٢٥٦، والتصديق بالنظر، للآجري، ص ٣٥، تفسير ابن كثير (٧/ ١٧٢)، الدر المنثور، للسيوطي (٦/ ٢٩٠).
(٣) سورة يونس، الآية: ٢٦.

فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل) [١] ، وفي رواية أخرى [٢] ثم تلا الآية: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾.

وروى الدارقطني عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ قال: (يبعث الله عز وجلَّ يوم القيامة منادياً بصوت يسمع أولهم وآخرهم: إن الله عز وجل وعدكم الحسنى وزيادة، فالحسنى الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل) [٣] .

وروى موقوفاً عن أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قولـه تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾، قال: (النظر إلى وجه الله تعالى) [٤] .

---

(١) رواه مسلم ، كتاب: «الإيمان»، باب: (إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى)، رقم: ٢٩٧، (١/ ١٦٣).

(٢) رواه مسلم، كتاب: «الإيمان»، باب: (إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى٩، رقم: ٢٩٨، (١/ ١٦٣)، ورواه ابن ماجه في المقدمة: باب: (فيما أنكرت الجهمية)، رقم: ١٨٧، (١/ ٦٧)، ورواه الترمذي في «صفة الجنة»، باب: (ما جاء في رؤية الرب تباك وتعالى)، رقم: ٢٥٥٥، (٧/ ٢٣٠)، ورواه ابن أبي عاصم في السنة، ص ٢٠٥-٢٠٦، والإمام أحمد في مسنده (٤/ ٣٣٢-٣٣٣)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٤٤٣-٤٤٤).

(٣) رواه الدارقطني في الرؤية، ص ١٥٦، ورواه من طرق أخرى عديدة عن أبي بكر الهذلي به، وبنحوه، ومختصراً ص ١٥٧-١٥٨، ط. الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، مكتبة المنار، تحقيق: إبراهيم محمد العلي وأحمد فخره الرفاعي.

(٤) رواه ابن أبي عاصم في السنة، ص ٢٠٦، رقم: ٤٧٣، ورواه عبدالله بن الإمام أحمد في السنة، ص ٥٩، والآجري في التصديق بالنظر، ص ٣٧، والدارقطني في الرؤية، ص ٢٨٩، من طرق ص ٢٩٠-٢٩٣، وابن مندة في الرد على الجهمية، ص ٩٥، ط. الأولى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، تحقيق: على محمد

==

وأما الأدلة من السنة فقد تواترت عن النبي ﷺ في إثبات الرؤية، وقد نص على التواتر عدد من الأئمة [١] ، ابن قتيبة، والآجري، والبيهقي، والنووي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وابن حجر العسقلاني، وغيرهم.

ومنها ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أناساً في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ : (نعم هل تضارُّون في رؤية الشمس بالظهيرة، ضوء ليس فيها سحاب)، قالوا: لا، قال: (وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر، ضوء

==

فقيهي. والبيهقي في الاعتقاد، ص ٥٨، ط. السلام العالمية، كلهم عن أبي إسحاق به، وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في ظلال الجنة: «حديث موقوف صحيح، ورجاله ثقات رجال الشيخين من الطريق الثانية، وكذا الأولى إلا مسلم بن نذير وهو لا بأس به، كما قال أبو حاتم لكن أبا إسحاق السبيعي مدلس وقد عَنْعَنَهُ، لكن يشهد له الحديث المرفوع قبله»أ. هـ، ص ٢٠٦، وانظر: آثار التابعين في إثبات تفسير هذه الآية بالرؤية في الرؤية، للدارقطني، ص ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠٢ وما بعدها، والاعتقاد، للبيهقي، ص ٥٩، والتوحيد، لابن خزيمة (٢/ ٤٤٧-٤٤٩).

(١) انظر: الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية، لابن قتيبة، ص ٢٣٨، ضمن عقائد السلف، التصديق بالنظر، للآجري، ص ١٠، والشريعة، للآجري، ص ٢٧٦، الاعتقاد، للبيهقي، ص ٦٦، شرح مسلم للنووي (٣/ ١٥)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/ ٤٢١)، حادي الأرواح، لابن القيم، ص ٢٧٧، ٣١٩، تفسير ابن كثير (٧/ ١٧١)، فتح الباري، لابن حجر (٣/ ٤٤٣)، شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ص ١٧٠، نظم المتناثر من الحديث المتواتر، رقم: ٣٠٧، ص ٢٥٠-٢٥١، لأبي الفيض جعفر الحسني الأدريسي، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الفقه الأكبر مع شرحه، ص ٧٦، لوامع الأنوار (٢/ ٢٤٣)، معارج القبول (١/ ٣٣٣)، مشكاة المصابيح (الهامش) (٣/ ١٥٧٧).

ليس فيها سحاب)، قالوا: لا، قال النبي ﷺ: (ما تضارون في رؤية الله عز وجل يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما...)[١].

والأدلة كثيرة ليس هذا مجال سردها [٢].

وأما استدلال المبتدعة بقوله تعالى: ﴿ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي... ﴾ [٣].

فهي دليل عليهم لا لهم من وجوه:

الأول: إن السائل للرؤية – موسى عليه السلام – وهو من الرسل ومحال أن يسأله ما لا يجوز، ولو سأل ما لا يجوز لجاء بيان ذلك، كما جاء في شأن نوح –

---

(١) رواه البخاري في كتاب: «التفسير»، باب: (إن الله لا يظلم مثقال ذرة)، رقم: ٤٣٠٥)، (٤/ ١٦٧١-١٦٧٢)، ورواه في كتاب: «التوحيد»، باب: (قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾)، رقم: ٧٠٠١، (٦/ ٢٠٧٦-٢٠٧٧)، بأطول منه ورواه مسلم في كتاب: «الإيمان»، باب: (معرفة طريق الرؤية) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأطول منه، رقم: ١٨٣ (١/ ١٦٧).

(٢) انظر: الرؤية، للدارقطني، ص ٩١، وما بعدها، وحادي الأرواح، ص ٢٧٧ وما بعدها.

وهل هذه الرؤية خاصة بالمؤمنين أم أن أهل الموقف يرونه تعالى مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: بأنه خاص بالمؤمنين لا يشاركهم فيه غيرهم، وقال ابن خزيمة: يراه المنافقون في الموقف.

وقيل: يراه المؤمن والكافر والمنافق، ثم يحتجب عنهم أن الكافر يراه في رؤية تعريف وتعذيب لا رؤية فرح وسرور، ثم يحتجب عنهم، انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٦)، وحادي الأرواح، لابن القيم، ص ٢٦٩، والتوحيد، لابن خزيمة (٢/ ٤٢٠)، وشرح الطحاوية، ص ١٧٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

عليه السلام – في قولـه تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ (١) .

الثاني: إن الله تعالى قال: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ ، ولم يقل لست بمرئي، أو لا تجوز رؤيتي.

الثالث: إن الجبل مع قوته وصلابته لم يحتمل ذلك، فكيف بقوى البشر الضعيفة؟! وهذا في الدنيا، وأما في الآخرة فينشئهم الله نشأة أخرى ليست كحالهم في الدنيا.

الرابع: إن الله تعالى علق رؤيته باستقرار الجبل مع إمكان ذلك، ولم يعلقه بمحال.

الخامس: إن الله تعالى تجلى للجبل وهو جماد لا يعقل، فكيف يمنع من ذلك أولياءه وأهل كرامته.

السادس: إن الله تعالى كلم موسى وناجاه، ومن جاز لـه ذلك، جازت له الرؤية من باب أولى.

السابع: إن ﴿ لَن ﴾ ليست لتأبيد النفي، فقد جاءت مطلقة في الآية، ولو جاءت مقيدة بالتأبيد لم تقتضه، كما في قولـه تعالى: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا ﴾ (٢) ، مع قولـه تعالى: ﴿ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ ﴾ (٣) ، كما إن كون ﴿

(١) سورة هود، الآية: ٤٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٥.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٧٧.

لَن ﴾ للتأبيد مردود بكثير من الآيات، كما في قولـه تعالى: ﴿ لَّن تَتَّبِعُونَا ﴾ [١] ، وقولـه: ﴿ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ﴾ [٢] ، وقولـه: ﴿ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا ﴾ [٣] ، فهذه كلها جائزة عقلاً، لولا إن الخبر منع من وقوعها، وقوله تعالى:﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ ، المراد به في الدنيا دون الآخرة، كما هو ظاهر من سياق الآية.

الثامن: إن البشر يعجزون عن رؤية ملك من الملائكة في الدنيا إلا من أيده الله من الأنبياء، فكيف برؤية الله تعالى [٤] .

وأما قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ [٥] .

فهي دليل عليهم أيضاً، لأن الإدراك هوالإحاطة، وليس كل مرئي مدرك، وكل مدرك مرئي، فالله تعالى يرى ولا بدرك، كما هو حصيلة هاتين المقدمتين، كما نرى السماء ولا ندركها ولله المثل الأعلى.

كما أن الآية سيقت في مجال المدح، فدل على تضمنها صفة كمال، لأن العدم

---

(١) سورة الفتح، الآية: ١٥.

(٢) سورة هود، الآية: ٣٦.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٨٣.

(٤) انظر فيما سبق: الاعتقاد، للبيهقي، ص ٥٧، حادي الأرواح، ٢٦٧-٢٩٦، شرح العقيدة الطحاوية، من ص ١٦٦ إلى ص ١٦٨، الانتصاف، لأحمد منير الإسكندراني، مطبوع في حاشية تفسير الكشاف (٢/ ١٥٤).

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

ليس مدحاً، وليس هو من صفات الله تعالى، فلا يوصف الله تعالى بأنه لا يرى، لأن هذا سلب للكمال، والله تعالى له صفات الكمال المطلق، وهذا الحق الذي اتفق عليه السلف.

كما إن تمام الآية: دليل عليهم إذ يقول تعالى: ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾ فهذا دليل على إدراكه الأبصار، والمعتزلة ينفون ذلك [١] .

وأما إبطال أدلتهم العقلية فأقول:

إن نفيهم للرؤية بناء على أن إثباتها يؤدي إلى كون الرب في جهة، ولو كان في جهة لكان جسماً، والأجسام متماثلة، فإثبات الجسم يقتضي الحدوث، فكل جسم حادث على حد زعمهم [٢] .

والجهة التي ينفونها من الألفاظ المجملة التي تحتاج إلى تفصيل، فإن أريد بالجهة أمراً وجودياً، أي بمعنى أن الله تعالى داخل في خلقه، أو تحويه بعض مخلوقاته، فلا شك في بطلان هذا القول.

وإن أريد بالجهة أمراً عدمياً وهو ما فوق العالم، وأنه تعالى بائن من خلقه فوق سماواته، مستوٍ على عرشه فهذا بلا شك معنى حق [٣] .

---

(١) انظر: التصديق بالنظر، للآجري، ص ١٠، مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/ ٢٨٩)، التدمرية، ص ٥٩، حادى الأرواح، لابن القيم، ص ٢٧٣، شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ص ١٦٨-١٦٩، فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٤٣٥-٤٣٦).

(٢) انظر: منهاج السنة، لابن تيمية (٣/ ٣٤٣)، التدمرية، لابن تيمية ١١٩-١٢٠.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٥/ ٢٦٢-٢٩٣٩، منهاج السنة (٢/ ٣٤٨، ٥٥٨-٥٥٩).

والله جل وعلا لـه صفات تليق بجلاله وعظمته، لا تشبه صفات المخلوقين، فلا يجوز قياس صفاته تعالى بصفاتهم، كما لا يجوز قياس ذاته بذواتهم.

والخلاف مع هؤلاء خلاف منهج، إذ إنهم في اعتمادهم على العقل وتقديمه على السمع، جانبوا النصوص، وأدخلوا في دين الله ما ليس فيه، وأعرضوا عن الحق ففساد مذهبهم في مسألة ما يعود إلى فساد المنهج العقلي الذي سلكوه.

ويقال لهم أيضاً أليس الذي قال: (سترون ربكم عياناً) ، هو الذي أنزل عليه القرآن، وبلغه لأمته؟ فهل يظن ظان أن هؤلاء المبتدعة علموا من القرآن، وفهموا منه أشد وأوضح مما فهمه نبي الأمة – عليه صلوات الله وسلامه – ؟!!

وأما قول الأشاعرة بإثبات الرؤية، ونفي الجهة، فهذا ممتنع في بداهة العقول، والرسول ﷺ قد شبه رؤية الله تعالى يوم القيامة برؤية الشمس والقمر، وهما من أشد الأشياء وضوحاً، وهم يرونها فوقهم عياناً، فدل ذلك على إثبات رؤية الله تعالى عياناً مواجهة، وقولهم هذا لضعفه، واستحالته، كان سبباً لتطاول منكري الرؤية عليهم وإظهار تناقضهم [1] .

ونفيهم العلو والاستواء هو الذي دفعهم لسلوك هذا الرأي الباطل الذي

---

(١) انظر: تلبيس الجهمية (١/ ٣٥٩-٣٦٠)، (٢/ ٨٨-٨٩)، منهاج السنة (٣/ ٣٤١)، شرح الطحاوية، ص ٢١١، ط. المكتب الإسلامي.

جمعوا فيه بين الحق والباطل، والذي لعم فساده بالضرورة، مع اتفاق أهل السنة عليه وشهادة الفطر السليمة به [١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«... كل ما يدل عليه الكتاب والسنة، فإنه موافق لصريح المعقول، وإن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، ولكن كثيراً من الناس يغلطون، إما في هذا، وإما في هذا، فمن عرف قول الرسول ومراده كان عارفاً بالأدلة الشرعية، وليس في المعقول ما يخالف المنقول...» [٢] .

ومن هنا يتبين أن وظيفة العقل في باب الأسماء والصفات:

١- فهم معانيها.

٢- التفكر والتدبر لآثارها ومقتضياتها.

٣- استعمال الأقيسة العقلية الصحيحة اللائقة بالله تعالى وهي:

أ- إثبات الكمال لله ونفي النقص.

---

(١) انظر: منهاج السنة (٣/ ٣٤٢-٣٤٣)، مجموع الفتاوى (١٦/ ٨٤-٨٩)، وقد عقد ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فصلاً في حادي الأرواح بعنوان: «وعيد منكري الرؤية» ساق الآيات والآحاديث ثم عقبها بقوله: «فأجمع بين قوله: فإنكم سترون ربكم» وقوله: لمن ظن أنه غير ملاقيه، فإني أنساك كما نسيتني، وإجماع أهل اللغة على أن اللقاء المعاينة بالأبصار، ويحصل لك العلم بأن منكري الرؤية أحق بهذا الوعيد...»أ. هـ، حادي الأرواح، ص ٣١٨-٣١٩.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٢/ ٨٠-٨١).

ب- قياس الأولى [١] .

جـ- نفي الصفة إثبات لكمال ضدها.

وقياس الأولى معناه كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله:

«أن العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيلي يستوي فيه الأصل والفرع، ولا بقياس شمولي تستوي أفراده، فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء، فلا يجوز أن يمثل بغيره، ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كلية يستوي أفرادها...

ولكن يستعمل في ذلك قياس الأولى، سواءً كان تمثيلاً أو شمولاً، كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ ، مثل أن نعلم أن كل كمال للممكن أو المحدث لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وهو ما كان كمالاً للوجود غير مستلزم للعدم بوجه، فالواجب القديم أولى به، وكل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه، ثبت نوعه للمخلوق والمربوب المدبر، فإنما استفاده من خالقه وربه ومدبره، فهو أحق به منه، وأن كل نقص وعيب في نفسه، وهو ما تضمن سلب هذا الكمال إذا وجب نفيه عن شيء من أنواع المخلوقات

(١) انظر: كتاب مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات، لأحمد بن عبدالرحمن القاضي، ص ٤٧٣، ط. دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

والمحدثات فإنه يجب نفيه عن الرب تبارك وتعالى بطريق الأولى» أ. هـ [١] .

قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [٢] .

وقولـه تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [٣] .

وقولـه تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [٤] .

وكلها تدل على قياس الأولى، وإثبات الكمال لله تعالى ونفي النقص.

كذلك نفي الصفة إثبات لكمال ضدها.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [٥] ، لكمال عدلـه، فينفي ضدها صفات النقص عنه متضمناً إثبات الكمال.

وقولـه: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[٦] ، فينفي العزوب هنا لإثبات كمال علمه تعالى [١] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٩٧)، وانظر: (١٢/ ٣٥٠)، وشرح العقيدة الطحاوية، ص ١٢٢، والصواعق المرسلة (١/ ٦٤).

(٢) سورة النحل، الآية: ٦٠.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢٧.

(٤) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٦) سورة يونس، الآية: ٦١.

ومن لغايات في ذكر هذه الصفات السلبية – والله أعلم.

١- بيان عموم الكمال، أي كماله تعالى، كما في قولـه تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ (٢) .

٢- نفي ادعاء المشركين والمكذبين، كما في قولـه تعالى: ﴿ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ (٣) .

٣- دفع توهم النقص فيما يتعلق بأمر معين (٤) ، كما في قولـه تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴾ (٥) .

وقولـه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ (٦) .

==

(١) انظر: بدائع الفوائد، لابن القيم (١/ ١٥٩-١٦١)، تلخيص الحموية، ص ٥٤، ضمن رسائل العقيدة، وانظر: القواعد المثلى، لابن عثيمين، ص ٢٥-٢٨.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٣) سورة مريم، الآيتان: ٩١-٩٢.

(٤) القواعد المثلى، لابن عثيمين، ص ٢٨، (بتصرف واختصار يسير).

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ١٦.

(٦) سورة ق، الآية: ٣٨.

٧- التفويض:

ومن الشبه التي كادهم بها إبليس شبهة التفويض [١] .

ومعناه: «صرف اللفظ عن ظاهره، مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد منه، بل يترك ويفوض علمه إلى الله تعالى - بأن يقول: الله أعلم بمراده» [٢] .

ومعنى هذا القول إن أسماء الله تعالى وصفاته ليس لها معنى، أو لها معنى لا يعلمه إلا الله، ولم يعلمه رسوله ولا جبريل - عليهما السلام - ولا الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - [٣].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«ومنهم من يقول بل تجري على ظاهرها وهؤلاء يشتركون في القول بأن الرسول لم يبين المراد بالنصوص التي يجعلونها مشكلة أو متشابهة، ولهذا يجعل كل فريق المشكل من نصوصه غير ما يجعله الفريق الآخر مشكلاً، ثم منهم من يقول لم يعلم معانيها أيضاً، ومنهم من يقول علمها ولم يبينها بل

(١) نسب بعض المؤلفين هذا المذهب لأهل السنة... وهو قول باطل، انظر: بيان ذلك والرد عليه في كتاب: «مذهب أهل التفويض»، لأحمد القاضي، ص ١٥٢ وما بعدها.

(٢) النظام الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد، لمحمد محيي الدين عبدالحميد، حاشية على إتحاف المريد بجوهرة التوحيد، لعبد السلام، اللقاني، ص ١٢٨، نقلاً من المرجع السابق.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٣٤)، (٣/ ٦٦ وما بعدها)، (٥/ ٣٥ وما بعدها).

أحال في بيانها على الأدلة العقلية»أ.هـ[١] .

ولهذا سماهم ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أصحاب التجهيل، فقال: «والصنف الثالث: أصحاب التجهيل: الذي قالوا: نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها، ولا ندري ما أراد الله ورسوله منها، ولكن نقرأها ألفاظاً لا معاني لها، ونعلم أن لها تأويلاً لا يعلمه إلا الله... فلو ورد علينا منها ما ورد نعتقد فيه تمثيلاً ولا تشبيهاً ولم نعرف معناه، وننكر على من تأوله ونكل علمه إلى الله...»أ.هـ[٢].

يقول أبو منصور الماتريدي [٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صفة الاستواء: «فيجب القول

---

(١) شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ص ٥٩٦، ط. المكتب الإسلامي، وانظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (١/ ٢٠٤).

(٢) الصواعق المرسلة، (٢/ ٤٢٢)، ط. الأولى ١٤٠٨هـ، دار العاصمة، الرياض، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله.

(٣) أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، وهو من أئمة علماء الكلام نسبته إلى ما تريد (محلة بسمرقند)، توفي سنة ٣٣٣هـ، عاصر أبا الحسن الأشعري، من آرائه: إن معرفة الله تعالى مدركة بالعقل، وإن أفعال الله تعالى أرادها لحكمة اختارها، وإن كلام الله هو المعنى القائم بذاته وأنها قديمة،ولـه آراء أخرى، ولـه مؤلفات منها التوحيد، التأويلات وغيرها، انظر: الأعلام، للزركلي (٧/ ١٩)، جامع الفرق والمذاهب الإسلامية، تأليف: أمير المهنا وعلى خريس، ص ١٧٠-١٧١، ط. الأولى، ١٩٩٢م، نشر المركز الثقافي العربي، بيروت. كتاب أبي منصور الماتريدي حياته وآراؤه، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبدالرحمن المحمود، ط. الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، مكتبة الرشد، الرياض.

بالرحمن على العرش استوى على ما جاء به التنزيل، وثبت ذلك في العقل، ثم لا نقطع تأويله على شيء لاحتماله غيره مما ذكرنا، واحتماله ما لم يبلغنا مما يعلم أنه غير محتمل شبه الخلق»أ. هـ[١] .

ومن خلال تأمل هذا القول يظهر لك أنهم متناقضون أشد التناقض فمن قائل منهم أن نصوص الصفات تجري على ظواهرها على القول: إن لها تأويلاً لا يعلمه إلا الله.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«ومنهم من يقول: بل تجري على ظاهرها، وتحمل على ظاهرها، ومع هذا فلا يعلم تأويلها إلا الله، فيتناقضون حيث أثبتوا لها تأويلاً يخالف ظاهرها، وقالوا: مع هذا إنها تحمل على ظاهرها...»أ. هـ[٢] .

ولفساد هذا القول لزم منه لوازم باطلة منها:

التعطيل المحض إذ لا فرق بين هذا القول وقول المعتزلة من حيث الأثر فكلاهما نفى معاني صفات الله وما دلت عليه.

ومنها: الطعن في القرآن الذي وصفه الله تعالى بأنه نور وبرهان وهدى وموعظة وكتاب وفرقان، فهم يقولون: إنه احتوى على ألفاظ لا معنى لها،

---

(١) التوحيد، للماتريدي، ص ٧٤، وقد سبق الرد على من أنكر الاستواء.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، (١/ ١٥-١٦)، وانظر: التدمرية، ص ١١٣-١١٤، الصواعق المرسلة (٣/ ٩٢١)، (٤٢٣-٤٢٤).

وأنه سبب الحيرة والضلال.

ومنها: رد صحيح السنة ومتواترها [١] .

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً المنهج الحق في الرد على النفاة والمشبهة: «... المعاني المفهومة من الكتاب والسنة لا ترد بالشبهات، فيكون ردها من باب تحريف الكلم عن مواضعه، ولا يترك تدبرها ومعرفتها فيكون ذلك مشابهة للذين إذا ذكروا بآيات ربهم خروا عليها صماً وعمياناً، ولا يقال هي ألفاظ لا تعقل معانيها ولا يعرف المراد منها فيكون ذلك مشابهة للذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني...»أ. هـ [٢] .

ومن هنا فهؤلاء المفوضة يمكن أن يرد عليهم من وجهين:

الأول: أن هذا القول لم يقل به أحد من سلف الأمة ولا الأئمة، فمضمون هذا القول إن أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا فهم معناه، وكان يمكن القول: إن خطاب رسول الله ﷺ خالٍ من الفائدة وليس له معنى صحيحاً، وهذا لم ينقل عن أحد من السلف.

الثاني: إن كان نفيهم مبنياً على أن العقل لا يدل على إثبات الصفات فيقال لهم: السمع دليل مستقل بنفسه، فيجب الاعتصام به في المضايق، فلماذا تنفون المدلول أو تجعلون الصفات كلها عائدة إلى الإرادة مع أن النصوص لم

---

(١) انظر: مذهب أهل التفويض، لأحمد القاضي، ص ٥٠٥ وما بعدها.

(٢) الصواعق المرسلة، لابن القيم (١/ ٢٢٩).

تفرق [١] .

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«فعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا الملائكة ولا السابقون الأولون، وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون: كلاماً لا يعقلون معناه... ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء، وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك، لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة لا يعلم أحد معناها...» .

إلى أن قال: «فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد»أ. هـ [٢] .

٨- نفي الصفات بناء على أن إثباتها يستلزم منه تعدد القدماء:

فقالوا لو أثبتنا صفة العلم مثلاً لله تعالى: «فإنه لا يخلو أن يكون الله العالم بنفسه، ويكون العلم من صفاته في ذاته لا صفته لغيره، فقد جعل مع الله سواه، ولو كان مع الله سواه، لكان أحدهما قديماً والآخر محدثاً، فيجب على

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٢٩٤-٣٠٠)، انظر: مشكل الحديث وبيانه، لابن فورك، ص ٢٤٣-٢٤٤، تحقيق وتعليق: د. عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الوعي، حلب، ط. الأولى، ١٤٠٢هـ.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (١/ ٢٠٤-٢٠٥).

من قال بذلك أن يبين أيها المحدث لصاحبه، فإن قال: إن العلم أحدث الخالق كفر، وإن قال: إن الله أحدث العلم، فقد زعم أن الله كان غير عالم حتى أحدث العلم، ومتى لم يكن العلم فضده لا شك ثابت، وهو الجهل...»[١].

وقالوا:

«لو كان العلم نفس الذات، والقدرة نفس الذات، لكان العلم نفس القدرة؛ فكان المفهوم من العلم والقدرة واحداً، وأنه ضروري البطلان...

واحتج المعتزلة بوجوه:

الأول: أن إثبات القدماء كفر، وبه كفرت النصارى.

الثاني: عالميته وقادريته واجبة فلا تحتاج إلى الغير.

الثالث: صفته صفة كمال، فيلزم أن يكون ناقصاً لذاته، مستكملاً بغيره وهو باطل» [٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فقال نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة ونحوهم: (الواحد)

---

(١) رسائل العدل والتوحيد (٢/ ١٣٧-١٣٨)، وانظر في الرد عليهم: مجموع الفتاوى(١٢/ ٢٣١-٢٣٤)، التدمرية، ص ١١٧، والإبانة، لأبي الحسن الأشعري (٢/ ١٤٤)، وتوضيح الكافية الشافية، ص ٦١، والأسماء والصفات، للشنقيطي، ص ٩٦-٩٨.

(٢) المواقف، للإيجي، ص ٢٨٠.

هو الذي لا صفة لـه ولا قدرة، ويعبرون عن هذا المعنى بعبارات، فيقول من يريد هذا المعنى من الفلاسفة كابن سينا وأمثاله: إن واجب الوجود واحد من كل وجه ليس فيه أجزاء ولا أجزاءكم أو يقال: ليس فيه كثرة حد ولا كثرة كم... ومقصود هذه العبارات أنه ليس لله صفة ولا له قدرة.

وكذلك تقول الجهمية من المعتزلة وغيرهم: إن القديم واحد ليس معه في القدم غيره، ولو قامت به الصفات لكان معه غيره، وأنه ليس بجسم؛ إذ الجسم مركب مؤلف منقسم، وهذا تعدد ينافي التوحيد، أو يقولون أيضاً: إن ثبوت الصفات تقتضي كثرة وعدداً في ذاته وذلك خلاف التوحيد، ويسمون أنفسهم (الموحدين)» (١).

وقال أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«... إنهم يزعمون أن إثبات الصفات ينافي التوحيد ويزعمون أنهم هم الموحدون، فإن من أثبت الصفات فهو مشبه ليس بموحد، وأنه يثبت تعدد القدماء لا يجعل القديم واحداً فقط... ويجعلون نفي الصفات داخلاً في مسمى التوحيد...» (٢).

ويقال لهم هذه النخلة التي أمامكم بجذعها وليفها وسعفها... أليست يطلق عليها اسم النخلة بما فيها، فكذلك الله تعالى ولله المثل الأعلى لا نقول إن

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية (١/ ٤٦٥).

(٢) تلبيس الجهمية (١/ ٤٦٣)، وانظر: الرد على الزنادقة والجهمية، للإمام أحمد، ص ١٠٤-١٠٦.

صفاته منفصلة عن ذاته.

وألم يقل سبحانه تعالى في كتابه عن الوليد بن المغيرة: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ [١] ، فسماه وحيداً مع أن لـه صفات وأعراضاً وحواس، ولله المثل الأعلى [٢] .

ومما يدل على فساد قولهم إنه لو صح لجاز أن يقال يا علم الله اغفر لي وارحمني[٣] .

ويقال لهم أيضاً: إن من قال الله متكلم قائل آمر ناه لا قول له ولا كلام ولا أمر ولا نهي لـه، فهو خارج عن ملة الإسلام وهم يقرون بذلك فكذلك من قال إن الله تعالى عالم ولا علم لـه، وكذلك يقال في الإرادة وسائر الصفات[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرد عليهم:

«ولفظ (الواجب. والقديم) يراد به الإله الخالق سبحانه، الواجب الوجود القديم[٥] ، فهذا ليس إلا واحداً، ويراد به صفاته الأزلية، وهي قديمة واجبة

---

(١) سورة المدثر، الآية: ١١.

(٢) انظر: الرد على الزنادقة، للإمام أحمد بن حنبل.

(٣) انظر: الإبانة، لأبي الحسن الأشعري (٢/ ١٤٤).

(٤) انظر: المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

(٥) هل القديم من أسماء الله؟! قال شارح الطحاوية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وقد أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى (القديم) وليس هو من الأسماء الحسنى، فإن القديم في لغة العرب: هو المتقدم على غيره، ولم
= =

بتقدم الموصوف، ووجوبه لم تجب أن تكون مماثلة لـه، ولا تكون إلهاً، كما أن صفة النبي ليست بنبي، وصفة الإنسان والحيوان ليست بإنسان ولا حيوان»[١].

كما أن أقوالهم تلك تؤدي إلى إثبات رب لا يتصور وجوده إلا في الأذهان، فليس له ذات ولا صفة بل هو أشبه بالمعدوم [٢] .

وخلاصة القول إن إبليس قد زين لهم شبهات كادهم بها حتى سلخهم من دينهم، فجعلهم يعتمدون على أقوال الفلاسفة، وعباراتهم ومصطلحاتهم فقاسوا: بناء عليها صفات الله تعالى وأسمائه فأدخلوا في دين الله ما ليس منه، ولهذا جاءوا بعبارات موهمة وألفاظ غريبة لم تكن معهودة، ولا معروفة عند سلف الأمة [٣] الذين تلقوا المعين الصافي من هادي البشرية، ونبي الرحمة

==

يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره، لا فيما لم يسبقه عدم... وأما إدخال القديم في أسماء الله تعالى، فهو مشهور عند أكثر الكلام، وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلق...» أ. هـ، شرح الطحاوية، لابن أبي العز، ص ٥٩-٦٠.

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٣١).

(٢) انظر: المرجع السابق (١٧/ ٢٨٨)، وللاستزادة، انظر: الصفدية لابن تيمية (٢/ ٢٧٧)، مجموع الفتاوى (٣/ ٢٣-٢٤)، (١٢/ ١٦١ وما بعدها)، (١٧/ ١٦٨).

(٣) وقد أثر عن أبي عبدالله الرازي قوله – عند موته – : «ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت منها فائدة تساوى الفائدة التي وجدتها في القرآن لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال لله، ويمنع من التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية؛ فلهذا أقول: كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة

==

محمد عليه صلوات الله وسلامه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقاً وتكلفاً فقد ﴿ ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾ [1] فصار يستدل بزعمه... على جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه...» أ. هـ [2].

==

من وجوب وجوده ووحدته وبراءته عن الشركاء كما في القدم والأزلية والتدبير والفعالية فذاك هو الذي أقول به وألقى الله...إلخ»، طبقات الشافعية (٥/ ٣٧).

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧١.

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٣).

«الباب الثاني»
مكايد الشيطان في مسائل الـنبـوات

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مكايده في إنكار النبوات.

المبحث الثاني: مكايده في الغلو في الأنبياء.

المبحث الثالث: مكايده في نفي المعجزات والكرامات.

المبحث الرابع: مكايده فيما يتعلق بالولاية والأولياء.

المبحث الأول

مكايده في إنكار النبوات

النبوة في اللغة مشتقة من النبأ: وهو الخبر والجمع أنباء [١] ، «تقول نبأ ونبَّأ أي أخبر، ومنه أُخذ النبي لأنه أنبأ عن الله تعالى وهو فعيل، بمعنى فاعل»[٢].

وقد يأتي فعيل بمعنى مفعول كقولـه تعالى: ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْخَبِيرُ ٱلْعَلِيمُ﴾[٣]

وقيل: «النبي مشتق من النَّبَاوة، وهي الشيء المرتفع» [٤] .

وأما الرسول فهو المرسل، مأخوذ من الإرسال، وأصله رَسَّلُ [٥] .

وهو «الانبعاث على التؤدة، ويقال: ناقة رسلة سهلة السير، وإبل مراسيل منبعثة انبعاثاً سهلاً، ومن الرسول المنبعث...» [٦] .

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (١/ ١٦٢).

(٢) الصحاح، للجوهري (١/ ٧٤).

(٣) سروة التحريم: الآية: ٣، وانظر: المفردات للراغب، ص ٤٨٢.

(٤) لسان العرب، لابن منظور (١/ ١٦٣)، واشترط الراغب في المفـردات للخـبر عنـدما يسـمى نبـأ أربعة شروط هي:

١- أن يكون خبراً.

٢- أن يتضمن فائدة.

٣- أن يحصل به علم أو غلبة ظن.

٤- خلوه من الكذب بأن يصل حد التواتر، انظر: المفردات، ص ٤٨١.

(٥) انظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ص ١٣٠٠.

(٦) المفردات، ص ١٩٥.

«والجمع على أرسل ورُسُل ورُسْل ورُسلاء» [١] .

وقد يطلق الرسول على الجمع [٢] ، كما في قولـه تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [٣] ، والرسول هو الذي يتابع أخبار من بعثه [٤] .

أما التعريف الإصلاحي للفظي النبوة والرسالة، فاختلف العلماء في اتفاقهما وترادفهما، أو تباينهما على أقوال ذكرها الماوردي [٥] رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: «اختلف أهل العلم في الأنبياء والرسل على قولين: أحدهما أن الأنبياء والرسل واحد، فالنبي رسول والرسول نبي، والرسول مأخوذ من تحمل الرسالة، والنبي مأخوذ من النبَأ، وهو الخبر إن همز، ومأخوذ من النُّبُوة إن لم يهمز، وهو الموضع المرتفع، وهذا أشبه لأن محمداً ﷺ قد كان يخاطب بهما.

القول الثاني: أنهما يختلفان، لأن اختلاف الأسماء يدل على اختلاف المسميات والرسول أعلى منزلة من النبي، ولذلك سميت الملائكة رسلاً ولم يسموا

---

(١) لسان العرب، مادة: (رسل)، (١١/ ٢٨٣)، وانظر: المفردات، ص ١٩٥.

(٢) انظر: المفردات، ص ١٩٥.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٦.

(٤) لسان العرب (١١/ ٢٨٤).

(٥) علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي، أقضى قضاة عصره، من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة، ولد في البصرة وانتقل إلى بغداد، وكان يميل إلى مذهب الإعتزال، وفاتـه في بغـداد سنة ٤٥٠، الأعلام، للزركلي (٤/ ٣٢٧)، وانظر: ميزان الاعتدال (٣/ ١٥٥).

أنبياء»أ.هـ[١].

واختلف من قال بالتفريق بينهما في ذكر الفرق على أقوال عدة منها:

١- طريق الوحي والتبليغ، فالرسول تنزل عليه الملائكة، والنبي يوحى إليه مناماً.

٢- الرسول من أوحي إليه وأمر بالتبليغ، والنبي من أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ.

٣- الرسول من أرسل إلى من خالف أمر الله ليبلغهم الرسالة بشريعة جديدة، فأما النبي فهو يعمل بشريعة من قبله، ولم يرسل إلى أحد يبلغه عن الله رسالة.

٤- وقيل النبي يأتي إلى قوم بما يعرفون أنه الحق سواء تابع من قبله أم لا والرسول يبعث ويرسل إلى قوم مخالفين مخالفة كبرى وعظمى، حتى لو كان تابعاً لشريعة من قبله.

٥- وقيل: الرسول من أوحي إليه وجمع مع المعجزة كتاباً منزلاً، والنبي لا كتاب له خاص به[٢].

---

(١) أعلام النبوة، للماوردي، ص ٣٨، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، وانظر: كتاب الفقه الأكبر مع شرحه، للالقارى، ص ٥٢.

(٢) انظر: الإعلام، للقرطبي (٣/ ٢٣٨-٢٣٩)، المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٣٩)، أعلام النبوة للماوردي، ص ٣٨، النبوات، ص ٢٨١.

٦- وقيل: الرسول من له كتاب ونسخ شريعة من كان قبله، والنبي لا كتاب له خاص به ولا نسخ.

وجميع هذه الأقوال متقاربة، وقول من قال بالتفريق هو الصواب - إن شاء الله - لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ (١).

فعطف النبي على الرسول والعطف يقتضي المغايرة ولقوله ﷺ للبراء بن عازب (٢) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عندما علمه الذكر الذي يقوله عند النوم (آمنت بكتابك الذي أنزلت، ورسولك قال: لا ونبيك الذي أرسلت) (٣).

حملاً للفظ على التأسيس لا التأكيد.

وفي الحديث الصحيح النصّ على أن نوحاً عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أول رسول إلى أهل

---

(١) سورة الحج، الآية: ٥٢.

(٢) هو البراء بن الحارث بن عدي من الأوس الأنصاري يكنى أبا عمارة، له ولأبيه صحبة وهو الذي افتتح الري سنة ٢٤هـ، وشهد مع علي الجمل وصفين وقتال الخوارج ونزل بالكوفة ومات سنة ٧٢هـ، روى عن النبي ﷺ جملة من الأحاديث، انظر: الإصابة (١/ ١٤٧)، الإعلام (٢/ ٤٦).

(٣) الحديث في البخاري، كتاب: «الوضوء»، باب: (فضل من بات على الوضوء)، رقم ٢٤٤، (١/ ٩٧)، ورواه مسلم في كتاب: «الذكر والدعاء والتوبة»، باب: (ما يقول عند النوم وأخذ المضجع)، رقم: ٢٧١٠، (٤/ ٢٠٨١-٢٠٨٢)، عن البراء.

الأرض [١].

مع العلم أنه كان قبله أنبياء كآدم وشيث وإدريس – عليهم السلام – [٢] والرسالة والنبوة.

بينهما عموم من وجه وخصوص من وجه آخر، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها.

إن الرسالة أكمل من النبوة إذ هي – أي الرسالة – نبوة وزيادة، كما أنهما يجتمعان في أن كلا من الرسول والنبي يوحى إليه، وكلاهما اصطفاء وتشريف من الله عز وجل، ولا تنال بالكسب والاجتهاد، كلاهما قد ختم بسيد المرسلين محمد ﷺ، وكلاهما مأمور بتبليغ الوحي[٣].

---

(١) كما روى البخاري في كتاب: «الأنبياء»، باب: (قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾)، رقم: ٣١٦٢، (٣/ ١٢١٥-١٢١٦)، ومسلم في كتاب: «الإيمان»، باب: (أدنى أهل الجنة منزلة فيها)، رقم: ١٩٤، (١/ ١٨٤-١٨٦).

(٢) انظر: النبوات، ص ٢٨١، وروح المعاني، للآلوسي (١٧/ ١٧٢-١٧٣)، دار إحياء التراث، ط. الرابعة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ٣٣٢، أصول الدين، للبغدادي، ص ١٥٤، النبوة بين المثبتين والمنكرين، د. جمال الدين حسين عفيفي، ص ١٤-١٦.

(٣) ذكر الماوردي في التفريق بين النبوة والرسالة قولاً نقله عن قطرب وهو: «أن الرسول هو المبعوث إلى أمة والنبي هو المحدث الذي لا يبعث إلى أمة» أعلام النبوة، ص ٣٨، وهو قول فاسد لأنه يفضي إلى رفع المحدث إلى درجة النبي، كما يفضي إلى القول: إن النبوة يمكن أن تنال بالكسب، وهذا يخالف إجماع المسلمين بل وحتى الملل الآخرى من اليهود والنصارى.

والمحدث لا يصل إلى درجة الأنبياء والرسل، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي

= =

ولإبليس في باب النبوات مكايد عظيمة، سواء بإبطالها أو الغلو فيها أو إنكار الآيات والبينات.

والأصل في هذا الفصل قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ (١).

«والمراد بما يلقي الشيطان: ما يقع للقارئ من إبدال كلمة بكلمة أو حرف بحرف: أو تغيير إعراب سهواً، وقيل: المراد ما يلقيه في الآيات المتشابهة من الاحتمالات التي ليست مراداً لله تعالى، والمعنى إذا تمنى إيمان قومه وهدايتهم ألقى الشيطان إلى أوليائه شبهاً فينسخ الله تعالى تلك الشبه ويحكم الآيات

==

ﷺ قال: (لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يك من أمتي أحد فإنه عمر»، وفي رواية أخرى: (لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال، يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر).

رواه البخاري في كتاب: «فضائل الصحابة»، باب: (مناقب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، رقم: ٣٤٨٦، (٣/ ١٣٤٩)، ورواه في كتاب: «الأنبياء»، باب: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم)، رقم: ٣٢٨٢، (٣/ ١٢٧٩-١٢٨٠)، عن أبي هريرة بنحوه.

والمحدث: الملهم، وقيل: الرجل الصادق الظن، وقيل: من يجري الحق على لسانه من غير قصد، وقيل: من تكلمه الملائكة، وقيل: غير ذلك.

انظر: شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية، ص ١٢٣، تقديم حسين مخلوف، نشر دار الكتب الإسلامية، ط عام ١٣٥٨هـ، دار الإعتصام، القاهرة، فتح الباري، لابن حجر (٧/ ٦٢)، شرح الطحاوية، لابن أبي العز، ص ١٦٨، ط. المكتب الإسلامي.

(١) سورة الحج، الآية: ٥٢.

الدالة على دفعها» [١] .

وقيل المعنى: «ألقى الشيطان الوساوس والشبهات في طريق أمنيته لكيلا تتحقق هذه الأمنية، بأن يوهم الشيطان الناس بأن هذا الرسول أو النبي ساحر أو مجنون، أو غير ذلك من الصفات القبيحة التي برأ الله تعالى منها رسله وأنبياءه» [٢] .

وقد سبق بحث هذه الآية وبيان الأقوال فيها.

وهو بهذا الإبطال وإلقاء هذه الشبهات يريد إغلاق الطريق لمعرفة الله تعالى وقيام دينه في الأرض، فلولا الرسل لم يعبد الله تعالى في الأرض ولم يعلم العباد صفاته وأسمائه الحسنى، ولم يعلموا دينه وشرائعه وثوابه وعقابه [٣] .

«بل يقال: إنه ليس في الأرض مملكة قائمة إلا في نبوة أو أثر نبوة» [٤] .

ومن هنا أستطيع حصر بعض مكايده في هذا الشأن بوجه عام ومنها:

الأول: دعوى السحر والكهانة والشعر.

الثاني: دعوى الجنون.

---

(١) روح المعاني، للآلوسي (١٧/ ١٧٥).

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، نشر دار نهضة مصر، تاريخ الطبعة ١٩٩٨م.

(٣) انظر: الصارم المسلول، لابن تيمية (٢/ ٤٥٩).

(٤) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

الثالث: دعوى الكذب.

الرابع: الجنس البشري.

الخامس: أن الأنبياء – عليهم السلام – أظهروا للناس في الإيمان بالله واليوم الآخر خلاف الأمر لينقادوا.

السادس: تفضيل بعض البشر على الأنبياء.

أولاً: دعوى السحر والكهانة والشعر (١) :

وهي شبه قديمة كاد بها إبليس أنبياء الله تعالى ورسوله وسلط عليهم بها حزبه وأولياءه، قال تعالى: ﴿ **كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ** ﴾ (٢) .

وقال تعالى مبيناً حال كفار مكة من رسالة محمد ﷺ : ﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٌ مُّبِينٌ** ﴾ (٣) .

---

(١) يقول الأستاذ/ حسن أحمد قطامش في كتاب: «المواجهة»، ص ٧٣-٧٤: «العجيب أن التهم الموجهة للرسل وأتباعهم هي تهم شيطانية كذلك فالسحر، والجنون، والكهانة، والشعر، كل هذه تهم مرتبطة بالشياطين وعلة ذلك أن البشرية بفطرتها تنفر عن الشياطين، وكل ما ينسب إليها، فحين توجه للرسل والدعاة مثل هذه التهم تتلازم معها النفرة الفطرية، وهذا من خبث مكر إبليس اللعين وجنده»أ. هـ.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٢.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٤٣.

وقال تعالى: ﴿ الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١) .

روى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : (أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رقَّ له، بلغ ذلك أبا جهل فأتاه، فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً، قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر لـه «أو أنك كاره لـه» ، قال: وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيدته مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقولـه الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسلفه، وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته.

قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر، يأثره عن غيره فنزلت ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ (٢)) (٣) .

---

(١) سورة يونس، الآيتان: ١-٢.

(٢) سورة المدثر، الآية: ١١.

(٣) اخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٦)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري
= =

وهي شبه باطلة لما يلي:

١- أن الأنبياء تتنزل عليهم الملائكة، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ (٢)، أما السحرة وأضرابهم فتتنزل عليهم الشياطين والجن، قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ (٣).

٢- إن السحر مبناه على الظلم، والشرك والكذب وغير ذلك مما يبغضه الرب سبحانه وتعالى وينهى عنه، والأنبياء جاءوا بخلاف ذلك من الدعوة إلى التوحيد، والعدل، والصدق.

٣- إن خوارق السحرة يمكن معارضتها وإبطالها من قبل السحرة ومن غيرهم، أما خوارق الأنبياء، فلا يمكن لأحد أن يعارضهم، ولا يستطيع أحد أن يبطلها، ولهذا سحرة فرعون آمنوا بموسى بعد أن أيقنوا أن ما جاء به موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليس من جنس السحر.

==

ولم يخرجاه».

(١) سورة البقرة، الآية: ٩٧.

(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٢١٠-٢١١.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ٢٢١-٢٢٢.

٤- إن كرامات أتباع الأنبياء دليل على صدق الأنبياء بخلاف خوارق السحرة فهي دليل على الساحر وعلى سحره ولا تتعداه.

٥- إن هدف الساحر هو التخريب والإفساد في الأرض، أما الأنبياء فهم يدعون إلى العدل والإصلاح، وعبادة الله وحده لا شريك له.

٦- إن السحر والكهانة تنال بالكسب والتعلم بخلاف النبوة.

٧- إن خوارق السحرة والكهان مقدورة للجن والإنس بل والحيوان كالطير في الهواء والمشي على الماء، بخلاف معجزات الأنبياء فلا يقدر عليها مخلوق كإنزال الكتب وتكليم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وغير ذلك.

٨- الأنبياء - عليهم صلوات الله وسلامه - يصدق بعضهم بعضاً أما السحرة فيكذب بعضهم بعضاً ويذم بعضهم بعضاً.

٩- إن النبوة لو كانت تنال بالكسب لكان طريقها هو عبادة الله وحده لا شريك لـه، والصدق والعدل وتزكية النفوس، بعكس السحر والكهانة، فهي لا تنال إلا بالشرك بالله تعالى والكذب والزور والاحتيال، وشتان بين الأمرين.

١٠- إن هذه الأمور معروفة ومعتادة، ولها خواص مستلزمة لها، وهي خارقة لعادة سائر الناس دون الأنبياء [١] .

---

(١) انظر فيما سبق: النبوات، لابن تيمية، ص ٤٣-٤٩، ص ٢٩٦، ص ٤٣٩-٤٤٩، الجواب الصحيح، لابن تيمية (١/ ٢٤١)، (٤/ ٢٦٠-٢٦٢)، إيثار الحق على الخلق، لابن الوزير، ص ٢٠٤-
= =

ويقال لهم أيضاً: هل عرف السحر عن أحد من الأنبياء، ولهذا آمن السحرة بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ليقينهم أن هذا ليس بسحر.

وكان عقلاء الكفار يعترفون بأن ما جاء به نبينا محمد ﷺ ليس بسحر، كما في حديث عتبة بن ربيعة [١] والنضر وغيرهما [٢] من الصحابة قبل إسلامهم.

روى الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله: (خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال فقرأ: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ ، قال: قلت: كاهن قال: ﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٣ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ [٣] ، إلى آخر السورة، قال: فوقع الإسلام في

==

.٢١١

(١) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد: كبير قريش، وأحد سادتها في الجاهلية، كان موصوفاً بالرأي والحلم والفضل، خطيب نافذ القول... أدرك الإسلام، وطغى فشهد بدراً مع المشركين... فأحاط به علي بن أبي طالب وحمزة وعبيدة بن الحارث فقتلوه. الأعلام، للزركلي (٤/ ٢٠٠).

(٢) انظر: هذه الروايات في دلائل النبوة، للبيهقي (٢/ ٢٠١-٢٠٥).

(٣) سورة الحاقة، الآيات: ٤٠-٤٧ .

قلبي كل موقع) [١] .

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قام النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبدالدار بن قصي فقال: يا معشر قريش إنه والله لقد نزل بكم أمر ما ابتليتم بمثله، لقد كان محمد فيكم غلاماً حديثاً أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم: كاهن لا والله ما هو بكاهن قد رأينا الكهنة وحالهم وسمعنا سجعهم، وقلتم: شاعر لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه وقريضة، وقلتم: مجنون لا والله ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه يا معشر قريش انظروا في شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم...» [٢] .

ثانياً: دعوى الجنون:

وهذه الشبهة قديمة أيضاً قالها أقوام الرسل لرسلهم، حيث بين تعالى ذلك في كتابه جل وعلا: ﴿ **كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ**

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ١٧-١٨)، وذكره ابن كثير (٤/ ٤١٨)، ط. دار الفكر، ولم يعلق عليه.

(٢) السيرة النبوية (١/ ٣١٩-٣٢٠)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد.

سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [١] .

وكانت هذه الشبهة مما تمسك به مشركو قريش، حيث وصفوا نبينا محمداً ﷺ بالجنون وقاربهم في ذلك بعض المستشرقين، حيث وصفوا الرسول ﷺ بأنه تعتريه حالات عصبية فسروها بمرض - الصرع أحياناً وبالهستيريا أحياناً أخرى، وقالوا: إن أثرها ظاهري في مزاجه العصبي القلق [٢] .

ومجرد تصور هذه الشبهة الشيطانية كاف في ردها، فحياة الأنبياء وسلوكهم وكمال أخلاقهم ظاهر للبشر.

ورسولنا الحبيب عاش بين قومه أربعين سنة، كان معروفاً فيها بالشجاعة والصدق، والوفاء، والعقل، والرزانة، وكان كبار قريش ورؤساؤهم يطلبون منه القضاء بينهم عند التنازع، فكيف يكون من هذه صفته مصاباً بالجنون.

ثم بالنظر والتأمل إلى ما جاء به من نصوص الوحي الذي أعجز فحول الشعر أن يأتوا بآية من مثله، ومن تأمل هذا التشريع الرباني المتكامل وبناء تلك الدولة العظيمة أيقن بُعْد هذا القول وسخافته، فليس عندهم دليل واحد على صدق قولهم.

وأما ما زعمه المستشرقون في حال النبي الكريم - عليه صلوات الله وسلامه

---

(١) سورة الذاريات، الآيتان: ٥٢-٥٣.

(٢) انظر: رؤية إسلامية للاستشراق، ص ٣٨، من إصدارات المنتدى الإسلامي، آراء المستشرقين حول القرآن (١/ ٣٩٨)، د. عمر رضوان، نشر دار طيبة.

- فنحن نعلم بل قد ثبت علمياً وطبياً أن المصروع تتعطل مداركه ولا تصبح لديه مقدرة على التفكير والحفظ، بل هو في حالة إغماء تام، وتعطل لحركة الشعور [١].

فأين هذا من حال رسولنا الكريم ﷺ عند نزول الوحي عليه حيث أنه يخاطب أصحابه، وينقل لهم ما سمعه من جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ دون أن يخطئ كلمة واحدة.

وأما مرض «الهستيريا فهو داء عصبي عضال، أكثر إصاباته في النساء ومن أعراضه شذوذ الخلق، وضيق في التنفس، واضطراب في الهضم، وقد يصل بصاحبه إلى حالة شلل موضعي، ثم إلى تشنج، ثم إلى إغماء، ثم إلى هذيان مصحوب بحركة واضطراب في اليدين والرجلين وقفز من مكان إلى مكان...» [٢].

ووصف هذا المرض كافٍ في الجزم بأن حالات الوحي لا يمكن أن تلتبس بمثل هذه الأعراض ولكنه التعصب المذموم.

كما أن الواقع يكذب ذلك، فالمصروع والمصاب بالهستيريا يلفظ ألفاظاً عشواء لا يعي ما يقول، ولا يفهم منه، فأين هذا مما جاء به نبي الأمة ﷺ

---

(١) انظر: دائرة معارف القرن العشرين (٥/ ٤٦٩-٤٧٨).

(٢) مناهل العرفان، للزرقاني (١/ ٧٤)، وانظر: دائرة معارف القرن العشرين (١٠/ ٥٠٧-٥١٠).

من نصوص الوحي الربانية [١] .

ثالثاً: دعوى الكذب:

ومن الشبه التي كاد بها إبليس لإبطال نبوات الأنبياء اتهامهم بالكذب والخيانة، قال تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ [٢] .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ [٣] .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴾[٤] .

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [٥] .

---

(١) انظر فيما سبق: مناهل العرفان، للزرقاني (١/ ٧٤)، وحي الله لحسن ضياء الدين عتر، ط. الثانية، دار الفنون، جدة، ص ٢٠٥-٢٠٦، آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره (١/ ٣٩٨)، الوحي في الإسلام وإبطال الشبهات، عبدالله أبو بكر ٣٦٩-٣٧٦، رسالة ماجستير مقدمه إلى جامعة أم القرى، مكتوبة على الآلة الكاتبة.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٤.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٥.

(٤) سورة الحج، الآية: ٤٢.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٨٠.

وقولـه تعالى: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (١) .

ومن ذلك أيضاً تكذيب اليهود لعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وزعمهم أنه ولد زنا.

والمتأمل في حياة الرسل والأنبياء ودعواتهم، يرى ما هم عليه من علو الهمة والأمانة، والصدق، والترفع عن سفاسف الأمور.

كما أنهم من أكمل الناس خُلقاً وخَلقاً، ونسباً وعقلاً: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (٢) .

وهم من أشد الناس بلاءً، عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشد بلاءً، قال: (الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة) (٣) .

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٧٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

(٣) رواه الترمذي في كتاب: «الزهد»، باب: (ما جاء في الصبر على البلاء)، رقم: ٢٤٠٠، (٧/ ١٢٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. أ. هـ، ورواه ابن ماجه في كتاب: «الزهد»، باب: (الصبر على البلاء)، رقم: ٤٠٢٣، (٢/ ١٣٣٤)، عن مصعب بن سعد، ورواه الإمام أحمد في مسنده (١/ ١٧٢) عن مصعب بنحوه، ورواه الدارمي، باب: (أشد الناس بلاء)، (٢/ ٤١٢)، عن عاصم بنحوه، وانظر: السلسلة الصحيحة، حديث رقم: ١٤٣، (١/ ٥٣-٥٤).

فلو لم يكن الله اصطفاهم واختارهم وكلفهم بهذا، أكانوا يتجشمون [١] هذه الصعاب؟!! ويكذبون على الناس؟! ليكون ذلك سبباً إلى منافرتهم وقتالهم!!

ومن ادعى النبوة فسرعان ما يظهر عواره، ويتضح كذبه، حتى ولو جرت على يديه الخوارق الشيطانية، لأن سنة الله في كشفهم وهزيمتهم جارية.

كما إن الفروق بين النبي والمتنبي الكاذب واضحة يدركها كل ذي لب وبصيرة، ومنها:

١ - ما يتعلق بالصفات:

فصفات النبي هي الصدق والنزاهة والدعوة إلى التوحيد، وصفات المتنبي الكذب، والخيانة، ولهذا لما ذهب أبو سفيان إلى الشام والتقى مع هرقل [٢] ودار بينهما الحوار في الحديث المعروف وفيه:

(... قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: ولم

---

(١) «جَشَمَ الأمر، بالكسر يَجْشَمُه وجشامةً وتجشمَّه: تكلَّفه على مشقة»، لسان العرب (١٢/ ١٠٠).

(٢) اسمه هرقل، ولقبه قيصر، ملك الروم، أرسل عليه الرسول ﷺ دحية الكلبي ليدعوه للإسلام فدعا البطارقة والقساوسة فاستشارهم فأبو الإسلام فخاف على ملكه وبقي على النصرانية، انظر: البداية والنهاية (٥/ ١٤).

تمكن كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة...) [١] .

فقريش كلهم لم يكونوا يشكون في صدق نبينا محمد ﷺ، وكان يلقب قبل البعثة بالصادق الأمين، فهل كان سيترك الكذب على الناس ثم يكذب على الله حاشاه!!

٢- ما يتعلق بالأخبار والأوامر والنواهي:

فالنبي لا يأتي إلا بما صح، وتبين صدقه من الأخبار، ولو جاء بخبر وتبين كذبه، لرد خبره، وعرف أنه ليس بنبي، كذلك ما تحمله الأوامر والنواهي من حكم وغايات وأهداف سامية، كل ذلك دليل صدقه ونبوته ﷺ، قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾** ﴾ [٢]

ويقول تعالى ذكره: ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾** ﴾ [٣] .

---

(١) رواه البخاري في كتاب: «بدء الوحي»، باب: (كيف بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ)، رقم: ٧، (١٥/ ٧-٩)، ورواه مسلم في «المغازي»، باب: (كتاب النبي ﷺ إلى هرقل)، رقم: ١٧٧٣، (٣/ ١٣٩٣-١٣٩٧).

(٢) سورة يونس، الآية: ٣٧.

(٣) سورة الحاقة، الآيات: ٤٤-٤٧.

وكذلك ما يتعلق بالأوامر والنواهي فهم لا يأمرون إلا بالحق، وبما فيه صلاح البشرية، قال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [(١)] .

وتأمل هذا النور الإلهي مع ما جاء به مسيلمة الكذاب من قوله: «والشاء وألوانها، وأعجبها السود ألبانها، والشاة السوداء واللبن الأبيض، إنه لعجب محض، وقد حرم المذق، فما لكم لا تمجعون» [(٢)] .

وقوله: «يا ضفدع ابنة ضفدع، نقي ما تنقين، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين» [(٣)] .

ولهذا روى ابن جرير أن أبا بكر الصديق لما قدم عليه وفد من بني حنيفة قال لهم: «سبحان الله! ويحكم إن هذا الكلام ما خرج من إل ولا بر فأين يذهب بكم» [(٤)] .

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٢) تاريخ الأمم والملوك، لابن جرير (٤/ ١٠٢).

(٣) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٤) المرجع السابق (٤/ ١١٨).

٣- فيما يتعلق بالآيات:

فآيات الأنبياء لا يمكن معارضتها، ولا الإتيان بمثلها، بخلاف غيرهم فمدعو النبوة خوارقهم من جنس خوارق السحرة والكهان، وهي تعارض وتبطل بالآيات القرآنية [١] .

والله عز وجل لا يؤيد من كذب عليه، وأبطل شرائعه، ولهذا روي أنه كان إذا جيء لمسيلمة الكذاب بالصبي فحنكه ومسح رأسه، قرع ولثغ [٢] واستبان مهلكه، وتمضمض في بئر ليباركها فغارت، وتوضأ في حائط فعادت يباباً [٣] .

٤- فيما يتعلق بالنصر والتأييد:

فالله تعالى نصر رسله وأيدهم بالبينات، ولم يخذلهم قط، أما مدعي النبوة فيقطعه، ويخذلـه، ويجعله عبرة للمعتبرين، فمتى رأينا متنبئاً نصره الله، وأبقى دعوته، والتاريخ شاهد على ذلك من أمثال خذلانه وإهلاكه تعالى لمسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي [٤] ، وسجاح [١] وغيرهم.

---

(١) انظر: الجواب الصحيح، لابن تيمية (١/ ١٤٩-١٥٠).

(٢) «الألثغ: الذي لا يستطيع أن يتلكم بالراء، وقيل: هو الذي يجعـل الـراء غينـاً أو لامـاً... وقيـل: هوالذي لا يبين الكلام..»، لسان العرب (٨/ ٤٤٨).

(٣) انظر: تفصيل هذه الروايات في تاريخ الأمم والملوك (٤/ ١٠٣-١٠٤).

(٤) «طليحة بن خويلد الأسدي، من أسد خزيمة، متنبئ، شجاع، من الفصحاء يقـال لـه: (طليحـة

= =

حتى أهل الكتاب يوجد عندهم من يدعي النبوة .. ففي سفر التثنية الإصحاح الثامن عشر «٢٠- وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمى كلاماً لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي».

وهذا دليل عليهم، إذ لو كانت رسالة محمد ﷺ - ادعاء كما زعموا - لما بقيت وانتشرت هذا الانتشار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز، وما من أحد ادعى النبوة من الصادقين إلا وقد ظهر عليه من العلم والصدق

= =

الكذاب) كان من أشجع العرب، قدم وفد أسد خزيمة سنة تسع، وأسلموا ولما رجعوا أرتد طليحة، وادعى النبوة، فقاتله أبو بكر الصديق، فلحق بالشام، ثم عاد بعد وفاة أبي بكر وأسلم وحسن إسلامه، مات سنة ٢١هـ».

انظر: تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٥٤)، والأعلام، للزركلي (٣/ ٢٣٠).

(١) «سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان، التميمية، من بني يربوع أم صادر: متنبئة مشهورة، كانت شاعرة أدبية عارفة بالأخبار، رفيعة الشأن في قومها... ادعت النبوة بعد وفاة النبي ﷺ وكانت في بني تغلب بالجزيرة... فتبعها جمع من عشيرتها» تزوجها مسيلمة الكذاب، ولما قتل أسلمت وهاجرت إلى البصرة وتوفيت بها عام ٥٥هـ.

انظر: الأعلام، للزركلي (٣/ ٧٨).

والبر وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز»أ. هـ [١] .

وبالجملة فإن صدق الأنبياء معلوم بالضرورة، فقد أخبروا بعاقبة كل من خالفهم، وحذروا من هلاك الظالمين، فكان كما قالوا كما علم بالتواتر حيث أهلك الله قوم نوح بالطوفان، وأغرق فرعون وقومه... إلخ.

كما أن أحوالهم، وأخلاقهم، وما جاءوا به من الرحمة والخير ومكارم الأخلاق والإصلاح لا يمكن أن يصدر من كذاب متنبئ [٢] .

رابعاً: الجنس البشري:

ومن المكايد التي كاد بها إبليس العباد لإبطال النبوات، دعوى البشرية، والمعنى أن الرسل بشر وليسوا ملائكة، وهذا يدل على كذبهم – بزعمه – فلا بد أن يكونوا ملائكة ليتميزوا عن البشر.

قال تعالى: ﴿ **وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا** ﴾ [٣] .

---

(١) شرح الأصفهانية، لابن تيمية، ص ٨٩.

(٢) انظر: شرح الطحاوية، ص ١٢٠، مسائل الجاهلية، للإمام محمد بن عبدالوهاب، ص ٨٢-٨٧، تحقيق: شكري الآلوسي، ط. عام ١٣٩٦هـ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ٩٤-٩٥.

وقد بين تعالى هذه الشبهة في مواضع عدة من كتابه العزيز ومنها:

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ (١) .

وقوله تعالى: ﴿ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾(٣) .

وقوله تعالى: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ ﴾ (٤) .

وقوله تعالى: ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ (٥) .

وقوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (٦) .

---

(١) سورة التغابن، الآية: ٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٨٦.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٣٣.

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ١٠.

(٦) سورة يونس، الآية: ٢.

وقولـه تعالى: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١) .

وقد أبطل الله تعالى هذه الشبهة في آيات كثيرة منها:

قولـه تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ (٢) .

وقولـه تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ (٣) .

وقولـه تعالى: ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ (٤) .

وقولـه تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ (٥) .

ويظهر من خلال هذه الآيات إبطال هذه الشبهة، حيث إن الجنس إلى مثله أمثل، ومن هنا أرسل الله تعالى للبشر بشراً مثلهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ

(١) سورة الأعراف، الآية: ٦٣.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١١.
(٣) سورة الكهف، الآية: ١١٠.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩٣.
(٥) سورة الأنعام، الآيتان: ٨-٩.

ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾[١] ، وهذا من لطفه تعالى ورحمته ليتمكنوا من مخاطبته، وفهم قوله إذ لو كان من الملائكة فلا يخلو الأمر من إحدى حالين:

الأولى: أن يكون بهيئته وشكله الملائكي، وهذا لا يمكن البشر القدرة على تحمل رؤيته، وإما أقدر الله تعالى أنبياءه على ذلك ليكون لهم آية ومعجزة، قال ابن عباس «ما أتاهم إلا في صورة رجل، لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة» [٢] .

الثاني: أن يأتوا بصورة البشر كما كانت الملائكة تأتي إلى الأنبياء بصورة بشر في قصة إبراهيم ولوط ونبينا محمد ﷺ عندما جاءه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في صورة دحية الكلبي [٣] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

وهذا لا يزيل اللبس، بل قد يقول المعاند إن هذا بشر وليس ملكا، فهاتوا الدليل والبرهان على أنه ملك [٤] فيكذب الرسول، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩٥.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٥/ ١٥٣).

(٣) «دحيه بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي: صحابي، بعثه رسول الله ﷺ برسالته إلى «قيصر» يدعوه للإسلام وحضر كثيراً من الوقائع، كان يضرب به المثل في حسن الصورة وشهد اليرموك... عامش إلى خلافة معاوية»، الأعلام (٢/ ٣٣٧)، وانظر: الإصابة (١/ ٤٧٣).

(٤) انظر: جامع البيان، لابن جرير (٥/ ١٥٢-١٥٣)، أحكام القرآن، للقرطبي (٦/ ٣٩٣)، (١٠/ ٣٢٢)، مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٧٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ص ٤٦٧-٧٩٩، ط. دار السلام، زاد المسير، لابن الجوزي (٥/ ٨٥-٨٩)، تفسير الرازي (٢١/ ٦٠-٦١)، تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ص ٨٣-٨٤، أضواء البيان، للشنقيطي (٢/ ٢٩٠)، (٣/ ٥٧٢-٥٧٣)، مدارج

==

جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا ﴾ [١] .

خامساً: أن الرسل – عليهم السلام – أظهروا للناس في الإيمان بالله واليوم الآخر خلاف الأمر:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وهؤلاء [٢] يرون: إقرار النصوص على ظواهرها هو المصلحة التي يجب حمل الناس عليها مع اعتقادهم أن الأنبياء لم يبينوا الحق، ولم يورثوا علماً ينبغي للعلماء معرفته...» [٣] .

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فالفارابي [٤] يقول: إن خاصة النبوة جودة تخييل الأمور المعقولة في الصور المحسوسة...» [٥] .

= =

السالكين (١/ ٢٤٦)،

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩.

(٢) يقصد الفلاسفة ومن سار على نهجهم من أمثال أبي حامد الغزالي في بعض كتبه وبعض الأشاعرة.

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١٠/ ٢٧٠).

(٤) الفارابي: اسمه محمد بن محمد أوزلغ بن طرخان، ولد سنة ٢٦٠هـ، وتوفي سنة ٣٣٩هـ، يعرف بالمعلم الثاني، أكبر الفلاسفة الذين عرفوا في الإسلام، تركي الأصل، نشأ في بغداد وألف فيها أكثر كتبه، ورحل إلى مصر والشام، واتصل بسيف الدولة ابن حمدان، من مؤلفاته: «النصوص» و «آراء هل المدينة الفاضلة»، وغيرهما.

انظر: مع الفارابي والمدن الفاضلة، فاروق سعد، ص ٥٣-٥٦، الأعلام للزركلي (٧/ ٢٠).

(٥) مجموع الفتاوى (٤/ ٩٩)، وانظر: (٣/ ٣٣٩).

وقال أيضاً: «وابن سينا يذكر هذا المعنى في مواضع ويقول: ما كان يمكن موسى ابن عمران مع أولئك العبرانيين، ولا يمكن محمداً مع أولئك العرب الجفاة أن يبينا لهم الحقائق على ما هي عليه، فإنهم كانوا يعجزون عن فهم ذلك، وإن فهموه على ما هو عليه انحلت عزماتهم عن اتباعه، لأنهم لا يرون فيه من العلم ما يقتضي العمل...»[١].

ثم أعقبه بقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«وكل من اعتقد نفي ما أثبته الرسول حصل في نوع من الإلحاد بحسب ذلك»[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«أن الرسول لا يجوز عليه أن يخالف شيئاً من الحق، ولا يخبر بما تحيكه العقول وتنفيه، لكن يخبر بما تعجز العقول عن معرفته فيخبر بمحارات العقول، لا بمحالات العقول...» [٣] .

وقد توصل بها إبليس – أخزاه الله – إلى عدة لوازم باطلة، منها:

---

(١) المرجع السابق.

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١٠/ ٢٧٠).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٩٧)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٣١٢)، الصواعق المرسلة، لابن القيم (٣/ ٨٣٠).

١- نفي صفات الله تعالى وأسمائه وهو معنى الإلحاد الذي حذر منه تعالى في قولـه: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [1]، كما سبق بيان ذلك.

٢- نفي الاحتجاج بالكتاب والسنة، إذ جميع ما ورد فيها يخالف الحقيقة والواقع، وما هو إلا تخييل تنتفع به العامة.

٣- إن أعظم العلوم وأهمها وهو العلم بالله تعالى لم تبينه الرسل، ولا هدت الخلق إليه بل معرفته إنما تتم بواسطة العقول.

٤- إنكار البعث والمعاد ومشاهد القيامة.

٥- إنكار النبوة فما فائدة هذا الرسول الذي جميع ما أتى به إنما هو ضرب من الخيال وجذب جمهور الخلق إليه [2]، وهذا هو الهدف الأسمى لإبليس.

سادساً: تفضيل بعض البشر على الأنبياء:

وهي مكيدة أخرى كاد بها إبليس عباد الله لإبطال النبوات- وسيأتي بحثها

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢١)، (١/ ١٩).

في مكايده فيما يتعلق بالولاية والأولياء – ولكن إيرادها هنا لبيان أن هناك إبليساً يلقي بهذه الشبهة لإبطال تعظيم الأنبياء في قلوب العباد ورفع غيرهم من البشر إلى أعلى مقامهم، لتسقط هيبتهم من القلوب وتتعلق بغيرهم ممن أغوى وفتن بهم إبليس خلق كبير، كما في أولياء وأقطاب الصوفية والقاديانية [1] وأئمة الشيعة... وغيرهم.

(١) القاديانية: مؤسسها مرزا غلام أحمد القادياني (١٨٣٩-١٩٠٨) نشأت عام ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في الهند بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد... يعتقدون أن الرسالة لم تختم وإن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء، ولهم اعتقادات شنيعة في الألوهية، تعالى الله عن أقوالهم علواً كبيراً، انظر: الموسوعة الميسرة، للندوة العالمية، ص ٣٨٩-٣٩١، والقاديانية، دراسة وتحليل، لإحسان إلهي ظهير، ١٠٠ وما بعدها.

المبحث الثاني

مكايد الشيطان في الغلو في الأنبياء

لقد سلك إبليس لإبطال النبوات مسلكين:

الأول: التكذيب والصدَّ كما سبق في المبحث الأول.

الثاني: الغلو – كما سيأتي – حيث رفعهم فوق منزلتهم إلى مقام الألوهية من باب التعظيم والإجلال.

وهذا الأمر قد حذر منه نبينا ﷺ وخشي على أمته من الوقوع فيه وقال الرجل الذي قال: (يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا... فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: قولوا بقولكم ولا يستجركم الشيطان أو الشياطين أنا محمد بن عبدالله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل) [1] .

ومن أبرز مظاهره في الغلو:

١- تأليه الأنبياء ومنهم:

أ- عيسى – عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ – .

---

(١) ورواه أحمد في المسند (٣/ ١٥٣، ٢٤١)، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ والبيهقي في السنن الكبرى، رقم: ١٠٠٧٥، (٦/ ٧٠) بنحوه، وأحمد الشيباني في الآحاد والمثاني، رقم: ١٤٨٢، (٣/ ١٥٣) ط. الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، دار الراية، الرياض، وله شاهد صحيح سيأتي.

ب- عزير عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

جـ- محمد ﷺ .

٢- سؤالهم الشفاعة والتضرع لهم وإظهار الفاقة والحاجة لهم من دون الله.

٣- الغلو في قبورهم، ومن أمثلته:

أ- اتخاذها أعياداً ومساجد.

ب- اعتقاد أن من زار قبر النبي ﷺ وجبت له الشفاعة.

جـ- الاستغاثة بها عند الشدائد والكروب.

د- اعتقاد الصوفية أن يده الشريفة تخرج من القبر لتصافح من يسمى بالأولياء والأقطاب.

هـ- اعتقاد الصوفية أنه يحضر مجالسهم، وأنهم يرونه يقظة لا مناماً وأنه يلقن مشايخهم الأوراد والأدعية التي يعظمونها.

٤- إقامة الأعياد والموالد [١] .

وفيما يلي البيان والتفصيل بعون الله وتوفيقه:

١- تأليه الأنبياء:

لقد برز كيد الشيطان لكثير من الناس بأن زين لهم الغلو في الأنبياء وتأليههم

(١) انظر: خصائص النبي ﷺ بين الغلو والجفا، تأليف: الصادق بن محمد بن إبراهيم.

وسأذكر لذلك ثلاثة أمثلة:

أ- عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :

ومن أبرز من كادهم إبليس بتأليه الأنبياء النصارى حيث زعموا أن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ اتحد بذات الله وتجسد به، كإشراق النور على الجسم المشف، وقيل: انطبع فيه انطباع النقش بالشمع، وقيل: مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء والماء اللبن [١] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«والنصارى عليهم لعائن الله من جهلهم، وليس لهم ضابط ولا لكفرهم حد بل أقوالهم وضلالتهم منتشر، فمنهم من يعتقده إلهاً، ومنهم من يعتقده شريكاً ومنهم من يعتقده ولداً، وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة، وأقوال غير مؤتلفة» [٢] .

ففي إنجيل متى جاء قولهم:

«أما ولادة يسوع المسيح، فكانت هكذا، لما كانت أمه مريم مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس».

---

(١) انظر: الملل والنحل، للشهرستاني (١/ ٢٢٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٥٩٠)، القاهرة، دار الفكر.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«والنصارى مع فرقهم مجمعون على التثليث، ويقولون: إن الله جوهر واحد وله ثلاثة أقانيم...» (١) .

حتى كتبهم – رغم تحريفها – ترد عليهم ففيها إثبات أن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رسول، ففي إنجيل يوحنا ١٤: ٢٤ تعترف عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنه رسول كما في النص التالي: «الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني» (٢)

وفي إنجيل متى ٢٣: ٨ «لا تدعو سيدي لأن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعاً إخوة ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح» (٣) .

وفي يوحنا ١٧: ٣ «... وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته».

وقد أفسد إبليس عليهم دينهم عن طريق أحد أوليائه وأتباعه وهو النصراني بولس (٤) حيث ألقى إليهم شبهه أن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إله والمؤيدات لذلك

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٦/ ٢٤).

(٢) إنجيل يوحنا ١٤: ٢٤.

(٣) إنجيل متى ٢٣: ٨.

(٤) اسمه الأصلي شاول، ولد في طرطوس وتربى في أروشليم، وجاء عنه أنه من الفريسيين يهودي اعتنق النصرانية نفاقاً، وكتب المسيحية متفقة على أنه من اليهود، حيث كان في بداية حياته من أشد الناس عداوة للمسيحيين، وقد حاول الاتصال بتلاميذ المسيح عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ثم أخذ في إنشاء الكنائس وإلقاء الخطب والمواعظ، وتأليف الرسائل التي اعتمد عليها النصارى بعده، وهي مليئة

= =

كثير منها: ما أجرى الله على يديه من المعجزات والآيات الباهرات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص – بإذن الله – وغيرها.

ومنها: خلقه من غير أب.

وهذا لا يقدر عليه إلا إله، أو ابن إله ففتنوا به وضلوا ضلالاً بعيداً.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (١).

وسيأتي مزيد بيان لذلك – إن شاء الله – في الفصل الرابع.

ب- **عزير** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :

ومن الأنبياء الذي غلا فيه أتباعه عزير عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ .

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ

==

بالكفر والشرك والدعوة إلى التثليث.

انظر: محاضرات في النصرانية، لأبي زهرة، ص١٥٠-١٥٤، ط. دار الفكر العربي إظهار الحق، لرحمت الله الهندي (٤/ ١٠٠٠-١١١٥)، وانظر: ما ذكره عنه الرازي (١٦/ ٣٥) في دوره في إفساد دين النصارى، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، ص ٥٠٠-٥٠١، الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [١] .

وقد ذكر المفسرون سبب إطلاق اليهود عليه هذه المقالة، فقيل:

«إن سبب ذلك القول إن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فرفع الله عنهم التوراة ومحاها عن قلوبهم، فخرج عزير يسيح في الأرض؛ فأتاه جبريل، فقال: أين تذهب؟ قال: أطلب العلم؛ فعلمه التوراة كلها فجاء عزير بالتوراة إلى بني إسرائيل فعلمهم...» [٢] .

وقيل: إن سببه ما رواه ابن عباس -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال: «إن بختنصر [٣] لما ظهر على بني إسرائيل، وهدم بيت المقدس وقتل من قرأ التوراة كان عزير غلاماً فتركه، فلما توفي عزير ببابل ومكث مائة عام، ثم بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل، وقال أنا عزير فكذبوه وقالوا: قد حدثنا آباؤنا أن عزيراً قد مات ببابل، فإن كنت عزيراً فاملل علينا التوراة، فكتبها لهم، فقالوا: هذا ابن الله»[٤] .

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٨/ ١١٧).

(٣) ملك من ملوك بني إسرائيل، كان كافراً بالله تعالى، ملك الأرض من مشرقها إلى مغربها، وتسلط على بني إسرائيل بالقتل والتشريد، وخرب وهدم بيت المقدس، انظر: تاريخ الأمم والملوك (١/ ١٧٤ وما بعدها)، (١/ ٣١٦ وما بعدها)، البداية والنهاية (٢/ ٣٢٤)، الدر المنثور، للسيوطي (٢/ ٢٥ وما بعدها)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٦/ ٢٤٠)، (٨/ ١١٧).

(٤) زاد المسير، لابن الجوزي (٣/ ٤٢٣-٤٢٤)، ط. المكتب الإسلامي، وانظر: جامع البيان، لابن

==

ويقال: إنه المذكور [١] في قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ...﴾[٢].

ورجحه ابن الجوزي [٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

ويؤيد ذلك ما رواه الحاكم في المستدرك عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (خرج عزير نبي الله من مدينته وهو رجل شاب فمر على قرية وهي خاوية على عروشها قال: أنَّى يحي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه فأول ما خلق عيناه فجعل ينظر إلى عظامه ينظم بعضها إلى بعض ثم كسيت لحماً ونفخ فيه الروح وهو رجل شاب فقيل له: كم لبثت، قال: يوماً أو بعض يوم، قال: بل لبثت مائة عام، قال: فأتى بالمدينة وقد ترك جاراً له إسكافاً شاباً فجاء وهو شيخ كبير) [٤] .

= =

جرير (٦/ ١١١)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ٣٨٤-٣٨٥).

(١) نقل عن كعب وقتادة وابن عباس والربيع وعكرمة والضحاك وغيرهم، انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣/ ٢٨٨-٢٩٠)، جامع البيان، لابن جرير (٣/ ٢٨-٢٩)، زاد المسير، لابن الجوزي (١/ ٣٠٨-٣١٠)، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ولا بيان عندنا من الوجه الذي يصح من قبله البيان على اسم قائل ذلك...»أ. هـ.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(٣) انظر: زاد المسير (١/ ٣٠٩).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك، رقم: ٣١١٧، (٢/ ٣١٠)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط.

= =

جـ- محمد ﷺ :

وممن قيل بتأليهه من الأنبياء نبينا محمد ﷺ ، وإن لم يكن ذلك صراحة، كما قالت اليهود والنصارى، وهذا وقع من الصوفية الذين غَلَو غلواً كبيراً في نبينا محمد ﷺ .

يقول عبدالكريم الجيلي [١] :

«اعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أولـه إلى آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين، ثم لـه تنوع في ملابس، ويظهر في كنائس، فيسمى به باعتبار لباس، ويسمى به باعتبار لباس آخر، فاسمه الأصلي الذي هو لـه محمد، وكنيته أبو القاسم، ووصفه عبدالله، ولقبه شمس الدين... ثم اعلم أن الإنسان الكامل هو الذي يستحق الأسماء الذاتية والصفات الإلهية... والإنسان الكامل أيضاً مرآة الحق، فإن الحق تعالى أوجب على نفسه ألا ترى أسماؤه ولا صفاته إلا في

= =

الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، وقال: «هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه»أ. هـ، ووافقه الذهبي.

(١) عبدالكريم بن إبراهيم بن عبدالكريم الجيلي، ابن سبط الشيخ عبدالقادر الكيلاني، ولد عام ٧٦٧، كان صوفياً ومن مؤلفاته «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوئل»، «شرح مشكلات الفتوحات المكية»، «الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية». انظر: الأعلام (٤/ ٥٠-٥١).

الإنسان الكامل»أ. هـ [١] !!

ويظهر هذا الغلو في نبينا محمد ﷺ من خلال:

إضفاء خصائص الربوبية عليه ﷺ :

ومن أمثلة ذلك:

أ- الزعم بأن الرسول ﷺ مخلوق من نور الله تعالى، وأن الوجود كله مخلوق منه.

ومنهم من يقول: إن الله خلق نور النبي ﷺ أولاً ومن نوره خلقت بقية الأشياء، ومنها آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ويستدلون بحديث ينسبونه لجابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء؟ قال النبي ﷺ : (إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور في القدر حيث شاء الله، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم، ولا جنة ولا نار، ولا ملك ولا سماء ولا أرض ، ولا شمس ولا قمر، ولا جني ولا إنسي، فلما أراد أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني: اللوح، ومن الثالث: الجنة والنار...) [٢] .

---

(١) الإنسان الكامل، عبدالكريم الجيلي (٢/ ٧٣-٧٧)، ط. الثالثة، مصطفى الحلبي، مصر.

(٢) كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث، للشيخ إسماعيل العجلوني (١/ ١١٣)، وعزاه إلى عبدالرزاق، ط. الثالثة، ١٤٠٣هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، تصحيح: أحمد القلاش.

= =

= =
يقول الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تعليقه على حديث (إن أول شيء خلقه الله القلم) في السلسلة الصحيحة رقم: ١٣٣: «وفي الحديث إشارة إلى ما يتناقله الناس حتى صار ذلك عقيدة راسخة في قلوب كثير منهم، وهو أن النور المحمدي هو أول ما خلق الله تبارك وتعالى وليس لذلك أساس من الصحة وحديث عبدالرزاق غير معروف إسناده» أ. هـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكذلك ما ذكر من أن الله قبض من نور وجهه قبضة ونظر إليها فعرقت ودلقت فخلق من كل قطرة نبياً، وأن القبضة كانت هي النبي ﷺ، وأنه بقي كوكبا دُرِّي، فهذا أيضاً كذب باتفاق أهل المعرفة بحديثه وكذلك ما يشبه هذا...»أ. هـ، مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٦٧).

قال عداب الحمشن: «ونسبه إلى عبدالرزاق وقد كنت أرجح أنه في تفسيره لأنني جهدت فلم أقف عليه في المصنف، ولا وقفت على من نسبه إليه، ثم ترجح عندي أنه من غرائب ابن عربي وابن حموية والبكري وقد أشار إلى وجود هذه الأحاديث في كتبهم شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (١٨/ ٣٧١) فتأمل...» النور المحمدي، ص ٤٦.

ويقول الصادق بن محمد بن إبراهيم صاحب كتاب خصائص المصطفى، ص ٩٥: «كل الذين ذكروه لم يذكروا له سنداً، وإنما اكتفوا بنسبته إلى عبدالرزاق الصنعاني فقط دون ذكر السند ولا الكتاب الذي ورد فيه، عدا شيخ الطريقة البرهانية فقد أحال إلى كتاب «جنة الخلد» ونسبه إلى عبدالرزاق، وقد بحثت عن هذا الكتاب لعلي أطلع على سند الحديث ولكن دون جدوى فلم أعثر له على أثر، بل لم أقف على من نسب الكتاب لعبدالرزاق، وكذلك بحثت في كتب عبدالرزاق الأخرى فلم أجد له أثراً...»أ. هـ.

ويقول عداب الحمش في النور المحمدي ص ٥٠-٥٣: «وأما حديث جابر الذي ينسبونه إلى عبدالرزاق فهو باطل موضوع، ودليل ذلك أمور كثيرة:

١- أول هذه الأمور: أننا لا نعرف في أي كتاب روى هذا الحديث عبدالرزاق، ولا نعرف رواه عنه أحد من العلماء المعتد بهم، ومن قرائن وضع الحديث ألا يتداوله اهل العلم بالحديث... فليس الحديث في مصنفه، ولا في مسند أحمد ولا في سنن الدارمي ولا في مسند الطيالسي، ولا في الكتب
= =

وبأسطورة النور هذه يتمسك بعض الشيعة.

يروى عن الكليني عن جعفر الصادق زوراً وبهتاناً، قولـه: «كنا عند الله وليس عنده أحد سوانا لا ملك ولا غيره ثم بدا له فخلق السماوات والأرض فخلق ونحن معه... ونصب الخلق في صورة كالهباء قبل دخول الأرض ورفع السماء، وهو في انفراد ملكوته، وتوحيد جبروته، وأتاح نوراً من نوره فلمع، ونزع قبساً من قبسه فسطع، ثم اجتمع النور في وسط تلك الصورة الخفية، فوافق ذلك صورة نبينا محمد ﷺ، فقال الله عز من قائل

==

الستة، ولا في صحيحي ابن خزيمة وابـن حبـان، ولا في مسـتدرك الحـاكم، ولا في معـاجم الطـبراني الثلاثة، ولا في دلائل النبوة للبيهقي، ولا في سنن البيهقي، ولا في سنن الـدارقطني، ولا هـو في كتـب الضعفاء والمتروكين كضعفاء العقيلي والكامل لابن عدي والمجروحين لابن حبان، ولا في كتب الزهد والرقائق كالحلية لأبي نعيم، وصفة الصفوة، وحياة الصحابة، ولا في مجامع الحديث كالجـامع الصـغير وزياداته للسيوطي، ولا في الجامع الأزهر، ولا في كنزل العمال، ولا في كتب التراجم؟... فإذا لم يوجد الحديث في هذه الكتب... فأين يكون، وهو يتحدث عن عقيدة يدندن بها أصحابها هؤلاء والمغفلون؟

٢- والأمر الثاني: لو سلمنا أن الحديث صحيح إلى عبدالرزاق فكم لعبدالرزاق من طامات ومنـاكير، ذكر الكثير منها ابن عدي والعقيلي في الضعفاء واسمع إلى الإمام أحمد ماذا يقول: «حدث عبدالرزاق : (النار جبار) لم يكن في الكتب - يعني في كتب عبدالرزاق - ومـن يحـدث بـه عـن عبـدالرزاق؟ قـال حنبل: قلت: حدثنا أحمد بن شبوية، قال أحمد هؤلاء سمعوا منه بعد مـا عمـي، كـان يلقـن، فلقنـوه، وليس في كتبه وقد أسندوا عنه أحاديث ليست في كتبه»...

٣- الأمر الثالث: أن الحافظ الثقة إذا حدث بحديث خالف فيه الثقات كان حديثـه شـاذاً، فكيـف إذا خالف الكتاب والسنة وروى البواطيل، فلا ريب أن حديثه الذي ينفرد به منكراً مردود ... إلخ.

أنت المختار والمنتخب، وعندك مستودع نوري وكنوز هدايتي، من أجلك أسطح البطحاء، وأموج الماء، وأرفع السماء، وأجعل الثواب والعقاب والجنة والنار، وأنصب أهل بيتك للهداية، وأويتهم من مكنون علمي ما لا يشكل به عليهم دقيق، ولا يغيب عنهم به خفي... ولم يزل الله تعالى يخبئ النور تحت الزمان إلى أن وصل محمداً في ظاهر الفترات، فدعا الناس ظاهراً وباطناً... ثم انتقل النور إلى غرائزنا، ولمع في أئمتنا فنحن أنوار السماء وأنوار الأرض....إلخ» (١).

وأما الصوفية فيرى الحلاج «أن للنبي ﷺ صورتين مختلفتين:

أ- صورته نوراً أزلياً قديماً كان قبل أن يوجد العالم، ومنه استمد كل علم وعرفان حيث أمد الأنبياء السابقين عليه والأولياء اللاحقين به.

ب- ثم صورته نبيناً مرسلاً وكائناً محدثاً تعين وجوده في مكان وزمان محدودين والنبي المرسل ﷺ إنما صدر في رسالته عن ذاك النور الأزلي القديم» (٢).

ويقول ابن عربي: «بدء الخلق الهباء، وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية

---

(١) الكافي، ص ٢٧٦.

(٢) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، تأليف: عبدالرؤوف محمد عثمان، ١٦٨-١٦٩، ط. رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.

الرحمانية»أ. هـ[١] .

وكذلك ابن عربي يقول:

«لما قبض الله آدم من قبضة تراب (كن) مسَّ على ظهره حتى يميز الخبيث من الطيب فاستخرج من ظهره من كان من أصحاب اليمين، ومن كان من أصحاب الشمال، ثم اعتصر من شجرة كن صفوة عنصرها، ومخضها حتى بدت زبدتها، ثم صفاها، وألقى عليها من نور هدايته، حتى ظهر جوهرها ثم غمسها في بحر الرحمة، ثم خلق منها نور نبينا محمد ﷺ ، ثم زينه بنور الملأ الأعلى حتى أضاء وعلا، ثم جعل ذلك النور أصلاً لكل نور، فهو أولهم في السطور وآخرهم في الظهور» [٢] .

ويقول:

«أنوار النبوة من نوره برزت، وأنوارهم من نوره ظهرت، وليس في الأنوار نور أنور وأظهر وأقدم من القدم سوى نور صاحب الكرم، همته سبقت

---

(١) الفتوحات المكية، لابن عربي (١/ ١١٨)، وانظر: في معنى الحقيقة المحمدية كتاب الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ص ١٥١، تأليف: د/ عبدالرحمن بن عبدالخالق، محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، تأليف: عبدالرؤوف محمد عثمان، ص ١٧٧ وما بعدها.

(٢) رسالة شجرة الكون، لابن عربي نقلاً من: نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، عرفان عبدالحميد فتاح، ص ١٠٠، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٤هـ.

الهمم، وجوده سبق العدم واسمه سبق القلم لأنه كان قبل الأمم» [١] .

ويلاحظ اعتقاده بقدم النور الذي خلق منه محمد ﷺ .

يقول الدباغ [٢]:

«اعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسموات وأرضين وجنات وحجب، وما فوقها وما تحتها، إذا جمعت كلها، وجدت بعضاً من نور محمد، وأن مجموع نوره لو وضع على العرش لذاب، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت، ولو جمعت المخلوقات كلها ووضع ذلك النور العظيم عليها لتهافتت وتساقطت»أ. هـ [٣] .

وتأمل هذا الدعاء وما فيه من الغلو بذات النبي ﷺ :

«اللهم إني أتقرب إليك باسمك القدس الأعلى (هو) المضيء المشرق المتلألئ بأنوارك من باب: (هو الله الذي لا إله إلا هو). وأتقرب إلى أسمائك الحسنى التي هي (هي)، تبلغ كل منتهى، باسمك الحميد المتلألئ المضيء المشرق بأنوارها، من باب محمد ﷺ. وأتقرب إلى اسمك الحميد، باسم محمد

---

(١) الكشف عن حقيقة الصوفية، ص ٢٦٣.

(٢) عبدالعزيز بن مسعود المعروف بالدباغ، توفي عام ١١٣٢هـ، صوفي من المغرب، كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ولأتباعه مبالغة في الثناء عليه ونسبة الخوارق إليه، انظر: الأعلام (٤/ ٢٨).

(٣) الابريز للدباغ (٢/ ٨٤)، نقلاً من هذه هي الصوفية، تأليف: عبدالرحمن الوكيل، ص ٨٧، ط. الرابعة، دار الكتب العلمية، بيروت.

المتلألئ المضيء المشرق بأنواره، من باب أحمد. وأتقرب إلى اسم محمد، باسم أحمد المتلألئ المضيء المشرق بأنواره، من باب أبي القاسم» [١] !!

ويرد على قول الغلاة بأن الرسول ﷺ مخلوق من نور الله تعالى وأن الوجود كله مخلوق منه:

١-بطلان حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنداً ومتناً، أما سنداً فما سبق من ذكر تخريجه وأقوال العلماء فيه.

وأما متناً فلمخالفته النصوص الصحيحة ومنها قوله ﷺ : (أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة) [٢] .

(إن أول ما خلق الله القلم قال لـه اكتب فقال يا رب وما أكتب؟ قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة).

٢- إن التفاضل بين الناس ليس بأصل خلقته ونوعية عنصره إذ ذلك فلسفة إبليس حينما قال: ﴿ **قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ**

(١) التوحيد الأعظم، لأحمد بن علوان، ص ١٦٧-١٦٨، تحقيق: عبدالعزيزسلطان طاهر المنصوب، ط. الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، دار الفكر، بيروت، مركز الدراسات والبحوث اليمن، صنعاء.

(٢) رواه أبو داود في كتاب: «السنة»، باب: (في القدر)، رقم: ٤٧٠٠، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود (٣/ ٨٩٠-٨٩١)، نشر مكتبة التربية العربي. وأصله في مسلم بلفظ (أول ما خلق الله القلم فقال لـه اكتب فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة).

﴾[١] ، إنما ميزان التفاضل في الإسلام هو الإيمان والتقوى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[٢] .

٣- ثبت في النصوص الصحيحة إن الله خلق آدم من طين، وأنه أبو البشرية وبالتالي محمد ﷺ مخلوق من طين مع أفضليته ومكانته [٣] .

٤- إن هذه من أمر العقيدة، ولا دليل عليه من كتاب ولا سنة فاعتقاده أمر مخالف ومعصية ينبغي التوبة منها، وهو أمر يؤدي إلى تشويه الإسلام في نظر أعدائه.

٥- إن في هذا القول مشابهة لقول النصارى بأن المسيح ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيه طبيعتان (لاهوتية، وناسوتية) [٤] .

وهذا القول يؤدي إلى ادعاء الألوهية للنبي ﷺ ، وقد توصل به الصوفية إلى الزعم بأن الإله حل في الأولياء، كما حل في الأنبياء، كما إن هذا القول منقول

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٣) انظر: الصواعق المرسلة على الشبه الداحضة الشامية، للشيخ سليمان بن سحمان، ص ١٥ وما بعدها، وقفات حوار مع الشيخ محمد متولي الشعراوي، لنبيل حمدي، ص ١٧٦-١٧٩، النور المحمدي، لعداب الحمش، ص ٥٠ وما بعدها.

(٤) انظر: النور المحمدي، عداب الحمش، ص ٥٨، محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، تأليف: عبدالرؤوف محمد عثمان، ١٧٠-١٧١.

عن الفلسفة اليونانية والهندية والمصرية [١] .

يقول الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«ومن المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن هذا – أي: ذلك الحديث الذي يقال: أن عبدالرزاق رواه عن جابر الأنصاري – من الكذب الذي لا يمتري فيه – أي : في كونه كذباً على رسول الله ﷺ – عاقل فضلاً عن العلماء الذين هم أعلم الخلق بالله وبكتابه وبرسوله وسنة نبيه...» أ. هـ [٢] .

ب- اتحاد الرسول بذات الله تعالى:

يقول صاحب كتاب النفحات القدسية: «فشأن محمد في جميع تصرفاته هو شأن الله تعالى، فليس لمحمد ﷺ من محمد شيء ولذلك كان نوراً ذاتياً من عين ذات الله» [٣] .

ويقول جلال الدين الرومي – شاعر الصوفية – :

«عندما كان النبي ﷺ مستغرقاً وتكلم، كان يقول: قال الله من جهة الصورة

---

(١) انظر: محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، لعبدالرؤوف محمد عثمان، ص ١٨٢، خصائص المصطفى، للصادق بن محمد بن إبراهيم، ص

(٢) الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية، لسليمان بن سحمان، ص ١٥، وانظر: الرد المفصل عليهم في كتاب: «القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل» للشيخ إسماعيل الأنصاري (٢/ ٧٠٣ وما بعدها)، مطبوع ضمن رسائل حكم الاحتفال بالمولد.

(٣) النفحات القدسية في شرح الصلوات الأحمدية، لمحمد بهاء الدين البيطار، ص ٩، ط. دار الجيل، بيروت.

كان لسانه هو الذي تكلم؛ لكنه لم يكن موجوداً، والمتكلم على الحقيقة كان الحق، وعندما كان قد رأى نفسه في البدء جاهلاً مثل هذا الكلام غير عارف به ولا علم له به، ثم الآن يصدر عنه مثل هذا الكلام، عرف أنه الآن ليس ذلك الشخص الأول، هذا تصرف الحق، وهكذا كان المصطفى ﷺ يخبر عن أناس وأنبياء مضوا قبل وجوده بعدة آلاف من السنين، وماذا سيكون حتى آخر الدنيا، وعن العرش والكرسي وعن الخلاء والملاء، كان وجوده قديماً، إذ إن من المقطوع به أن الحادث لا يتحدث عن مثل هذه الأشياء، كيف يخبر الحادث عن القديم؟ وهكذا غدا معلوماً أنه ليس هو الذي كان يقول؛ بل الحق هو الذي يقول...» [١] !!

جـ- أنه يمحو الذنوب ويعلم ما في اللوح المحفوظ وله التصرف في أمور الآخرة من دخول الجنة والنجاة من أهوال يوم القيامة:

يقول البوصيري في بردته:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم[٢]

ويقول آخر:

سيدي أبا البقول أغثني أنت أدرى بما حواه الضمير [٣]

---

(١) كتاب فيه ما فيه، لجلال الدين الرومي، ص٧٨ ، ترجمه عن الفارسية عيسى على العاكوب، ط. دار الفكر، دمشق.

(٢) ديوان البوصيري، تحقيق: محمد سيد العلاني، ص ٢٠٠، طبع مصطفى الحلبي، مصر، ١٣٧٤هـ.

(٣) شواهد الحق، للنبهاني، ص ٣٦٣.

ونقل صاحب كتاب جواهر المعاني عن التيجاني [١] قوله: «أسأل من فضل سيدنا رسول الله ﷺ أن يضمن لي دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى أنا وكل أب وأم ولدوني...إلخ» [٢] .

ثم يعقب بقوله بعد دعاء طويل تمجه القلوب والأسماع:

«... فأجاب ﷺ بقولـه الشريف كل ما في هذا الكتاب ضمنته لك ضمانة لا تتخلف عنك، وعنهم أبداً إلى أن تكون أنت وجميع من ذكرت في جواري في أعلى عليين، وضمنت لك جميع ما طلبته منا ضمانة لا يخلف عليك الوعد فيها والسلام...وكل هذا وقع يقظة لا مناماً..»أ.هـ[٣] .

د- تفويض الأمور إليه ﷺ والقدرة على خلق الدنيا:

وقد نقل الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المقالات عن الشيعة بعد أن عدد أصنافهم

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد التيجاني، ولد عام ١١٥٠ في قرية عين ماضي من قبيلة تجاني أو تجانا... نشأ أبو العباس بهذه القرية وحفظ بها القرآن ورحل في طلب العلم إلى بلاد عدة وتأثر في أسفاره بمن التقى به من مشايخ الطرق الصوفية... ثم زعم أنه التقى الرسول ﷺ يقظة لا مناماً ولقنه الورد الذي يلقنه المريدون، وزعم أن نسبه يرجع إلى النبي ﷺ وأن رسول الله ﷺ بشره بالجنة... انظر: جواهر المعاني، لعلي حرازم، الباب الأول (١/ ٢٢ وما بعدها)، وبها مشه رماح حزب الرحيم، وانظر: بحث مختصر في طائفة التيجانية، للجنة الدائمة للبحوث العلمية، ص ٥، وما بعدها.

(٢) جواهر المعاني، لعلي الفاسي (١/ ١٠٩).

(٣) المرجع السابق (١/ ١١٠-١١١).

فقال:

«والصنف الخامس من أصناف الغالية يزعمون أن الله عز وجل وكل الأمور وفوّضها إلى محمد ﷺ ، وأنه أقدره على خلق الدنيا فخلقها ودبرها وأن الله سبحانه لم يخلق من ذلك شيئاً...» أ. هـ [١] .

ويقول الخميني الهالك: «وعلينا ألا ننسى بأن النذر للنبي أو الإمام يكون صحيحاً ومشروعاً عندما يكون النذر للإله ويوضع موضع التنفيذ وآنذاك فإن النبي والإمام هما اللذان يعطيان ثوابه، وإلا فإنه يعتبر باطلاً، بل وقد يكون حراماً»أ. هـ [٢] .

ولا شك أن أقوالهم هذه تأباها العقول السليمة وتنفر منها الطباع السليمة [٣]، فلا شك أننا نؤمن بجميع الأنبياء والإيمان بهم واجب وكذلك محبتهم

---

(١) مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، ص ١٦.

(٢) كشف الأسرار، للخميني، ص ١٤١، تقديم د. محمد أحمد الخطيب، ط. الثالثة، ١٩٨٨م، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان.

(٣) يقول صاحب كتاب خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء، ص ٢٠١: «وهنا قد يتساءل أصحاب الفطر السلمية ألا يكفي في الرد على هؤلاء الغلاة بشأن مقالاتهم المزعومة في جعل خصائص للنبي ﷺ هي من جنس خصائص الربوبية والإلهية أن تعرض مجرد عرض، فإن مجرد العرض يكفي لمجها والنفرة منها؟! أقول هذا التساؤل وجيه؛ ولكن إذا عرف السبب فعسى أن يزول العجب، وهو أن أولياء الغلاة أحكموا القبضة على مريديهم وأتباعهم بتأليف أوراد مبتدعة صرفوهم بها عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، وأخذوا عليهم العهود والمواثيق في الاشتغال بها صباح مساء وأن من نسيها فعليه القضاء وأن من تركها بالكلية فسيقع عله الهلاك والدمار، وفي هذا يقول طاهر

= =

وإجلالهم ونؤمن بأنهم أفضل البشر وأعلاهم وأقربهم على الله تعالى...ومع ذلك نؤمن بأنهم بشر لا يعبدون من دون الله، ولا نرفعهم إلى مرتبة الألوهية والآيات الدالة على ذلك كثيرة ومنها:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (١) .

وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا

= =

ميغري البرناوي وكان خليفة من خلفاء الطريقة التجانية – قد رجع عنها – لما رسم الشيخ التيجاني لأتباعه دائرته التي قرر أنها كانت مكنوزة وراء جميع دوائر دين الإسلام بقصد محوه وإزالة جميع آثاره... أدرك أنه إذا تركهم يقرؤون القرآن فإنهم لا محالة ينسون أنهم كانوا في تلك الدائرة... ولذلك فكر في طريقة سهلة يصرفهم بها عن قراءة القرآن وهم لا يعلمون، ومن ثم ذهب يزين لهم صلاة الفاتح التي زعم أن الملك هو الذي نزل بها في صحيفة من نور، وأنها أفضل من القرآن ستمائة مرة أو ستة آلاف مرة...»أ.هـ، التحفة السنية في توضيح الطريقة التيجانية، لطاهر ميغري البرناوي، ص ١٢٧.

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

بِكُمْۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١) .

وقولـه تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ ﴾ (٢) .

وقولـه تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (٣) .

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ (٤) .

وقولـه تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾(٥)

وهم بشر يموتون كما يموت غيرهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٤) سورة الجن، الآيات: ٢٠-٢٢.

(٥) سورة الحاقة، الآيات: ٤٤-٤٧.

ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (١) .

ويقول تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾(٢) .

وقد حرص المصطفى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على تربية أصحابه وأمته على العموم على عدم الغلو فيه ورفعه إلى منزلة الربوبية والألوهية.

وجاء رجل فقال: أنت سيد قريش، فقال النبي ﷺ (السيد الله)، فقال: أنت أفضلها فيها قولاً وأعظمها فيها طولاً، فقال رسول الله ﷺ : (ليقل أحدكم بقوله ولا يستجرنه الشيطان أو الشياطين) (٣) .

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله).

ولم يأت نبي من الأنبياء إلا وبين لأمته وحذرهم من الشرك والبدع وبلغ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٤.

(٣) رواه أحمد (٤/ ٢٥)، والنسائي في السنن الكبري في كتاب: «عمل اليوم والليلة»، باب: (ذكر الاختلاف في قول القائل سيدنا وسيدي)، رقم: ١٠٠٧٤، (٦/ ٧٠)، وأبو داود في كتاب: «الأدب»، باب: (في كراهية التمادح)، رقم: ٤٨٠٦)، (٢/ ٦٦٩)، والبخاري في كتاب: «الأدب المفرد»، رقم: ٢١١، ص ٨٣، وابن أبي الدنيا في الصمت، رقم: ٧٣، ص ٧٢، وصححه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، رقم: ٢٥٥٩، (٤/ ١٦٤١).

الدين أتم البلاغ.

قال ﷺ : (ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم) (١) .

فأما تأليه الأنبياء وجعلهم أبناء الله أو آلهة مع الله – تعالى عما يقول الظالمون – فيقول تعالى في بيان إبطال هذه العقيدة:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ (٢) .

فنفى تعالى أن يكون عيسى ابن الله، كما زعمت النصارى ونهاهم عن الغلو فيه، وإنما هو رسول الله وكلمته «يعني بالكلمة الرسالة التي أمر الله ملائكته أن تأتي مريم بها، بشارة من الله ... عن قتادة... قال: هو قوله كن فكان» أ. هـ (٣) .

---

(١) جزء من حديث طويل رواه مسلم، في كتاب: «الإمارة»، رقم: ١٨٤٤، (٣/ ١٤٧٢-١٤٧٣).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧١.

(٣) تفسير الجامع لأحكام القرآن، لابن جرير الطبري (٦/ ٢٥)، وانظر: تفسير الخازن (١/ ٦٢٦-٦٢٨)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٦/ ٢٠-٢٥)، ابن كثير (١/ ٥٨٩-٥٩١)، فتح القدير
= =

﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ معناها: حياة منه بمعنى إيجاء الله إياه بتكوينه.

وقيل: رحمة على المؤمنين ممن صدقه واتبعه.

وقيل: المراد جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فيصير المعنى: كلمته ألقاها إلى مريم وإلى روح منه وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وقيل: المراد نفخ جبريل بأمر الله وسمي روحاً لأنه ريح تخرج من الروح.

وقيل: إن الإضافة هنا للتشريف والتكريم.

وقيل: سمى روحاً لإحيائه الموتى وإحيائه القلوب، وقيل: لطهارته ونقائه، حيث إنه متكون من النفخ لا من النطفة [1] .

قال تعالى ناهياً إياهم من القول عليه بغير علم: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ ﴾ .

يقول الرازي عند تفسير هذه الآية:

«واعلم أن مذهب النصارى مجهول جداً، والذي يتحصل منه أنهم أثبتوا ذاتاً موصوفة بصفات ثلاثة، إلا أنهم وإن سموها صفات فهي في الحقيقة ذوات، بدليل أنهم يجوزون عليها الحلول في عيسى ومريم بأنفسها، وذلك محض

= =

للشوكاني (١/ ٥٣٩)، محاسن التنزيل ، القاسمي (٥/ ٦٤٧)، تفسير المراغي (٦/ ٢٧-٣٥).

(١) انظر: جامع البيان، لابن جرير (٦/ ٢٤-٢٥)، تفسير ابن كثير _١/ ٥٨٩-٥٩١)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٦٧٤-٦٨٦)، الجوهر في تفسير القرآن، طنطاوي جوهري (٣/ ١١٧).

الكفر»أ. هـ[١] .

وأبطل تعالى هذه العقيدة من عدة جوانب منها:

- **إثبات وحدانيته تعالى وتنزه عن الولد والصاحبة.**
- ملكه لجميع المخلوقات بما فيها السموات والأرض وما حوت من المخلوقات التي من ضمنها عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ .
- قدرته تعالى على الملك والتدبير ﴿ **وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا** ﴾ ، فليس له حاجة إلى أحد من خلقه لتدبير الأمور معه.
- أن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لا يأنف عن أن يكون عبداً لله بل هذا شرف وكمال له، وهو محتاج إلى خالقه ورازقه والعبيد كلهم عبيده وإماؤه[٢] .

قال تعالى: ﴿ **وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾** ﴾[٣] .

---

(١) تفسير الرازي (١١/ ١١٤).

(٢) أنوار التنزيل، للبيضاوي (٢/ ١٣٠-١٣١، بيروت، مؤسسة شعبان، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٦/ ٢٠-٢٥)، القاهرة، دار الكتاب العربي، ابن كثير (١/ ٥٨٩-٥٩١)، دار الفكر، القاهرة، فتح القدير، للشوكاني (١/ ٥٣٩-٥٤٣)، دار الفكر، ط. الثالثة، ١٩٧٣م، محاسن التأويل، للقاسمي(٥/ ٦٧٤-٦٨٦)، دار إحياء الكتب، القاهرة، ط. عام ١٩٥٧م، تفسير المراغي (٦/ ٢٧-٣٥)، البابي الحلبي، القاهرة، ط. عام ١٩٤٧م.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١١١.

ومن الآيات التي تبطل هذه العقيدة في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] .

«يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ قل لهؤلاء الجهلة من النصارى لو كان المسيح كما يزعمون أنه هو الله، وليس كذلك لقدر أن يرد أمر الله إذا جاءه بإهلاكه وإهلاك أمه، وقد أهلك أمه، فلم يقدر على دفع أمره منها إذ نزل ذلك ففي ذلك لكم معتبر إن اعتبرتم وحجة عليكم إن عقلتم في أن المسيح بشر كسائر بني آدم» [2] .

ولهذا نهى رسول الله ﷺ أمته أن تغلو فيه كما غلا النصارى في عيسى ابن مريم.

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله).

وحذر من الغلو في الحديث:(إياكم والغلو،فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو)

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٧.

(٢) جامع البيان، لابن جرير (٦/ ١٠٤)، ط. دار المعرفة، ط. عام ١٩٧٨م.

وقد بين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن هؤلاء المشركين سيقفون يوم القيامة موقف الخزي والندامة، وسيعلمون أن غلوهم وعبادتهم هذه هي الخسران والهلاك، فعن عبدالله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ : (يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَمْ تَرْضَوْا مِنْ رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ وَصَوَّرَكُمْ، أَنْ يُوَلِّيَ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ إِلَى مَنْ كَانَ يَتَوَلَّى فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: وَيُمَثَّلُ لِمَنْ كَانَ يَعْبُدُ عُزَيْرًا شَيْطَانُ عُزَيْرٍ حَتَّى يُمَثِّلَ لَهُمُ الشَّجَرَةَ وَالْعَوْدَ وَالْحَجَرَ، وَيَبْقَى أَهْلُ الْإِسْلَامِ جُثُومًا، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا لَكُمْ لَا تَنْطَلِقُونَ كَمَا يَنْطَلِقُ النَّاسُ؟، فَيَقُولُونَ: إِنَّ لَنَا رِبًّا مَا رَأَيْنَاهُ بَعْدُ، قَالَ: فَيُقَالُ: فَبِمَ تَعْرِفُونَ رَبَّكُمْ إِنْ رَأَيْتُمُوهُ؟ قَالُوا: بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ عَلَامَةٌ، إِنْ رَأَيْنَاهُ عَرَفْنَاهُ، قِيلَ: وَمَا هِيَ؟، قَالُوا: يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ، قَالَ: فَيُكْشَفُ عِنْدَ ذَلِكَ عَنْ سَاقٍ قَالَ: فَيَخِرُّونَ مَنْ كَانَ لِظَهْرِهِ طَبَقًا سَاجِدًا، وَيَبْقَى قَوْمٌ ظُهُورُهُمْ كَصَيَاصِيِّ الْبَقَرِ يُرِيدُونَ السُّجُودَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ، ثُمَّ يُؤْمَرُونَ فَيَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ فَيُعْطَوْنَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ قَالَ: فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى دُونَ ذَلِكَ بِيَمِينِهِ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ ذَلِكَ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يُضِيءُ مَرَّةً، وَيُطْفِئُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ قَدَمُهُ، وَإِذَا طُفِئَ قَامَ فَيَمُرُّ وَيَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضٌ مَزِلَّةٌ فَيُقَالُ: انْجُوا عَلَى قَدْرِ نُورِكُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكَوْكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالطَّرْفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، وَيَرْمُلُ رَمَلًا، فَيَمُرُّونَ

عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ قَالَ: يَجُرُّ يَدًا وَيُعَلِّقُ يَدًا وَيَجُرُّ رِجْلًا وَيُعَلِّقُ رِجْلًا وَتَضْرِبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ، قَالَ: فَيَخْلَصُوا فَإِذَا خَلَصُوا قَالُوا: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنْكِ بَعْدَ الَّذِي أَرَانَاكِ لَقَدْ أَعْطَانَا اللهُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا " قَالَ مَسْرُوقٌ: فَمَا بَلَغَ عَبْدُ اللهِ هَذَا الْمَكَانَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ إِلَّا ضَحِكَ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَقَدْ حَدَّثْتَ هَذَا الْحَدِيثَ مِرَارًا كُلَّمَا بَلَغْتَ هَذَا الْمَكَانَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ ضَحِكْتَ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُهُ مِرَارًا، فَمَا بَلَغَ هَذَا الْمَكَانَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ إِلَّا ضَحِكَ حَتَّى تَبْدُوَ لَهَوَاتُهُ وَيَبْدُو آخِرُ ضِرْسٍ مِنْ أَضْرَاسِهِ لِقَوْلِ الْإِنْسَانِ: أَتَهْزَأُ بِي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَلَكِنِّي عَلَى ذَلِكَ قَادِرٌ فَسَلُونِي) (١) .

وسيتبرأ هؤلاء الأنبياء الصادقون عن هذه العبادة ويصدعون بإنكارها وردها، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٨)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ»أ. هـ.

تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١) .

وبين تعالى صدق منهجهم في الدعوة، فقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ (٣) .

٢- سؤالهم الشفاعة، ودعاؤهم والتضرع إليه وإظهار الفاقة لهم:

كقول البوصيري:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ١١٦-١١٧.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٧٩-٨٠.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ٥٦-٥٧.

وقوله:

ولن يضيق رسول الله جاهك بي ... إذا الكريم تحلى باسم منتقم
فإن لي ذمة منه بتسميتي ... محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم
إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي ... فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم [١]

ويقول:

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته ... لكل هول من الأهوال مقتحم [٢]

وقول آخر:

يا رب بابك بابه ... ورجاي فيك وفيه طامع
طورا أنادي رب رب ... وتارة يا خير شافع [٣]

ويقول آخر:

وليس معي زاد ولا لي وسيلة ... سوى هاشمي بالبهاء متوج
ألوذ به ذاك الجناب فأحتمي ... بمن هو عند الكرب للكرب مفرج
وأدعوه في الدنيا فتقضى حوائجي ... وإني إليه في القيامة أحوج [٤]

---

(١) ديوان البوصيري، ص ١٩٩.
(٢) شواهد الحق، للنبهاني، ص ٣٨٠، (والقائل فتح الله بن النحاس)، ط. الحلبي مصر.
(٣) المرجع السابق.
(٤) ديوان البرعي مع شرحه، ص ١٩٠، مكتبة القاهرة.

ويقول آخر:

يا رسول الإله إني ضعيف فاشفني أنت مقصد للشفاء
يا رسول الإله إن لم تغثني فا إلى من ترى يكون التجائي [١]

ويقول آخر:

يا صاحب القبر المنير بيثرب أنا من ذنوبي في أشد وثاقي
ناداك من برع أسير ذنوبه أفلا تمن عليه بالإطلاق [٢]

٣- الغلو في قبور الأنبياء:

ومن ذلك ما أخبرنا به نبينا ﷺ في أحاديث كثيرة منها:

حديث عائشة في الصحيح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال: - وهو كذلك - (لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا) [٣].

---

(١) شواهد الحق، للنبهاني، ص ٣٥٢.

(٢) ديوان البرعي، مع شرحه، ص ٧٨-٧٩.

(٣) رواه البخاري في كتاب: «المساجد»، باب: (الصلاة في البيعة)، رقم:٤٢٥،(١/ ١٦٨)، ورواه مسلم في كتاب: «المساجد ومواضع الصلاة»، باب: (النهي عن بناء المساجد على القبور)، رقم: ٥٣١
= =

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليقاً على هذا الحديث:

«ومن غربة الإسلام أن هذا الذي لعن رسول الله ﷺ فاعليه تحذيراً لأمته أن يفعلوه معه ﷺ ، ومع الصالحين من أمته، قد فعله الخلق الكثير من متأخري هذه الأمة [١] ، واعتقدوه قربة من القربات، وهو من أعظم السيئات والمنكرات، وما شعروا أن ذلك محادةٌ لله ورسوله»أ. هـ [٢] .

ويقول ﷺ : (ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك)[٣].

وفي الحديث يقول ﷺ : (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد؛ اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) [٤] .

= =

(١/ ٣٧٧) واللفظ للبخاري.

(١) أول من أحدث عبادة القبور هم الرافضة قبحهم الله، وبسببهم حدث الشرك في عبادة القبور في هذه الأمة، انظر: كتاب التوحيد، للإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وشرحه فتح المجيد، ص٢٧٥ ط. دار الحديث.

(٢) فتح المجيد، للشيخ عبدالرحمن بن حسن، ص ٢٤٦.

(٣) رواه مسلم في كتاب: «المساجد»، باب: (النهي عن بناء المساجد)، رقم: ٣٧٧.

(٤) رواه مالك في الموطأ، ص ١١٩، مرسلاً عن عطاء بن يسار، رقم: الحديث: ٤١٤، إعداد: أحمد راتب عرموش، ط. الحادية عشرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ورواه مرفوعاً الإمام أحمد في المسند عن أبي

= =

وعن علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ ، فيدخل فيها فيدعو فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: (لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً، وصلُّوا عليَّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم) (١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ معلقاً على هذا الحديث:

«... فبين أن الصلاة تصل إليه من بعُد، وكذلك السلام، ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد، وكانت الحجرة في زمانهم يدخل إليها من الباب... وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون إليه، لا لسلام ولا لصلاة عليه ولا لدعاء لأنفسهم، ولا لسؤال عن حديث أو علم، ولا كان الشيطان

==

هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ص ٢٤٦.

قال الزرقاني رَحِمَهُ اللَّهُ : «محفوظ من طرق كثيرة صحاح وعمر بن محمد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب [الراوي عن زيد عن عطاء] من ثقات أشراف أهل المدينة، وروى عنه مالك والثوري وسليمان بن بلال، فالحديث صحيح عند من يحتج بمراسيل الثقات... وله شاهد عند العقيلي من طريق سفيان عن حمزة بن المغيرة عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة...»أ. هـ، شرح الزرقاني على موطأ مالك (١/ ٣٥١)، دار المعرفة، بيروت، عام ١٤٠٩هـ.

(١) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ١٨٦٩، وأبو يعلى كما في مجمع الزوائد(٤/ ٣)، وقال الهيثمي: «وفيه جعفر بن إبراهيم الجعفري ذكره أبو حاتم، ولم يذكر فيه جرحاً وبقية رجاله ثقات»أ. هـ، وله شاهد من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) رواه أحمد (٢/ ٣٦٧)، وأبو داود في كتاب: «المناسك»، باب: (زيارة القبور)، رقم: (٢/ ٥٣٤)، وصححه النووي في الأذكار، ص ٩٣.

يطمع فيهم... كما طمع في غيرهم، فأضلهم عند قبره وقبر غيره، حتى ظنوا أن صاحب القبر يحدثهم ويفتيهم ويأمرهم وينهاهم في الظاهر، وأنه يخرج من القبر ويرونه خارجاً من القبر، ويظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت من القبر تكلمهم، وأن روح الميت تجسدت لهم فرأوها، كما رآهم النبي ﷺ ليلة المعراج يقظة لا مناماً» أ. هـ [١] .

ومن صور اتخاذ القبور مساجد:

١- أن تبنى عليها المساجد.

٢- أن تقصد للصلاة عندها، وإن لم يكن هناك مسجد فمجرد قصد الصلاة عندها يعد من اتخاذها مساجد [٢] .

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«ولا ريب أن أصل تحريم بناء القبور على المساجد، لأن المساجد مكان الصلاة، والناس سيأتون إليها للصلاة فيها، فإذا صلى الناس في مسجد بني على قبر فكأنهم صلوا عند القبر، والمحذور الذي يوجد في بناء المساجد يوجد فيما إذا اتخذ هذا المكان للصلاة، وإن لم يبن مسجد»أ. هـ [٣] .

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٧/ ٣٨٧-٣٨٨).

(٢) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (١/ ٤٠٩).

(٣) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

قال ابن عبدالهادي تعليقاً على حديث لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد: «هذا من أقوى أسباب ضلال أهل الكتاب ولهذا لعنهم النبي ﷺ على ذلك تحذيراً لأمته، وبين أن هؤلاء شرار الخلق عند الله يوم القيامة ولما كان أصحابه أعلم الناس بدينه وأطوعهم لـه لم يظهر فيهم من البدع ما ظهر فيمن بعدهم... لم يعرف عن أحد من الصحابة شيء من ذلك بل النقول الثابتة عنهم تدل على موافقتهم للكتاب والسنة وكذلك اجتماع رجال الغيب بهم، أو الخضر أو غيره وكذلك مجيء الأنبياء إليهم في اليقظة وحمل من يحمل منهم إلى عرفات ونحو ذلك مما وقع فيه كثير من العباد وظنوا أنه كرامة من الله، وكان من إضلال الشياطين لهم... وكذلك الشرك بأهل القبور لم يطمع الشيطان أن يوقعهم فيه فلم يكن على عهدهم في الإسلام قبر نبي يسافر إليه، ولا يقصد للدعاء عنده أو لطلب بركته أو شفاعته أو غير ذلك»أ. هـ[1].

ولهذا تخرج أصحابه من هذه المدرسة النبوية فساروا على خطى نبيهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فلم يقيموا أعياداً وموالد، ولا أضرحة ولا مشاهد.

ولما مات قام أبو بكر الصديق -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال كما في البخاري عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : (أما بعد: فمن كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً ﷺ

(١) الصارم المنكي في الرد على السبكي، لابن عبدالهادي، ص ١٧٨، تصحيح ومقابلة إسماعيل الأنصاري، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء.

قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت...) [١] .

وفي حادثة الإفك تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما قال لها رسول الله ﷺ : (يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك) تقول: فقالت لي أمي: قومي إليه قالت: فقلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله.. [٢] .

وقد سبق حديث علي بن الحسين – رضي الله عنهما – وإنكاره على الرجل الذي يجيء إلى فرجة، كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ معلقاً على الحديث: «وهذا من أفضل التابعين من أهل بيته، نهى ذلك الرجل أن يتحرَّى الدعاء عند قبره ﷺ واستدل بالحديث وهو الذي رواه وسمعه من أبيه الحسين عن جده علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو أعلم بمعناه من هؤلاء الضلال، قال شيخنا [يقصد ابن تيمية] فانظر هذه السنة، كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت(*)، الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب، وقرب الدار؟ لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا له

---

(١) رواه البخاري في كتاب: «الجنائز»، باب: (الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه، رقم: ١١٨٥، (١/ ٤١٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب: «الشهادات»، باب: (تعديل النساء بعضهن بعضاً)، رقم: ٢٥١٨، (٢/ ٩٤٢-٩٤٦).

(*) بعض من يدعي النسب الشريف اليوم هم من أشد الناس تعظيماً للقبور وعبادة لها وهم الرافضة – أخزاهم الله!!

أضبط» أ. هـ[١] .

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : «فهذا حال من سجد لله في مسجد على قبره فكيف حال من سجد للقبر بنفسه وقد قال النبي : (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد)...»أ.هـ[٢].

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك – رضي الله عنه–: (أن رجلاً قال: يا محمد يا سيدنا، وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله ﷺ عليكم بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد بن عبدالله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل).

ونهى عن الوقوف لـه فكيف لو رأى ما يفعل الآن عند قبره؟!! ونهى أصحابه أن يصلوا خلفه يصولا ما خلفه قياماً، فقال: (إن كدتم آنفاً لتفعلون فعل فارس والروم، يقومون على ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا ائتموا

(١) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ١٥١)، المكتبة الثقافية، بيروت.

(٢) الجواب الكافي، لابن القيم، ص ٩٣.

بأئمتكم، إن صلى قائماً فصلوا قياماً وإن صلى قاعداً فصلوا قعوداً) (١) .

ومع شدة تحذير النبي ﷺ لأمته من الغلو في قبره ومشابهة اليهود والنصارى وقعوا في أشد من ذلك ومن الأمثلة:

أ- اعتقاد أن من زار قبره ﷺ وجبت لـه الشفاعة، بل جعل بعض الغلاة من زار قبره ﷺ بعد أداء الحج وغزا غزوة وصلى عليه في بيت المقدس مسقطاً لجميع الفرائض!!

ويستدلون بحديث (من حج حجة الإسلام وزار قبري وغزا غزوة وصلى في بيت المقدس لم يسأله الله عز وجل فيما افترض عليه) (٢) .

وحديث: (من زارني بعد موتي فكأنما زارني وأنا حي، ومن زارني كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة) (٣) .

---

(١) رواه مسلم في كتاب:«الصلاة»، باب: (ائتمام المأموم بالإمام)، رقم:٤١٣ (١/ ٣٠٩).

(٢) قال ابن عبدالهادي: «هذا الحديث رواه أبو الفتح الأزدي في الثاني من فوائده»أ. هـ.
ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب عند أهل المعرفة بالحديث ولم يحدث به عبدالله بن مسعود قط ولا علقمة ولا إبراهيم ولا منصور ولا سفيان الثوري، وأدنى من يعد من طلبة هذا العلم يعلم أن هذا الحديث مختلق...»أ. هـ، الصارم المنكي، ص ٢٢٢، وانظر: أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة، تأليف: أحمد بن يحيى النجمي، ص ١٥٣-١٥٦، وخصائص المصطفى بين الغلو والجفا، للصادق بن محمد، ص ١٦٦-١٧٠.

(٣) قال ابن عبدالهادي في الحكم على الحديث: «هذا حديث منكر لا أصل لـه وإسناده مظلم بل هو حديث موضوع...»أ. هـ، الصارم المنكي، ص ١٤٢.

==

وفي لفظ آخر: (من زار قبري وجبت له شفاعتي) [١] .

==

وقال الشيخ أحمد بن يحيى النجمي – بعد أن ذكر أقوال العلماء في رجال السند–:

«وبهذا يتبين أن الحديث محطم السند منكر المتن مكذوب على النبي ﷺ ، وهل يعقل أن يقول من أوتي جوامع الكلم هذا الكلام الركيل المتهافت وهو أفصح العرب لساناً وأبلغهم قولاً؟ وبيان ذلك من وجهين:

الأول: أن الزيارة بعد الموت ليست زيارة للشخص ولكنها زيارة لقبر الشخص، ولم يعرف في اللغة تسمية الزيارة للقبرة زيارة للشخص، فلا يقال لمن زار قبراً فلان زار فلاناً، وهذا إنما هو من انتحال الصوفية والشيعة وأمثالهم ممن يريدون إعادة الوثنية إلى الإسلام.

الثاني: أن التسوية بين زيارة قبره ميتاً وزيارته حياً شيء لا يعقل أبداً، ومن الأمور البدهية التي لا ينازع فيها عاقل... لما يترتب على زيارته في حياته من رؤيته ومشاهدة ما يتحقق على يديه من المعجزات والآيات ونزول الوحي... ونيل رتبة الصحبة التي من نالها فقد نال الخير كله، أما زيارة قبره ميتاً فلا يترتب عليها شيء مما ذكر...»أ. هـ، أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة، ص ١٨٥.

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، وقال البيهقي: «وسواء قال عبيدالله أو عبدالله فهو منكر عن نافع عن ابن عمر لم يأت به غيره» يعني الراوي موسى بن هلال العبدي.

وقال النووي في المجموع (٧/ ٢٠٣): «وأما حديث ابن عمر فرواه البزار والدارقطني والبيهقي بإسنادين ضعيفين»أ. هـ.

وقال ابن عبدالهادي: «هو حديث منكر عند أئمة هذا الشأن ضعيف الإسناد عندهم لا يقوم بمثله حجة ولا يعتمد على مثله عند الاحتجاج»أ. هـ.

وقال أيضاً: «ولو كان هذا اللفظ معروفاً عنده [يعني الإمام مالك] أو مشروعاً أو مأثوراً عن النبي ﷺ لم يكرهه ولو كان هذا الحديث المذكور من أحاديث نافع التي رواها عن ابن عمر لم يخف على مالك الذي هو أعرف الناس بحديث نافع ولرواه عن مالك بعض أصحابه الثقات فلما لم يروه عنه ثقة يحتج به ويعتمد عليه علم أنه ليس من حديثه، وأنه لا أصل له بل هو مما أدخل على بعض الضعفاء

==

ومن المعلوم عند المسلمين قاطبة أنه ﷺ سيد الشفعاء، وأنه صاحب الشفاعة العظمى في فصل القضاء حيث يذهب الخلق إلى أولي العزم من الرسل، فكل واحد يحيلهم إلى الآخر يصلوا إلى نبينا محمد ﷺ فيقول أنا لها ثم يذهب فيخر تحت العرش ساجداً... فيقال له: (يا محمد ارفع رأسك قل يسمع سل تعطه واشفع تشفع...) كما في الحديث الطويل السابق.

ولـه الشفاعة في أهل الكبائر ولـه الشفاعة في دخول أهل الجنة الجنة... وغيرها من أنواع الشفاعات التي نص عليها العلماء بعد أذن الله له بالشفاعة[١] .

ومن أنكر شفاعته ﷺ فهو مبتدع ضال [٢] ، لكنها لا تكون إلا بإذن الله تعالى ورضاه، وكذلك من ادعى أن هناك مخلوقاً يشفع لأحد من الخلق بدون رضا الله تعالى وإذنه فهو مخالف لإجماع المسلمين [٣] .

= =

المغفلين في طريقه فرواه وحدث به وقد قال الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي في كتاب الضعفاء موسى بن هلال البصري سكن الكوفة عن عبيد الله بن عمر لا يصح حديثه ولا يتابع عليه»أ. هـ، الصارم المنكي، ص ٣٢-٣٣.

(١) انظر: شرح الطحاوية، لأبي العز الحنفي، ص ٢٢٣ وما بعدها، تحقيق: بشير عيون، نشر مكتبة دار البيان.

(٢) أنكر المعتزلة والخوارج شفاعته ﷺ لأهل الكبائر، انظر: الطحاوية، ص ٢٣١.

(٣) انظر: الصارم المنكي، لابن عبدالهادي، ص ٥١-٥٢.

قال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ (١) .

وقولـه تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ (٢) .

وقولـه تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ (٣) .

ويقول الحافظ محمد بن عبدالهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«اعتقاد أنه يعلم الغيب – أي الرسول ﷺ – وأنه يعطي ويمنع ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع، وأنه يقضي حوائج السائلين، ويفرج كربات المكروبين، وأنه يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء، فدعوى المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك، وانسلاخ من جملة الدين»أ. هـ (٤) .

ب- الاستغاثة به عند الشدائد والكربات:

يقول أحد المعاصرين من الصوفية: «فالواسطة ليست شركاً وليس كل من اتخذ بينه وبين الله واسطة يعتبر مشركاً وإلا لكان البشر كلهم مشركين لأن أمورهم جميعاً تبنى على الواسطة، فالنبي ﷺ تلقى القرآن بواسطة جبريل، فجبريل واسطة النبي ﷺ وهو ﷺ الواسطة العظمى للصحابة – رضي الله

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

(٣) سورة النجم، الآية: ٢٦.

(٤) الصارم المنكي، ص ٢٥.

عنهم – فقد كانوا يفزعون إليه في الشدائد...»ا.هـ[١] .

ويقول أحد الغلاة:

يا ملاذي يا منجدي يا هنائي يا معاذي يا مقصدي يا رجائي
يا نصيري يا عمدتي يا مجيري يا خفير يا عدتي يا شفائي
أنت عوني وملجئي وغياثي وجلا كربتي وأنت غنائي [٢]

ويقول آخر:

يا رسول الإله إني ضعيف فاشفني أنت مقصد للشفاء
يا رسول الإله إن لم تغثني فإلى من ترى يكون التجائي [٣]

ويقول آخر:

يا رب بابك بابه ورجائي فيك وفيه طامع
طوراً أنادي رب رب وتارة يا خير شافع [٤]

وقد كادهم إبليس بهذه المكيدة بواسطة خطواته الإبليسية فبدأ معهم بأن ذلك مجرد توسل بحق الأنبياء فقط دون عبادتهم، ثم صار لكل عبد مؤمن.

---

(١) مفاهيم يجب أن تصحح، لمحمد علوي المالكي، ص ٢٦، وانظر الرد عليه في كتاب هذه مفاهيمنا للشيخ د.صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ، ص٨٣ وما بعدها.

(٢) شواهد الحق، للنبهاني، ص ٣٥٥، والقائل هو محمد الجمالي الحلبي.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٥٢، والقائل هو شمس الدين التواجي المصري.

(٤) شواهد الحق، للنبهاني، ص ٣٨٠، والقائل فتح الله بن النحاس.

ثم تدرج بهم الشيطان إلى القول: إن معنى ذلك هو الاستغاثة بهم وطلب الحاجات وتفريج الكربات، فأصبح النبي يدعى ويستغاث به من دون الله تعالى حتى في وقت الشدة بل وأوصلوه إلى مرتبة الربوبية، وأصبح حالهم أشد شركاً من مشركي قريش [١] حتى قال قائلهم:

يا رسول الإله إني ضعيف فاشفني أنت مقصد للشفاء
يا رسول الإله إن لم تغثني فإلى من ترى يكون التجائي [٢]!!

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فإذا كان على عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين، قد انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة؛ حتى أمر النبي ﷺ بقتالهم، فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام أو السنة في هذه الأزمان قد يمرق من الإسلام والسنة، حتى يدعى السنة من ليس من أهلها بل قد يمرق منها بأسباب:

منها: الغلو الذي ذمه الله تعالى في كتابه حيث قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ ﴾ [٣] ...»أ. هـ [٤].

---

(١) انظر: خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء، للصادق بن محمد بن إبراهيم، ص ١٣٨-١٤٠.

(٢) شواهد الحق، ليوسف النبهاني، ص ٣٥٢، ط. الحلبي، مصر.

(٣) سورة النساء، الآية: ٧١.

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨٣).

«فكل من غلا في نبي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية، مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرني، أو أغثني أو ارزقني، أو أنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل، فإن الله سبحانه وتعالى إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب، ليعبد وحده لا شريك له، ولا يدعى معه إله آخر، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى، مثل المسيح والملائكة والأصنام، لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق، أو تنزل المطر، أو تنبت النبات، وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم، أو يعبدون صورهم، يقولون: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [1] ...» [2].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وإذا تكلمنا فيما يستحقه الله تبارك وتعالى من التوحيد، بيَّنا أن الأنبياء – عليهم السلام – وغيرهم من المخلوقين لا يستحقون ما يستحقه الله تبارك وتعالى من الخصائص، فلا يشرك بهم، ولا يتوكل عليهم، ولا يستغاث بهم كما يستغاث بالله، ولا يُقسم على الله بهم، ولا يتوسل بذواتهم، وإنما يتوسل بالإيمان بهم، وبمحبتهم، وطاعتهم، وموالاتهم، وتعزيزهم، وتوقيرهم، ومعاداة من عاداهم وطاعتهم فيما أمروا، وتصديقهم فيما أخبروا وتحليل ما

(١) سورة الزمر، الآية: ٣.

(٢) فتح المجيد، ص ١٨١.

حللوه، وتحريم ما حرموه...»أ. هـ[١] .

جـ- اعتقادهم بأن يده الشريفة تخرج من القبر لتصافح من يسمى بالأولياء والأقطاب:

ويحكون في ذلك قصصاً وأكاذيب مزعومة، ومنها ما ينسب إلى أحمد الرفاعي[٢] .

أنه حج ووقف تجاه الحجرة الشريفة وأنشد:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عنى وهي نائبتي
وهذه نوبة الأشباح قد ظهرت فامدد بمينك كي تحظى بها شفتي

فخرجت إليه يد الرسول ﷺ من القبر فقبلها والناس ينظرون[٣] !!

ولم يكتفوا بذلك بل ادعوا أنه يخرج عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من قبره ويجالس مشايخهم يقظة لا مناماً.

---

(١) التوسل والوسيلة، لابن تيمية، ص ٢٤٠-٢٤١، ط. الأولى ١٤٠٩هـ، تحقيق: د. ربيع بن هادي، مكتبة لينة، مصر.

(٢) أحمد بن علي بن يحيى أبي الحسين الرفاعي، مؤسس الطريقة الرفاعية، ولد سنة ٥١٢هـ، وتوفي سنة ٥٧٨هـ، نشأ في واسط بالعراق، وقبره لا يزال بها، له أتباع كثيرون لهم فيه اعتقاد كبير، جمع بعض كلامه في رسالة بعنوان «رحيق الكوثر»، انظر: الأعلام للزركلي (١/ ١٧٤).

(٣) انظر: قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر، لمحمد بن أبي الهدى أفندي الرفاعي الصيادي، ص ٦٧-٦٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى ١٤٠٠هـ، ونفحات الرضا والقبول في فضائل المدينة، للحضراوي، ص ٤٧، تحقيق: د. محمد زينهم عزب، دار عزيب، القاهرة.

لما سئل ابن حجر الهيثمي: «هل يمكن الاجتماع بالنبي ﷺ يقظة والتلقي منه؟ فأجاب قوله: نعم يمكن ذلك وصرح بأن ذلك من كرامات الأولياء، وقد حكي عن بعض الأولياء أنه حضر مجلس فقيه فروى ذلك الفقيه حديثاً فقال له الولي: هذا الحديث باطل، قال: ومن أين لك هذا؟ قال هذا النبي ﷺ واقف على رأسك يقول: إني لم أقل هذا الحديث وكشف للفقيه فرآه»[١].

د- اعتقاد الصوفية أنه يحضر مجالسهم وأنهم يرونه يقظة لا مناماً، وأنه يلقن مشايخهم الأوراد والأدعية التي يعظمونها:

نقل عن الشعراني [٢] قولـه: «رأيت رسول الله ﷺ فقال لي عن نفسه الشريفة لست بميت، وإنما موتي عبارة عن تستري عمن لا يفقه عن الله، وأما من يفقه عن الله فها أنا ذا أراه ويراني»أ. هـ [٣] .

---

(١) الفتاوى الحديثية، ص ٢١٧، لابن حجر الهيثمي، وبهامش الدرر المنتثرة في الأحاديث المنتشرة، للسيوطي، ط. عام ١٣٠٧هـ، مصر، المطبعة الميمنية.

(٢) عبدالوهاب بن أحمد الشعراني الحنفي نسبه إلى محمد ابن الحنفية، من علماء الصوفية ولد في قلقشندة بمصر عام ٨٩٨هـ، وتوفي في القاهرة عام ٩٧٣هـ، صاحب مؤلفات كثيرة منها «الطبقات الكبرى والصغرى في تراجم الصوفية، و«أدب القضاة»، و«إرشاد الطالبين»، وغيرها... وله ضلالات كثيرة ضمنها مؤلفاته ومنها «ادعاء علم الغيب»، انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ١٨٠، شذرات الذهب، لابن أبي العماد (٨/ ٣٧٢)، السيرة الحلبية (١/ ٧١)، (١/ ٣٠٥)، (٢/ ٦٥٦).

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني (٢/ ٦٩)، المطبعة التوقيفية، مصر.

==

وسيأتي مزيد بسط لهذا الموضوع في مبحث الولاية – إن شاء الله –.

ينقل الشعراني عن أحد الصوفية «قلت يا رسول الله ﷺ إن الناس يكذبوني في صحة رؤيتي لك، فقال رسول الله ﷺ : وعزة الله وعظمته من لم يؤمن

==

* يستدل الصوفية بقوله ﷺ في الصحيح (من رآني في المنام فسيرآني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي) رواه البخاري ، كتاب: «التعبير»، باب: (من رأى النبي ﷺ في المنام)، رقم: ٦٥٩٢)، (٦/ ٢٥٦٧).
ولفظ مسلم (من رآنى في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي)، كتاب: «الرؤيا» (١٥/ ٢٤) بشرح النووي، وعند الإمام أحمد في المسند (٢/ ٤١١)، وعند أحمد من طريق أخرى (من رآني في المنام فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتشبه بي)، (٢/ ٢٦١).
وقد رواه جماعة من الصحابة منهم أنس بن مالك وجابر بن عبدالله وأبو سعيد الخدري وابن عباس وابن مسعود وغيرهم بلفظ (من رآني في المنام فقد رآني)، انظر: صحيح البخاري ، الأحاديث، رقم: ٦٥٩٣، ورقم: ٦٥٩٦.
ونظراً لمخالفة هذا الحديث لألفاظ الروايات التي رويت من طرق أخرى عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورويت لغيره من الصحابة حمل العلماء هذا الحديث- نظراً لكونه في البخاري – على عدة تأويلات ذكرها ابن حجر والنووي – رحمهما الله – ومنها:
فقيل: إن ذلك اللفظ جاء على سبيل التشبيه والتمثيل.
وقيل: أن ذلك خاص بأهل عصره ﷺ فمن آمن به من الصحابة ولم يره بعد.
وقيل: إن ذلك خاص بيوم القيامة وتكون هنا للرائي خصوصيته في القرب والشفاعة.
وقيل: إن ذلك متعلق بالرؤيا والمعنى سيرى في اليقظة تأويلها أو حقيقتها.
وقيل: من رآه ولم يهاجر فإن الله يوفقه للهجرة.
وقيل: إن ذلك حقيقة فإنه يراه في الدنيا ويخاطبه وهذا قول باطل مردود.
انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ٢٦)، فتح الباري، لابن حجر (١٢/ ٢٧٦ وما بعدها)، خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء، للصادق محمد إبراهيم، ص ٢١١ وما بعدها.

بها أو كذبك فيها لا يموت إلا يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً» (١) .

وفي إبطال هذه الدعوى يقول ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«ونقل عن جماعة من الصالحين (٢) أنهم رأوا النبي ﷺ في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة، وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم إلى طريق تفريجها فجاء الأمر كذلك... وهذا مشكل جداً ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة، ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة... وخبر الصادق لا

---

(١) الطبقات الكبرى، للشعراني (٢/ ٦٧)، المطبعة التوقيفية، مصر.

* أقول: إذن تعتبر رؤية النبي ﷺ في اليقظة بعد موته من أصول الدين على زعم الشعراني!!، فعلى هذا كيف لم يعلمها صحابة رسول الله ﷺ والتابعين من بعدهم، وهم خير القرون؟! وعلمها علماء الصوفية... بل كيف لم يدع أصحابه هذه الرؤية بعد موته وهم أقرب الناس إليه وشاهدها علماء الصوفية؟!! ورسول الله ﷺ مطاع وتجب طاعته بعد موته وقد أجمع المسلمون على أن الشريعة كملت وأن خبر السماء المتعلق بالأمر والنهي قد انقطع..

وأن مما أتعجب له ادعاء السيوطي أنه يرى الرسول ﷺ في اليقظة – إن صحّ ما نقل عنه – ويسأله عن درجة الحديث هذا مع جلالة علمه وسعة اطلاعه، وهنا مما يدل على شدة كيد إبليس ومكره حتى بالعلماء.

يقول الشعراني في قول عنه في الطبقات: «وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: رأيت النبي ﷺ يقظة فقال لي يا شيخ الحديث، فقلت: يا رسول الله أمن أهل الجنة أنا؟ فقال: نعم، فقلت: من غير عذاب يسبق؟ فقال النبي ﷺ: لك ذلك»!! الطبقات الصغرى، ص ٢٨-٢٩، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، ط. الأولى، سنة ١٣٩٠هـ.

(٢) من ادعى ذلك فليس بصالح، وقد يكون مراد ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه نسب إليهم ذلك من قبل مريديهم.

يتخلف، وقد أشتد إنكار القرطبي [١] على من قال: من رآه في المنام فقد رأى حقيقته ثم يراها كذلك في اليقظة»أ. هـ [٢] .

ثم نقل كلام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «اختلف في معنى الحديث فقال قوم هو على ظاهره فمن رآه في النوم رأى حقيقته، يلزم عليه أن لا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها وألا يراه رائياً في آن واحد في مكانين وأن يحيا الآن ويخرج من قبره ويمشي في الأسواق ويخاطب الناس ويخاطبوه، ويلزم من ذلك أن يخلو قبره من جسده، فلا يبقى من قبره فيه شيء فيزار مجرد القبر ويسلم على غائب، لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار... وهذه جهالات لا يلتزم بها من لـه أدنى مسكة من عقل»ا. هـ [٣] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«وأما اليقظة فلا يراه أحد بعينه في الدنيا، فمن ظن أن المرئي هو الميت فإنما أتى من جهله، ولهذا لم يقع مثل هذا لأحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وبعض من رأى هذا أو صدق من قال: إنه رآه اعتقد أن الشخص

---

(١) يقصد أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي المالكي الفقيه المحدث صاحب التفسير والمفهم في شرح مسلم، وغيرهما توفي سنة ٦٥٦هـ، انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٢٢٦).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (١٢/ ٤٧٦).

(٣) المرجع السابق (١٢/ ٤٧٥).

الواحد يكون بمكانين في حالة واحدة فخالف صريح المعقول»أ. هـ[١] .

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«وقد يرى أشخاصاً في اليقظة، إما ركباناً، وإما غير ركبان، ويقولون: هذا فلان النبي، إبراهيم، وإما المسيح، وإما محمد، وهذا فلان الصديق إما أبا بكر، وإما بعض الحواريين... ويكون ذلك شيطاناً ادعى أنه ذلك النبي، أو ذلك الشيخ أو ذلك الصديق... ومثل هذا يجري كثيراً لكثير من المشركين والنصارى، وكثير من المسلمين»أ.هـ[٢] .

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليقاً على حديث (من رآني في المنام فقد رآني...): «فرؤيا الأنبياء في المنام حق، وأما رؤية الميت في اليقظة، فهذا جني تمثل في صورته» أ. هـ[٣] .

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«والذي لـه عقل وعلم يعلم أن هذا ليس هو النبي ﷺ تارة لما يراه منهم من مخالفة الشرع مثل أن يأمروه بما يخالف أمر الله ورسوله وتارة بعلمه أن النبي ﷺ ما كان يأتي أحداً من أصحابه بعد موته في اليقظة، ولا كان يخاطبهم من

---

(١) التوسل والوسيلة، ص ٢٩.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (١/ ٣١٩).

(٣) المرجع السابق (١/ ٣٢١).

قبره فكيف يكون هذا إليَّ [١] »أ. هـ [٢] .

ويرد عليهم بأنه لو أمكن رؤيته ومشاهدته وعرض عليه المشكلات لكان أولى بذلك صحابته عندما تنازعوا على الخلافة بعد موته، وغيرها من المسائل التي أدت على وقوع القتال بينهم.

ولأمكن لابنته التي هي بضعة منه رؤيتها لـه وسؤالها عن حقها في الميراث [٣] ، بل نستطيع أن القول: إنه بناء على هذا القول لا يحكم بموت النبي ﷺ بل هو باقٍ إلى قيام الساعة ومعلوم أن موته ﷺ من المسلمات المعلومة لكل من عاش في زمنه

٤ - إقامة الموالد والأعياد:

ومن مكايد إبليس التي كاد بها العباد لإفساد دينهم في باب الغلو في الأنبياء إشغالهم بإقامة الموالد والأعياد في ذكرى مولد النبي أو الرسول أو إقامة عيد لأي مناسبة أو ذكرى مرتبطة به.

---

(١) كذا بالأصل وهو خطأ لفظي والصواب (ولي) وقد راجعته في مجموع الفتاوى (١٣/ ٧٨) فوجدته بنفس اللفظ.

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص ٥٩-٦٠.

(٣) انظر: رسالة القول والفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل، للشيخ إسماعيل الانصاري (٢/ ٨٥٣-٨٥٤)، ضمن رسائل حكم الاحتفال بالمولد، وانظر: الفتاوى (٦/ ٢٣٨٥)، لرشيد رضا، نقلاً من المرجع السابق.

فصارت هذه الأعياد هماً لكثير من أهل البدع فما أدى إلى اندثار السنن وعلو شأن البدع... وحسّن لهم إبليس ذلك بشبهة أن ذلك تعظيما لشأن الرسل وإغاظة لعدوهم ورفعه لدينهم، حتى أصبحت عندهم أهم من إقامة الدين وفعل الواجبات والسنن، وكادهم إبليس فصاروا يعظمون الأنبياء فيها ويرفعونهم فوق منازلهم ويجعلون لهم صفات الربوبية، ويزعمون كذباً وزوراً أنهم يحضرون هذه الموالد ويشربون ويأكلون معهم.

ثم أصبح الأمر بعد ذلك شهوة وهوى مطاع، ينعق به من ينعق لإشباع رغباته وتحقيق نزواته الشهوانية من مال ونساء ورقص وغناء!! وطعام وشراب وفسق وضلال!! وغالوا في حفلاته وابتدعوا لها من المراسيم والطقوس التي لم ينزل الله بها من سلطان.

وأصبح من ينكر ذلك عليهم ضالاً مبتدعاً مبغضاً لرسول الله ﷺ ورفع لهم إبليس الراية لحربه وتجريمه واتهامه بالفسق والزندقة [1] .

---

(١) يقول عداب الحمش، ص ٥٦، في النور المحمدي: «ودعيت مرة إلى أحد المساجد لحضور هذه المناسبة، وقام مفتي البلد يقرأ ديباجة المولد بإيقاع خاص، لم يسبق لي أن استمعت إلى مثله، وردت في ديباجته كلمات تفيد أن الله ما خلق الكون إلا من أجل محمد ﷺ، وأن محمداً من نور الله وأنه أول الأنبياء في الخلق، وآخرهم في البعث...إلخ»!!

ويقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في البداية والنهاية (١٣/ ١٣٦-١٣٧)، ط. مكتبة المعارف، بيروت، في ترجمة المظفر أبو سعيد كوكبري: «... وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول، ويحتفل به احتفالاً هائلاً وكان مع ذلك شهماً شجاعاً فاتكاً بطلاً عاقلاً... وقد صنف الشيخ أبو الخطاب ابن دحية له مجلداً في

= =

يقول الشيخ د/ عبدالرحمن بن عبدالخالق:

«فالاحتفال بالمولد عند أهله المبتدعين نظام وتقليد معين، واحتفال مخصوص بشعائر مخصوصة وأشعار تقرأ على نحو خاص، وهذه الأشعار تتضمن الشرك الصريح والكذب الواضح، وعند مقاطع مخصوصة من هذا الشعر يقوم القوم قياماً على أرجلهم زاعمين أن الرسول ﷺ يدخل عليهم في هذه اللحظة ويمدون أيديهم للسلام عليه، وبعضهم يطفئ الأنوار، ويضعون كذلك كأساً للرسول ﷺ ليشرب منه... ويضعون مكاناً خاصاً له ليجلس فيه بزعمهم... ثم يقوم الذكر فيهم على نظام مخصوص بهز الرأس يميناً وشمالاً وقوفاً على أرجلهم، وفي أماكن كثيرة يدخل حلقات الذكر هذه الرجال والنساء جميعاً»أ. هـ[1] .

==

المولد النبوي سماه التنوير في مولد البشير، فأجازه على ذلك بألف دينار وقد طالت مدته... حكى بعض من حضر سماط المظفر في بعض الموالد كان يمد في ذلك السماط خمسة آلاف رأس مشوي وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زيدية وثلاثين ألف صحن حلوى قال وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم ويعمل للصوفية سماعاً من الظهر إلى الفجر ويرقص بنفسه معهم (!!) ... وكان يصرف على المولد كل سنة ثلاثمائة ألف دينار..» ا.هـ، أقول: فليت هذه الأموال صرفت في أعمال خيرية أو وزعها على الفقراء وإني لأتساءل هل هذه أمور تعبدية يفعلونها أم ولائم ومناسبات للطعام والشراب والرقص والغناء لإشباع شهواتهم ؟!!

(١) مقال د/ عبدالرحمن بن عبدالخالق بعنوان: «حقيقة الاحتفال بالمولد النبوي» منشور بموقع لها أون لاين.

* إن مما يتعجب منه في هذا الأمر إطفاء السراج والأنوار عند دخول (الحضرة المحمدية)، بزعمهم!!

==

وهم في هذا الفعل يتشبهون بالنصارى فهم يقيمون لأنبيائهم الموالد والأعياد، كما بين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الحديث عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله) .

يقول الشيخ حمود التويجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«لا شك أن الاحتفال بالمولد النبوي واتخاذه عيداً مبني على التشبه بالنصارى في اتخاذهم مولد المسيح عيداً»أ. هـ[1] .

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان لأحد أعياد النصارى، وهو ما يسمونه عيد النور: «... محله بيت المقدس، فيجتمعون من سائر النواحي في ذلك اليوم، ويأتون إلى بيت فيه قنديل معلق لا نار فيه، فيتلوا أحبارهم الإنجيل، ويرفعون أصواتهم، ويتبهلون في الدعاء، فبينا هم كذلك وإذا نار قد نزلت من سقف البيت فتقع على ذبالة القنديل فيشرق ويضيء ويشتعل فيضجون ضجة واحدة، ويصبون على وجوههم، ويأخذون في البكاء والشهيق»

أ. هـ[2] .

= =

ولا أشك أن الذي يدخل شيطان مريد أو كاذب مخادع من شياطين الإنس... وإلا فلماذا لا يراه الجميع بصفته وهيئته؟ وهذا مما يوضح كذبهم وخداعهم وتلبيساتهم الشيطانية.

(١) الرد القوي على الرفاعي، ص ٨٧، ضمن رسائل حكم الاحتفال بالمولد.

(٢) إغاثة اللهفان، لابن القيم (٢/ ٢١١).

وهذه النار التي تنزل من سقف البيت إنما هي مكيده وخداع، وإلا فهم في الواقع: «يأخذون من خيطاً دقيقاً من نحاس... ويجعلونه في وسط قبة البيت إلى رأس الفتيلة التي في القنديل، ويدهنونه بدهن اللبان، والبيت مظلم، بحيث لا يدرك الناظرون الخيط النحاس وقد عظموا ذلك البيت، فلا يمكنون كل أحد من دخوله، وفي رأس القبة رجل، فإذا اقدسوا ودعوا ألقى على ذلك الخيط النحاس شيئاً من نار النفط، فتجري النار مع دهن اللبان إلى آخر الخيط النحاس، فتلقى الفتيلة فيتعلق بها»أ.هـ[١].

ومن المعلوم أنه أمر مبتدع لم يشرعه المصطفى ﷺ ولا أقامه ولا دعا إليه أصحابه كذلك هم لم يفعلوه، وكانت بداية ظهوره في عصر الفاطميين الإسماعيلية [٢] الغلاة في مصر [٣] في نهاية القرن الثالث.

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٢١٢).

(٢) ينتسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق المتوفى سنة ١٩٨هـ، وهي فرقة من فرق الرافضة الاثني عشرية ولكن انفصلت منها لادعائها الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق دون موسى الكاظم بن جعفر الصادق... وهم باطنية ملاحدة إذ يعتقدون بأن لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويلاً لذلك لقبوا بالباطنية ولهم ألقاب أخرى منها القرامطة والمزدكية، من معتقداتهم نفي الصفات وتعطيل الذات عن جميع الصفات... ولهم آراء فلسفية ولا يؤمنون بالمعاد، ويعتقدون عصمة الأئمة، انظر: الملل والنحل، للشهرستاني (١/ ١٩١-١٩٨)، المقالات، للأشعري (١/ ٢٦-٢٧)، الموسوعة الميسرة، ص ٣٩٣-٣٩٨.

(٣) انظر: الرد القوي على الرفاعي، للشيخ حمود التويجري (١/ ٨٢)، ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد لمجموعة من العلماء، نشر دار العاصمة، الرياض، ط. الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

يقول الشيخ حمود التويجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«ومن الأعمال المردودة بلا ريب إحياء ليلة المولد كل عام، لأنه لم يكن من أمر النبي ﷺ، ولا من عمل الصحابة – رضي الله عنهم – ولا من عمل التابعين وتابعيهم بإحسان، وإنما هو من محدثات الأمور التي حذَّر منها رسول الله ﷺ، وأخبر أنها بدعة وضلالة»أ. هـ [١] .

فمن قال بشرعية المولد فقد نسب إلى رسول الله ﷺ بأنه لم يكمل الدين، أو يتهم صحابته الكرام أنهم لم يعظموا الرسول حق تعظيمه، ولم يفعلوا سنته بعد موته بل أهملوها، وهذا مما ينزه عنه الصحابة الذين كانوا يحرصون على تطبيق أدق السنن واخفاها اتباعاً لهديه ﷺ [٢] .

وإنما هو من أفعال أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومعلوم أن التشبه بهم حرام [٣] .

قال ﷺ : (من تشبه بقوم فهو منهم).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

---

(١) المرجع السابق (١/ ٧٣)، مطبوع ضمن رسائل حكم الاحتفال بالمولد.

(٢) انظر: المرجع السابق (١/ ٧٨).

(٣) احتفال النصارى بالمولد ليس من أصل دينهم، بل هو بدعة وثنية دخلت عليهم، انظر: رسالة الاحتفال بالمولد بين الاتباع والابتداع (٢/ ٩١٩)، للشيخ محمد بن سعد بن شقير، ضمن رسائل المولد.

«وقد احتج أحمد وغيره بهذا الحديث، قال: وهذا الحديث أقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم، كما في قوله: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [1] ...» أ. هـ.

ومن يدعي أن إقامة هذه الموالد من تعظيم الرسول ﷺ ومحبته فيقال لهم: محبته ﷺ وتعظيمه إنما هي بإحياء سنته واتباع هديه.

وتأمل إنكار ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للقوم الذين اجتمعوا في المسجد يكبرون ويحمدون ومعهم رجل يقول لهم كبروا مائة... سبحوا مائة وفي أيديهم يعدون بها التسبيح، فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبدالرحمن حصى نعُدُّ به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن ألا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ﷺ ، أو مفتتحو باب ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبدالرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصبه) [2] .

فكيف لو شاهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه الموالد وما يقام فيها من الشرك والبدع واللهو

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥١.

(٢) رواه الدارمي في سننه، رقم: ٢٠٤، (١/ ٧٩).

وضرب الدفوف وغير ذلك [١] .

قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [٢] .

بل إن إبليس قد لبس على بعضهم حتى عدُّوا الاحتفال بالمولد النبوي من السنن والمستحبات، وأنه وسيلة للدعوة إلى الله تعالى وفرصة للإكثار من الصلاة على النبي ﷺ، والتعرف على شمائله ﷺ وإظهار الفرح بولادته، وإطعام الطعام والاجتماع على ذكر الله [٣] .

ولا شك أن فيها من المفاسد العظيمة أضعاف ما ذكروه، ففيها الغلو في النبي ﷺ ، وقد حذر أمته من الغلو والإطراء، وفيها انه من ابتداع الرافضة والباطنية والفاطمية، فكيف يليق بأهل السنة والاتباع السير على منوال هؤلاء الرافضة الذين هم أهل الفساد والبدع.

وفيها تقليد النصارى والإيمان يقتضي بغضهم ومخالفتهم، وفيها أنه مخالفة

---

(١) انظر: الرد القوي على الرفاعي... للشيخ حمود التويجري (١/ ٨٥ وما بعدها)، فقد أجاد وأفاد ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣.

(٣) انظر: الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف، للشيخ أبي بكر الجزائري (١/ ٣٦٤)، ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد.

وانظر: أقوال الضال محمد بن علوي مالكي التي نقلها العلامة حمود التويجري (١/ ٢٧٨ وما بعدها) من كتاب المذكور المسمى (حول الاحتفال بالمولد النبوي) والرد عليها.

لهدى المصطفى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وصحابته من بعده فليسعنا ما وسعهم [١] .

قال العلامة عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«والقاعدة الشرعية: رد ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله، وسنة رسوله محمد ﷺ ... وقد رددنا هذه المسألة – وهي الاحتفال بالمولد – إلى كتاب الله سبحانه، فوجدناه يأمرنا باتباع الرسول ﷺ فيما جاء به ويحذرنا عما نهى عنه، ويخبرنا بأن الله سبحانه قد أكمل لهذه الأمة دينها، وليس هذا الاحتفال مما جاء به الرسول ﷺ ، فيكون ليس من الدين الذي أكمله الله لنا وأمرنا باتباع الرسول فيه، وقد رددنا ذلك – أيضاً – إلى سنة الرسول ﷺ فلم نجد فيها أنه فعله، ولا أمر به، ولا فعله أصحابه – رضي الله عنهم – فعلمنا بذلك أنه ليس من الدين، بل هو من البدع المحدثة، ومن التشبه بأهل الكتاب من اليهود والنصارى في أعيادهم» أ. هـ [٢] .

«وأما من قصد السفر لمجرد زيارة القبر ولم يقصد الصلاة في مسجده وسافر إلى مدينته فلم يصل في مسجده ﷺ ، ولا سلم عليه في الصلاة بل أتى القبر، ثم رجع .. فهذا مبتدع ضال مخالف لسنة رسول الله ﷺ ولإجماع

---

(١) انظر: رسالة الاحتفال بالمولد بين الاتباع والابتداع، للشيخ محمد بن سعد بن شقير، ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد (٢/ ٩٣٣-٩٣٤).

(٢) حكم الاحتفال بالمولد النبوي، للعلامة ابن باز (١/ ٦٠-٦١)، مطبوع ضمن رسائل حكم الاحتفال بالمولد النبوي.

أصحابه ولعلماء أمته... والذي يفعله علماء المسلمين هو الزيارة الشرعية يصلون في مسجده ﷺ ويسلمون عليه في الدخول للمسجد وفي الصلاة وهذا مشروع باتفاق المسلمين»أ. هـ [١] .

ولقد استعان إبليس في إيقاع العباد في هذه المكايد بعدد من الزنادقة الذين وضعوا أحاديث ونسبوها كذباً وزوراً إلى رسول الله ﷺ حتى يضفوا ثوب الشرعية على البدع والمنكرات التي يمارسونها، ومن تلك الأحاديث حديث جابر السابق [٢] .

وحديث (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) [٣] .

---

(١) الصارم المنكي، لابن عبدالهادي، ص ٥٣.

(٢) انظر: ص

(٣) قال السيوطي: «لا أصل لـه بهذا اللفظ، ... قال: وزاد العوام فيه (كنت نبيا ولا أرض ولا ماء ولا طين) ولا أصل لـه أيضاً»أ. هـ، الدر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة، ص ١٤٧-١٤٨.

قال الحافظ السخاوي: «وأما الذي على الألسنة بلفظ: كنت نبينا وآدم بين الطين والماء فلم نقف عليه...»أ. هـ، المقاصد الحسنة، ص ٣٢٧.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «لا اصل له، لم يروه أحد من أهل العلم بالحديث بهذا اللفظ، وهو باطل...»مجموع الفتاوى (٢/ ٢٣٨).

والصحيح ما رواه ميسرة الفجر قال: قلت يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ وفي لفظ متى كتبت نبينا؟ قال: (وآدم بين الروح والجسد). رواه أحمد في المسند (٥/ ٥٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٨-٦٠٩)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه»أ. هـ، وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح»أ. هـ، مجمع الزوائد (٨/ ٢٢٣).

= =

وبعد سعي إبليس لإبطال النبوة، التمس طريقاً آخر لإبطالها عند من لم يستجب لـه في هذه الطريق ألا وهو إبطال ما يدل على صدقهم من الآيات

==

قال شيخ الإسلام: «ولهذا يغلط كثير من الناس في قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه ميسرة قال: (قلت يا رسول الله متى كنت نبينا؟ وفي وراية متى كتبت نبيا؟ قال: وآدم بين الروح والجسد)، فيظنون أن ذاته ونبوته وجدت حينئذ، وهذا جهل فإن الله إنما نبأه على رأس أربعين من عمر، وقد قال لـه: ﴿...بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾سورة يوسف، الآية: ٤، ومن قال أن النبي ﷺ كان نبياً قبل أن يوحى إليه فهو كافر باتفاق المسلمين، وإنما المعنى أن الله كتب نبوته، فأظهرها وأعلنها بعد خلق جسد آدم، وقبل نفخ الروح فيه، كما أخبر أنه يكتب رزق المولود وأجله وعمله وشقاوته وسعادته بعد خلق جسده، وقيل نفخ الروح فيه، كما في حديث العرباض بن سارية أنه قال: (إني عبدالله وخاتم النبيين، لمكتوب خاتم النبيين، وأن آدم لمجندل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى ورؤيا أمي رأت حين ولدتني أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام) [المسند (٤/ ١٢٧-١٢٨)، والمستدرك (٢/ ٦٠٠)، وقال: صحيح الإسناد. أ. هـ] وكذلك ترى أمهات النبيين – صلوات الله عليهم – وكثير من الجهال المصنفين وغيرهم يرويه (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين)، (وآدم لا ماء ولا طين)، ويجعلون ذلك وجوده بعينه، وآدم لم يكن بين الماء والطين بل الماء بعض الطين لا مقابله»أ. هـ، مجموع الفتاوى (٨/ ٢٨٢-٢٨٣)، وانظر: النور المحمدي، ص ٢٦-٢٨.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليقاً على هذا الحديث في معرض رده على صاحب الفصوص: «قوله: (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين) بخلاف غيره من الأنبياء... كذب واضح مخالف لإجماع أئمة الدين، وإن كان هذا يقوله طائفة من أهل الضلال والإلحاد، فإن الله علم الأشياء، وقدرها قبل أن يكونها، ولا تكون موجودة بحقائقها إلا حين توجد ولا فرق في ذلك بين الأنبياء وغيرهم، ولم تكن حقيقته ﷺ موجودة قبل أن يخلق، إلا كما كانت حقيقة غيره بمعنى أن الله علمها وقدرها»أ. هـ، مجموع الفتاوى (٢/ ٢٣٧).

والبينات الباهرات التي لا يماري فيها إلا معاند منكر لحقائق الأمور، وهذا سيأتي بسطه – إن شاء الله – في المبحث القادم.

المبحث الثالث

مكايد الشيطان في نفي المعجزات والكرامات

لقد أيد الله تعالى أنبياءه ورسله بآيات بينات هي دلائل صدقهم، إذ قال تعالى مبيناً إنكار الكفار للبينات والآيات: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ... ﴾ (١) ، محال أن يؤيد الله من يدعي الكذب عليه.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ (٣) .

وتسمى دلائل الأنبياء آية، وبينة وبرهاناً، والآية في اللغة: «العلامة الظاهرة»(٤).

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٣.

(٣) سورة يونس، الآيتان: ٧٤-٧٥.

(٤) بصائر ذوي التمييز (٢/ ٦٣).

وأما البينة فهي بمعنى الإيضاح: «بان بياناً، اتضح فهو بين... وبيَّنة وتبينته وأبنته واستبينته، أوضحته وعرفته...» [١] .

وأما البرهان فهو: «الحجة الفاصلة البينة، يقال: برهن، يبرهن، برهنة إذا جاء بحجة قاطعة للألد [٢] الخصم فهو مبرهن» [٣] .

وأما لفظ المعجزة فلم يرد في الكتاب ولا السنة، وهو مأخوذ من العجز «أعجزه الشيء فاته وفلاناً: وجده عاجزاً، وصيره عاجزاً، والتعجيز: التثبيط والنسبة إلى العجز»[٤] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ويسميها من يسميها من النظار معجزات، وتسمى دلائل النبوة، وأعلام النبوة، ونحو ذلك، وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء، كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ (المعجزات) موجوداً في الكتاب والسنة، وإما فيه لفظ (الآية)، و(البينة)، و(البرهان)...»أ. هـ [٥] .

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إن في تسميتها بالمعجزات تجوز، ثم قال: «إن المعجز

---

(١) القاموس المحيط، ص ١٥٢٦.

(٢) الألد:الخصم الجدل الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحق، لسان العرب (٣/ ٣٩٠-٣٩١).

(٣) لسان العرب (١٣/ ٥١)، مادة: «رهن».

(٤) القاموس المحيط، ص ٦٦٣.

(٥) الجواب الصحيح (٤/ ٦٧).

على التحقيق إنما هو خالق العجز، وهذه الأسباب التي يقع العجز عندها تسمى معجزة بالتوسع، وذلك من تسمية الشيء باسم غيره إذا جاوزه، أو كان معه بسبب»أ. هـ [١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «آيات الأنبياء هي التي تعلم أنها مختصة بالأنبياء، وأنها مستلزمة لصدقهم، ولا تكون إلا مع صدقهم، وه لابد أن تكون خارقة للعادة، خارجة عن قدرة الإنس والجن ولا يمكن أحداً أن يعارضها، لكن كونها خارقة للعادة ولا تمكن معارضتها هو من لوازمها ليس هو حداً مطابقاً لها، والعلم بأنها مستلزمة لصدقهم قد يكون ضرورياً كانشقاق القمر، وجعل العصاحية، وخروج الناقة»أ. هـ [٢] .

ومن هذا التعريف يتبين أن آيات الأنبياء لا يشاركهم فيها غيرهم، ولا يصح أن تحد بأنها خارقة للعادة، ويتحدى بها النبي، ويدعي النبوة، إذ لو ظهرت آية من تلك الآيات على يدي بشر، ولم يتحد، أو يدعي النبوة لم تكن آية في نظر من يقول بذلك وهم من المتكلمين من أمثال القاضي عبدالجبار والباقلاني [٣] وغيرهم، ولهذا أنكر المعتزلة خوارق السحرة، إذ لا فرق بينها

---

(١) الإعلام (٢/ ٢٣٩).

(٢) النبوات، ص ٣٠٨.

(٣) محمد بن الطيب بن محمد، أبو بكر القاضي المعروف بابن الباقلاني، المتكلم على مذهب الأشعري، من أهل البصرة، سكن بغداد وسمع بها الحديث، له تصانيف كثيرة في الرد على المخالفين
= =

وبين آيات الأنبياء عندهم [١] .

وأما الكرامة فهي أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد ولي من أوليائه وهي من معجزات الأنبياء، ودليل صدقهم، وهي تظهر على أيدي أتباع الرسل لحسن اتباعهم وصدقهم مع الله، وبينها وبين المعجزات فروق منها:

- إن الكرامة لا تصل إلى درجة آيات الأنبياء فهي أقل منها.
- إنها من دلائل صدق النبوة.

= =

من الرافضة، والمعتزلة، والجهمية، والخوارج، توفي سنة ٤٠٢هـ، تاريخ بغداد (٥/ ٣٧٩-٣٨١)، وانظر: الأعلام (٦/ ١٧٦).

(١) انظر: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر، ص ٣٥-٣٦، والمغني للقاضي عبدالجبار (١٥/ ٢٥٩-٢٦٠).

وقولوهم هذا مردود إذ على قولهم هذا لو ظهرت آية من تلك الآيات على يدي بشر ولم يتحد أو يدعي النبوة، لم تكن آية، فإن تحدى وادعى النبوة كانت آية.

وأما خرق العادة فلا يصح شرطاً لوجهين:

أحدهما: أن العادة أمر نسبي لا ينضبط، فقد يكون الأمر عادة عند قوم دون غيرهم.

الثاني: أن هذا لا يختص بالأنبياء، فقد يشاركهم فيه غيرهم، كالساحر مثلاً يأتي بما هو خارق لعادة من يشاهده، ولا يستطيع الحاضرون معارضته مع أن هذا الأمر ليس خارقاً لعادة السحرة أمثاله.

وأما ادعاء النبوة فيقال: إن هناك من الأشخاص من ادعى النبوة كاذباً وجرى على يديه بعض الخوارق ولم يعارض، ومع ذلك عرف الناس كذبه ولم يصدقوه كأمثال مسيلمة والأسود العنسي وغيرهم.

وآيات الأنبياء دليل وبرهان صدقهم ولا يشترط فيها الاستدلال أو التحدي ومن أمثلة ذلك نبع الماء بين يدي رسول الله ﷺ وتكثير الطعام وغيرهما، مما كان لحاجة المسلمين ولم يتحد بها رسول الله ﷺ ، انظر: النبوات، ص ١٨، ص٣٠٨، ص ٣٤، الجواب الصحيح (٤/ ٢٦١ وما بعدها).

- نفي العصمة عن الولي بخلاف النبي.
- إن الولي لا يدعي النبوة ولو ادعاها كان كذاباً زنديقاً.
- إن الكرامة قد تكون استدراجاً لصاحبها، بخلاف آيات الأنبياء فهي دليل على صدقهم ونبوتهم.
- إن صاحبها يخفيها غالباً.
- ليست شرطاً في إثبات النبوة.
- لا تكون خارقة لعادة الصالحين، بل كثيراً ما تقع لأولياء الله في جميع الملل[1].

وأما مكايد عدو الله إبليس في هذا المبحث فهي غير واضحة، ولكنها موصولة بما سبق في المبحث السابق – إنكار النبوات – فحيث ألقى على مكذبي الرسل شبهة أن هذا الرسول ساحر كذاب... إلخ، فكذلك ما يأتي به يعد من قبيل السحر والكهانة، والكذب، وهذا مأخوذ من عموم قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾[2].

(١) انظر: النبوات، ص ١٩، ص ٤٤٣، مجموع الفتاوى (١١/ ٣١٢)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٣)، ط. دار المعرفة، شرح الطحاوية، ص ٥٥٨.

(٢) سورة الحج، الآية: ٥٢.

وقد سبق نقل أقوال المفسرين فيها.

لهذا يحاول الشيطان أن ينفي معجزات الأنبياء ويشكك الناس في صحتها، ويوهمهم بالقدرة على معارضتها تارة، وبأنها ليست من عند الله تعالى بل اخترعوها وجاءوا بها ونقلوها من غيرها تارة أخرى، ومن الآثار الدالة على ذلك ما رواه عمران بن الحارث [1] قال: بينا نحن عند ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (إذ جاءه رجل، فقال ابن عباس: من أين جئت؟ قال: من العراق. قال: من أيه؟ قال: من الكوفة. قال: ما الخبر؟ قال: تركتهم يتحدثون أن علياً خارجاً إليهم. ففزع فقال: ما تقول لا أبا لك لو شعرنا ما نكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه؛ أما إني أحدثكم عن ذلك؛ أنه كانت الشياطين يسترقون السمع من السماء، فيأتي أحدهم بكلمة حق قد سمعها، فإذا حدث عنه صدق كذب معها سبعين كذبة، قال: فيشربها قلوب الناس، فأطلع الله عليها سليمان فدفنها تحت كرسيه، فلما توفي سليمان بن داود قام شيطان بالطريق فقال: ألا أدلكم على كنزه الممنع الذي لا كنز مثله تحت الكرسي. فأخرجوه فقالوا: هذا سحر فتناسخها الأمم حتى بقاياهم ما يتحدث به أهل العرق، فأنزل الله عذر سليمان: ﴿ **وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ**

(١) عمران بن الحارث السلمي أبو الحكم الكوفي، روى عن عبدالله بن الزبير، انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ١١٠)، الكاشف (٢/ ٩١)، تقريب التهذيب، ص ٤٢٩.

سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [(١)]) [(٢)] ومن هنا فأوجز مكايده فيما يلي:

الأول: مكايد عامة في نفي معجزات جميع الأنبياء ومنها:

١- الزعم بأن ما يأتي به الأنبياء من معجزات إنما هي من ضروب السحر.

٢- إنكار الآيات والمعجزات.

٣- إنكار الكرامات

الثاني: مكايد خاصة بمعجزات نبينا محمد ﷺ ومنها:

١- الزعم بأنه ﷺ كان شاكاً في الوحي ومادام شاكاً فيه فلا تثبت به حجة.

٢- إن هذه المعجزات نابعة من أوهامه وتخيلاته.

٣- الزعم بأنه ﷺ نقل ما عند أهل الكتاب في كتبهم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (١/ ٣٥٦)، والحاكم في المستدرك، رقم: ٣٠٥٠، (٢/ ٢٩١)، وقال ابن حجر في الفتح (١٠/ ٢٢٣) دار المعرفة: «أخرجه الطبري وغيره عن السدي، ومن طريق سعيد بن جبير بسند صحيح نحوه ومن طريق عمران بن المحارث موصولاً بمعناه» أ. هـ، وله شاهد رواه ابن جرير (١/ ٣٥٧)، من طريق سعيد بن جبير بمعناه وهو الذي صحح إسناده ابن حجر وفيه «فانطلقت الشياطين فكتبت في تلك الأيام كتباً فيها سحر وكفر ثم دفنوها تحت كرسي سليمان ثم أخرجوها فقرؤوها على الناس، وقالوا: إنما كان سليمان يغلب على الناس بهذه الكتب...».

٤- إنكار معجزات النبي ﷺ الحسية.

وأستعين بالله تعالى في بيانها وتفصيلها:

الأولى: مكايد عامة في نفي معجزات جميع الأنبياء:

١- الزعم بأن ما يأتي به الأنبياء من آيات بينات، إنما هي من ضروب السحر:

قال تعالى في ذكر هذه الشبهة: ﴿ **فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴾ (١).

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«يريد فرعون وقومه قالوا: إن هذا السحر مبين حملوا المعجزات على السحر»أ. هـ (٢).

وقال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ** ﴾ (٣).

يعني كفار مكة عندما جاءهم الحق المبين على يد الرسول ﷺ طالبوه بأن

---

(١) سورة يونس، الآية: ٧٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٣٦٦)، وانظر: (١١/ ١٤٥)، وجامع البيان، للطبري(١١/ ٤٥)، تفسير ابن كثير (٢/ ٤٢٧) ط. دار الفكر.

(٣) سورة القصص، الآية: ٤٨.

يأتي بمثل معجزات موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من العصا واليد كذباً وزوراً بإحياء من يهود مكة، مع كفرهم بموسى وزعمهم أنه ما جاء به السحر، والمقصود بالساحران: موسى ومحمد – عليهما الصلاة والسلام – [١] .

وقرئت ساحران بغير ألف سحران والمراد الإنجيل والقرآن وقيل: التوراة والقرآن[٢] .

يقول ابن سينا [٣] :

«إن الأمور الغريبة، تنبعث في عالم الطبيعة من مبادئ ثلاثة:

أحدها: الهيئة النفسانية.

ثانيها: خواص الأجسام العنصرية، مثل: جذب المغناطيس للحديد.

ثالثها: قوى سماوية بينها وبين أمزجة أجسام أرضية مخصوصة بهيئات وضعية أو بينها وبين قوى نفوس أرضية مخصوصة بأحوال ملكية...

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٩٤).

(٢) انظر: المرجع السابق نفس الجزء والصفحة، مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٤).

(٣) الفيلسوف الشهير أبو علي بن عبدالله بن الحسن بن علي بن البلخي ابن سينا البخاري، ولد عام ٣٧٠هـ وتوفي وعمره ٥٣ عاماً له تصانيف عدة في الطب والفلسفة والمنطق، كان أبوه كاتباً من دعاة الإسماعيلية، وهو من رؤوس فلاسفة الإسلام، وكان تمليذاً للفارابي، كفّره الغزالي في المنقذ من الضلال، وابن تيمية وغيرهما من العلماء، من مصنفاته: «الشفاء»، «الإشارات»، «الإنصاف»، وغيرها، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٧/ ٥٣١-٥٣٤)، معجم البلدان (١/ ٤٥٥)، البداية والنهاية (١٣/ ٢٠)، مجموع الفتاوى (٥/ ٥٥٠)، (٩/ ٤٠)، (١٢/ ٢٢)، (١٢/ ١٤٥).

والسحر من قبيل القسم الأول، بل المعجزات والكرامات والنيرنجات من قبيل القسم الثاني، والطلسمات من قبيل القسم الثالث» [١] .

وقد سبق الرد على هذه الشبهة [٢] .

٢- إنكار الآيات والمعجزات:

قال تعالى: ﴿ **وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ** ﴾ [٣] .

وهذه الآية نزلت في شأن اليهود - قبحهم الله - حيث لم يعظموا الله حق عظمته سبحانه، ولا عرفوه حق معرفته، إذ نسبوا إليه ما يستقبح فزعموا أنه لم يقم الحجة على العباد، وأنكروا الرسالة وجميع الكتب التي نزلت على الأنبياء [٤] .

ولا شك أن هذا القول يؤدي إلى إنكار النبوة، وقد سبق الرد عليهم في المبحث السابق.

---

(١) الإشارات لابن سينا (٣/ ٢٥٤-٢٥٥)، نقلاً من كتاب خصائص المصطفى، للصادق بن محمد بن إبرهيم، ص ٢٣٦.

(٢) انظر ص

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

(٤) انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري (٦/ ٢٨)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/ ٣٧)، تفسير ابن كثير (١/ ٥٨٦) ط. دار الفكر، الدر المنثور (٣/ ٣١٤)، مدارج السالكين (١/ ٤١٨).

٣- إنكار الكرامات:

وهذه طريق أخرى لإبليس – لعنه الله – حيث لم يتمكن من إنكار القرآن الكريم ولا معجزات الرسول الكريم ﷺ ، فلجأ إلى إثارة شبهة نفي كرامات الأولياء فقالت المعتزلة: «إنها لا تظهر إلا على مدعي الرسالة، لكي يعرف بها صدقه بما تحمله من مصالح الأمة» (١) .

وألقى عليهم إبليس شبهة وهي أنه لو صح وقوعها لأدى ذلك على التباس الولي بالنبي (٢) .

ونسب هذا القول أيضاً إلى بعض الأشاعرة (٣) ، وابن حزم الظاهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ودليله في إنكارها: «أنه لو جاز أن يأتي بهذا الأمر أحد سواهم – أي الأنبياء – لما كان فيه دليل على النبوة»أ. هـ (٤) .

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي عبدالجبار الهمذاني (١٥/ ٢٤٤).

(٢) انظر: المرجع السابق (١٥/ ٢٤١-٢٤٦).

(٣) نسب ذلك إلى أبي إسحاق الإسفراييني وأبي محمد بن أبي زيد وقال شيخ الإسلام: «ولكن كأن في الحكاية عنهما غلطاً وإنما أرادا الفرق بين الجنسين»أ. هـ، النبوات، ص ١٦، وانظر: ص ٤٢٣.
وقال السبكي: «ويزداد تعجبي عند نسبة إنكارها إلى الاستاذ أبي إسحاق الاسفرايني على أنه نسبة إنكارها إليه على الإطلاق كذب عليه، والذي ذكره الرجل في مصنفاته أن الكرامات لا تبلغ مبلغ خرق العادة»، طبقات الشافعية (٢/ ٣١٥)، وقد خالف السبكي قوله هذا في الطبقات الوسطى، فقال: «ومن غرائبه أنه كان ينكر كرامات الأولياء» أ. هـ، حاشية الطبقات الكبرى (٤/ ٢٦٠).

(٤) الأصول والفروع، لابن حزم، ص ١٣٢ .

وقال أيضاً: «إن الله عز وجل يسمي هذه الخوارق آيات والآيات لا تكون إلا للأنبياء بلا خلاف»أ. هـ[١] .

ولا شك أن قولهم هذا فيه إنكار للواقع، وتكذيب بالمحسوسات ويرد عليهم بما يلي:

أولاً: أن هذا خلاف الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة، والإجماع، ومكابرة للعقل وإنكار للحس.

فأما القرآن ففي قوله تعالى في شأن مريم – عليها السلام – : ﴿ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ** ﴾[٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فيه دلالة على كرامات الأولياء، وفي السنة لهذا نظائر كثيرة»أ. هـ[٣] .

وفي أصحاب الكهف يقول تعالى: ﴿ **أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ**

(١) المرجع السابق، ص ١٣٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٣).

رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ (١) .

وفي سورة النمل يقول تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ (٢) .

وفي الآيات بيان ما أكرم الله به هذا الرجل الذي عنده علم من الكتاب، إذ أحضر لسليمان عرش بلقيس ملكة اليمن، قبل ارتداد الطرف، وهذا كرامة لـه، وقد اختلف في اسمه فقيل: إنه بليخا، وقيل: آصف كاتب سليمان، وقيل: كان صديقاً يعلم الاسم الأعظم وهناك أقوال أخرى (٣) .

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ٩-١١.

(٢) سورة النمل، الآيات: ٣٨-٤٠.

(٣) انظر: جامع البيان، لابن جرير (١٩/ ١٦٢-١٦٣)، وكرامات أولياء الله عز وجل، للألكائي، ص ٧١-٧٤.

قال ابن الربيع: «وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة والأخبار والآثار التي ملأت الآفاق، فضاقت عن حصرها الأوراق على وقوع كرامات الأولياء في كل عصر وزمان»أ. هـ، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار (١٤/ ١٨٤)، وانظر: لوامع الأنوار (٢/ ٣٩٤).

وأما السنة فقد تواترت [١] في ذلك، ومن ذلك حديث صاحب الحديقة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (بينا رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب، فأفرغ ماءه في حرة فإذا اشرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله...) [٢] .

وروى البخاري عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (أن رجلين خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة، وإذا نور بين أيديهما حتى تفرقا، فتفرق النور معهما) [٣] .

وفي حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (جاء أبو بكر بضيف له أو بأضياف له، فأمسى عند النبي ﷺ فلما جاء قالت أمي: احتبست عن ضيفك أو أضيافك الليلة، قال: ما عشيتهم؟ فقالت: عرضنا عليه أو عليهم فأبوا، أو فأبى فغضب أبو بكر فسبَّ وجدّع، وحلف لا يطعمه، فأختبأت

---

(١) انظر: لوامع الأنوار، للسفاريني (٢/ ٣٩٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب: «الزهد والرقائق»، باب: (الصدقة على المساكين)، رقم: ٢٩٨٤، (٤/ ٢٢٨٨).

(٣) رواه البخاري في كتاب: «فضائل الصحابة»، باب: (منقبة أسيد بن حضير وعباد بن بشر – رضي الله عنهما –)، رقم: ٣٥٩٤، (٣/ ١٣٨٤-١٣٨٥)، ورواه أيضاً في كتبا: «المساجد»، باب: (إدخال البعير في المسجد للعلة)، رقم: ٤٥٣، (١/ ١٧٧) عن قتادة به بنحوه.

وفي رواية عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذجاء ذكر اسم هذين الرجلين بأنهما أسيد بن حضير وعباد بن بشر – رضي الله عنهما – .

أنا، فقال: يا غنثر [١] ، فحلفت المرأة لا تطعمه حتى يطعمه فحلف الضيف أو الأضياف أن ألا يطعمه أو يطعموه حتى يطعمه، فقال أبو بكر: كأن هذه من الشيطان، فدعا بالطعام فأكل وأكلوا، فجعلوا لا يرفعون لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، فقال يا أخت بني فراس، ما هذا؟ فقالت: وقرة عيني إنها الآن لأكثر قبل أن نأكل، فأكلوا، وبعث بها على النبي ﷺ، فذكر أنه أكل منها) [٢] .

إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار التي يطول المقام في سردها [٣] ، وأما الإجماع فقد نص عليه الإمام النووي وغيره [٤] .

ثانياً: أن الشبهة التي تمسكوا بها، لا دليل فيها، لأن الولي لا يدعي النبوة ولا يتحدى، ولو فعل ذلك لكان متنبئاً كذاباً [٥] ، وهي أيضاً لا تصل إلى مقام

---

(١) هو «الثقيل الوخم، وقيل: الجاهل من الغثارة: الجهل»، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٨٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب: «الأدب»، باب: (قول الضيف لصاحبه: لا آكل حتى تأكل)، رقم: ٥٧٩٠، (٥/ ٢٢٧٤-٢٢٧٥)، ورواه في كتاب: «مواقيت الصلاة»، باب: (السمر مع الضيف والأهل٩، رقم: ٥٧٧، (١/ ٢١٦-٢١٧)، عن سليمان بأطول منه.

(٣) انظر: كرامات أولياء الله للألكائي، ودلائل النبوة للأصبهاني (٢/ ٤٩٨-٥٠٧)، الاعتقاد، للبيهقي ، ص ١٨٩-١٩٥، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص ٧٢ وما بعدها، مشكاة المصابيح (٣/ ١٦٧٤) وما بعدها)، طبقات الشافعية، للسبكي، (٢/ ٣٢٢-٣٣٤).

(٤) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ١٠٨)، وانظر: حدائق الأنوار ومطالع الأسرار (١/ ١٨٣).

(٥) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٩٨، ط. المكتب الإسلامي.

آيات الأنبياء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «أما الصالحون الذين يدعون إلى طريق الأنبياء لا يخرجون عنها فتلك خوارقهم من معجزات الأنبياء فإنهم يقولون: نحن إنما جعل لنا هذا باتباع الأنبياء، فهؤلاء إذا قدر أنه جرى على يد أحدهم ما هو من جنس ما جرى للأنبياء... فهذه الأمور هي مؤكدة لآيات الأنبياء، وهي أيضاً من معجزاتهم بمنزلة ما تقدمهم من الإرهاص، ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين، فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى مثل معجزات المرسلين...»أ. هـ[1] .

ثالثاً: إن من شرط ظهور الكرامة، أن يتصف صاحبها بصفات الأولياء كما ورد في قولـه تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾[2] ، فلا تظهر على مخالف لشرع الله، مرتكب لمحارمه، ولو ظهر على يده شيء من الخوارق لم تكن كرامة بل خوارق شيطانية من جنس أفعال السحرة والكهنة، إذن فلا التباس بين النبي والولي لأن الولي الصادق يكون داعياً إلى تصديق النبي[3] .

رابعاً: إن ما ذكروه من اشتباه الولي بالنبي – على حد زعمهم – يمكن

(١) النبوات، لابن تيمية، ص ١٩.

(٢) سورة يونس، الآيتان: ٦٢-٦٣.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٦٨-١٧٩)، طبقات الشافعية (٢/ ٣١٩-٣٢٠).

وقوعه لو لم تكن النبوة قد ختمت بسيد المرسلين، وبما أنها قد ختمت بسيد المرسلين فلا اشتباه، ولا يبقى لهذا البحث متعلق في هذه الأمة وإنما في الأمم السابقة [١] .

ومن هنا بطلت شبهتهم، ظهر فسادها، كما ذكر ذلك الإمام السفاريني [٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقولـه: «مع هذه الأدلة المتواترة، والوقائع المتكاثرة، فالإنكار لها مكابرة غير منظور إليه، ولا معول عليه، وزعمهم أن الخوارق لو جاز ظهورها من الأولياء لالتبس النبي بغيره... باطل المأخذ غير صالح للتمسك به، والتعويل عليه والالتفات له والمصير إليه حتى ولو لم تكن الأدلة بكرامات الأولياء طافحة والعيان والبيان والبراهين بها واضحة، فكيف والأدلة القرآنية والسنن النبوية والآثار السلفية والمشاهدات العيانية أكثر من أن تحصى وأجل وأعظم من أن تستقصى»أ.هـ[٣] .

---

(١) طبقات الشافعية، للسبكي (٢/ ٣٢٠-٣٢١).

(٢) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق ولد في سفارين (من قرى نابلس)، ورحل إلى دمشق فأخذ من علمائها، وعاد إلى نابلس فدرس وأفتى، وتوفي فيها عام ١١٨٨هـ، الأعلام ، للزركلي (٦/ ١٤).

(٣) لوامع الأنوار (٢/ ٣٩٤-٣٩٥).

الثاني: مكايد خاصة بنبينا محمد ﷺ ومنها:

١ - الزعم بأن محمداً ﷺ كان شاكاً في الوحي:

ومن الشبه الباطلة التي يلقيها إبليس - أخزاه الله - التشكيك في صحة الوحي الزعم بأن محمداً ﷺ كان شاكاً في الوحي، واستندوا في ذلك إلى قولـه تعالى:﴿ **فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ** ﴾[١]

إن المراد بالخطاب: «للنبي ﷺ والمراد غيره، أي لست في شك، ولكن غيرك في شك» [٢] .

وقيل: إن المراد بالشك هنا ضيق الصدر، والمعنى إن ضاق صدرك بتكذيب المكذبين فسأل أهل الكتاب من قبلك ليخبروك بصبر الأنبياء من قبلك، وجزاء المكذبين، واستدلوا بمعنى الشك في اللغة وإن أصله الضيق [٣] .

وقيل: إن الخطاب للنبي ﷺ ولكن ليس المراد أنه شاك فيما جاءه بل روى أئمة التابعين كالحسن وسعيد بن جبير وقتادة في تفسير هذه الآية قولهم: ما

---

(١) سورة يونس، الآية: ٩٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٨/ ٣٨٢).

(٣) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

شك وما سأل[١] .

كما أنه ليس فيها دليل على وقوع السؤال، وإنما هذا الخطاب جاء على عادة العرب في مخاطباتهم كقول القائل: إن كنت مملوكي فانته إلى أمري، وقول القائل لابنه: إن كنت ابني فبرني، مع عدم شكه في بنوته[٢] .

وليس فيها دليل على وقوع الشك فالأمر بالسؤال عند وجود الشك ولا يعني ذلك أن عنده شكا [٣] .

وفي الآية دليل على أن لدى أهل الكتاب ما يثبت صدقك فيما كذبك به المشركون، فموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دعا لعبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه. إذن فالدعوة إلى التوحيد ليست دعوة جديدة حتى يستنكرها المشركون، قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [٤]، قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[٥] .

---

(١) انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري (١١/ ١٦٨).

(٢) انظر: المرجع السابق (١١/ ١٦٩).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٦/ ٣٢٥).

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٤٥.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

كما أن سؤال أهل الكتاب لمعرفة الصفات والبشارات بنبوة محمد ﷺ [١] ، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [٢] .

كما أن أهل الكتاب يعلمون أن الرسل من قبل محمد – عليهم وعلى نبينا صلوات الله وسلامه – كانوا بشراً ولم يكونوا ملائكة كما زعم المشركون.

ومن الآيات التي يستندون إليها في تقرير هذا المعنى، قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [٣] .

يقول القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«المعنى أنتم الضالون حين أشركتم بالذي يرزقكم من السموات والأرض... و (أو) عند البصريين على بابها وليست للشك، ولكنها على ما تستعمله العرب في مثل هذا إذا لم يرد المخبر أن يبين وهو عالم بالمعنى»أ. هـ [٤] .

---

(١) انظر: الجواب الصحيح، لابن تيمية (١/ ٣٣٤-٣٤٠).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٢٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٤/ ٢٩٩).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«وهذا من الإنصاف في الخطاب الذي كل من سمعه من ولي وعد وقال لمن خوطب به: قد أنصفك صاحبك كما قال العادل الذي ظهر عدلـه للظالم الذي ظهر ظلمه: الظالم إما أنا وإما أنت، لا للشك في الأمر الظاهر، ولكن لبيان أن أحدنا ظاهر الظلم، وهو أنت لا أنا، إنه إذا قيل: أهل التوحيد الذين يعبدون الله على هدى، أو في ضلال مبين، وأهل الشرك الذين يعبدون ما لا يضر ولا ينفع على هدى أو في ضلال مبين أن أهل التوحيد على الهدى، وأهل الشرك على الضلال...»أ. هـ[1] .

٢- الزعم بأن الوحي كان نابعاً من نفسه ﷺ وتصوراته وأوهامه:

وهي شبهة تثار في القديم، والحديث فقد تمسك بها المشركون وذكرها لنا تبارك وتعالى في محكم التنزيل، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا

(١) الجواب الصحيح، لابن تيمية (١/ ٨٧).

تَعْقِلُونَ ﴾ [١] .

ويقول تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [٢] .

وفي العصر الحديث نجد بعض المستشرقين تلقف هذه الشبهة الجاهلية، فنسبوا هذا الوحي لشخص محمد ﷺ وتجاهلوا الحقيقة، وأعرضوا عن الحق الذي يعرفونه.

يقول جولد تسيهر [٣]: «وكان قد بلغ الأربعين من عمره [يقصد النبي محمداً ﷺ] وأخذ يقضي وقته على ما تعود من الخلوة في الغيران المجاورة للمدينة حيث كان نهباً للأحلام القوية، والرؤى الدينية وتملكه شعور بأن الله يدعوه بقوة تزداد شيئاً فشيئاً ليذهب إلى قومه منذراً إياهم بما يؤدي بهم ضلالهم من الخسران المبين، وبكلمة واحدة، أحس بقوة لا تستطيع لها مقاومة تدفعه إلى

---

(١) سورة يونس، الآيتان: ١٥-١٦.

(٢) سورة الطور، الآيتان: ٣٣-٣٤.

(٣) جولد تسيهر (اجنتس) ولد سنة ١٨٥٠م في بلاد المجر من أسرة يهودية، درس في بودابست السنين الأولى، ثم ذهب إلى برلين، ثم انتقل إلى جامعة ليبتسيك وتتلمذ على يد فليشر وهو من كبار المستشرقين، ثم حصل على الدكتوراه عام ١٨٧٠م، أقام في القاهرة مدة ثم سافر إلى سوريا وفلسطين، عني بالدراسات العربية عامة والإسلامية خاصة، عين أستاذاً للغات السامية عام ١٨٩٤م في بودابست واستمر في بحوثه، ومؤتمراته الخاصة بالإستشراق حتى كانت وفاته سنة ١٩٢١م، انظر: موسوعة المستشرقين ١٩٧-٢٠٣.

أن يكون مربياً لشعبه، أي منذرة ومبشرة»أ.هـ [١] .

ويظهر بطلان هذه الشبهة بأمور منها:

١- عجزهم عن الإتيان بمثله مع تحديهم بذلك حيث جاء التحدي في عدة آيات من كتاب الله العزيز:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [٢] .

ففي قولـه تعالى: ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ تحد ظاهر، ثم في قولـه تعالى: ﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ تحد ثان وأيضاً في قولـه تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ ﴾ تحد ثالث، مع اشتماله على الخبر عن المستقبل بعجزهم فكان كما أخبر، وهذا لا يمكن الجزم به إلا ممن يعلم السر وأخفى، وهو الواحد الحق المبين، فدل على أن هذا قولـه [٣] .

---

(١) العقيدة والشريعة، ص٧ .

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣-٢٤.

(٣) انظر: إثبات نبوة النبي ﷺ، لأحمد الزيـدي، ص ٢٢، لوامـع الأنـوار، للسـفاريني (١/ ١٧١-١٧٢).

الثانية: قولـه تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (١) .

ففي هاتين الآيتين وقع التحدي في قوله تعالى:

قولـه تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ .

وقولـه: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ ، فلم يستطع بشر أن يأتي بمثله.

وقولـه: ﴿ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ، وهذا قمة التحدي.

الثالثة: في قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (٢) .

الرابعة: في قوله تعالى:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (٣) .

---

(١) سورة يونس، الآيتان: ٣٧-٣٨.

(٢) سورة هود، الآيتان: ١٣-١٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

==

وهذا لا يمكن صدوره من مخلوق، إذ مبناه على علم ما سيكون، لا سيما من بني يدعو قومه إلى عبادة الله جل وعلا، وإثبات صدقه، مع تكذيبهم لـه، ووصفه بالكذب، فعلم أن ذلك من عند الرب سبحانه وتعالى.

الخامس: في قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[1].

= =

* هذا العجز عن الإتيان بمثل هذا القرآن يشمل الجن والإنس فإن قيل: كيف لنا معرفة عجز الجن؟! فالجواب من عدة أوجه:

منها: إن الله عز وجل أخبر بعجز الجن والإنس جميعاً مع اتحادهما، والافتراق من باب اولى.

ومنها: إنه قد رويت أشعار للجن، وقد حفظت وهي لا تتجاوز ما عند الإنس بل قد تضعف عنها.

ومنها: ما ذكره تعالى في القرآن من تعجب الجن لهذا القرآن في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾، الأحقاف: الأيتان: ٢٩-٣٠.

وقولـه تعالى:﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾، سورة الجن، الآية: ١.

ومن خلال هذه الأوجه تبين عجزهم.

انظر: إعجاز القرآن، للباقلاني، ص ٦٥، المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٨٣)، للحليمي، تحقيق حلمي فودة، دار الفكر، ط. الأولى، ١٣٩٩هـ، البرهان في علوم القرآن، للزركشي ـ (٢/ ١١١)، دار المعرفـة، بيروت.

(١) سورة القصص، الآيتان: ٤٩-٥٠.

ففي قولـه تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ ، تحدٍ، وفي قولـه تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ تحد ثان، إذ هو تقريع وزجر لهم بتركهم الاستجابة مع عجزهم، وفي قولـه تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ تحد ثالث.

السادس: في قولـه تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴾ [1] .

وهذه الآيات قد وقع فيها التحدي ظاهراً جلياً، وأما ما وقع فيه التحدي ضمناً فكثيرة جداً[2] ، وهذا بمجموعه يقوي الدوافع، ويشحذ الهمم[3]، ومع ذلك عجزوا[4].

---

(١) سورة الطور، الآيتان: ٣٣-٣٤.

(٢) كما فيس سورة يونس، الآيتان: ٤٢-٤٣، وسورة الرعد، الآية: ٣١، وسورة العنكبوت، الآية: ٥١، وسورة الحشر الآلآية: ٢١.

(٣) انظر: إثبات نبوة النبي ﷺ، لأحمد الزيدي، ص ٢٢-٢٥، تحقيق: خليل أحمد إبرهيم، ط. الأولى، ١٣٩٩هـ/ ١٩٨٨م، نشر دار الكتاب العربي.

(٤) عد بعض العلماء الصرفة نوعاً من الإعجاز كأبي القاسم التيمي في كتاب: «الحجة على تارك المحجة»، (١/ ٣٥٠)، وأبي الحسين الزيدي، في كتاب: «إثبات نبوة محمد ﷺ »، ص ٢٨، حيث قال: «ويكفى في آية واحدة من آيات التحدي أن يقرع أسماعهم فكيف يصح أن يقال: إنها تبلغهم، إلا أن يكون الله تعالى صرفهم عن سماعها ولئن جاز ذلك فالصرف من عظيم المعجزات»أ. هـ.

وقد قال به بعض المتكلمين ومن أشهر من عرف عنه هذا القول النظام من المعتزلة حيث زعم «أن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته ليس بمعجزة للنبي ﷺ ولا دلالة على صدقه في دعواه النبوة... وإنما

= =

ومما يدل على عجزهم أمران:

الأول: أنهم لو استطاعوا ذلك لنقل، واستفاض، لأنه مما توافر الدواعي على نقله، ولا يمكن كتمانه.

= =

وجه الدلالة منه على صدقه ما فيه من الإخبار عن الغيوب، فأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته فإن العباد قادرون على مثله وعلى ما هو أحسن منه في النظم والتأليف...»أ. هـ، الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ١٢٨، وانظر: الانتصار، للخياط، ص ٦٨، وكذلك أبو المعالي الجويني (انظر: العقيدة النظامية، ص ٧٣-٧٤).

وبعض القدرية وابن حزم الأندلسي انظر: الفصل في الملل والنحل، (٣/ ٢٧-٢٩). ومعنى هذا القول إبطال إعجاز القرآن في النظم والتأليف والفصاحة والبلاغة والزعم بأن عجز العرب عن معارضته لأن قدرهم سلبت، ولأنهم صرفوا عن ذلك الآخر، انظر: أعلام النبوة، للماوردي، ص ٧٢، مباحث في إعجاز القرآن، لمصطفى مسلم، ص٥٧.

وهذا القول من أضعف الأقوال وأفسدها كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ انظر: الجواب الصحيح (٤/ ٧٥).

وانظر: في إفساد هذا الرأي:

الاتقان في علوم القرآن (٢/ ٢٥٥-٢٥٦)، الخصائص الكبرى، للسيوطي (٦/ ١٩٤)، دار الكتب العلمية، بيروت، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١/ ٦٦)، إعجاز القرآن، للباقلاني (٥٢/ ٥٣)، وص ١٧٥-١٩٦، لوامع الأنوار للسفاريني (١/ ١٧٤)، الشفا، للقاضي عياض (١/ ٣٧٣، ٥٣٠)، أعلام النبوة للماوردي، ص ٧٢ وما بعدها، الرسالة الشافية في وجوه الإعجاز، للجرجاني، (٦١١-٦١٦)، البداية والنهاية، لابن كثير (٦/ ٨١)، إعجاز القرآن، للرافعي ٥٣-٥٤، ١٤٦ وما بعدها، المعجزة الكبرى، لمحمد أبو زهرة (٧٩-٨٥)، مناهل العرفان، للزرقاني (٢/ ٣١٠-٣١٢)، و(٢١٠-٢١٦)، إظهار الحق، لرحمن الله الهندي (٣/ ٧٩٨-٨٠٠)، مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص ٥٧-٦٢).

الثاني: إنهم لو استطاعوا معارضته، لكان في ذلك حجة لهم في إبطال رسالته، ولما احتاجوا مع ذلك على سفك الدماء، وإزهاق الأرواح وبذلك الأموال، وسبي الذرية.

ولو لم يتيقن عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعجزهم، لما تحداهم به، لا سيما وهم أمم كثيرة، وهم أهل الفصاحة والبلاغة، فدل ذلك على يقينه إذ ذلك مما لا يكون في استطاعتهم [١] .

وللعلماء أقوال كثيرة في أوجه إعجاز القرآن أجملها فيما يلي [٢] :

---

(١) انظر: إعجاز القرآن، للباقلاني، ص ٤٣، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، أعلام النبوة، للماوردي، ص ٧١، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، شمائل الرسول، لابن كثير، ص ١٢٧، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار القبلة.

قال الباقلاني: وقد ادعى قوم أن ابن المقفع عارض القرآن، وإنما فزعوا إلى الدرة اليتمية، وهما كتابان: أحدهما يتضمن حكماً منقولة، توجد عند حكماء كل أمة... فليس فيها شيء بديع من لفظ ولا معنى، والآخر في شيء من الديار، وقد تهوس به مما لا يخفى على متأمل، وكتابه الذي بيناه في الحكم، منسوخ من كتاب بزر جمهر في الحكمة فأي صنع له في ذلك وأي فضيلة حازها؟... فليس يوجد كتاب يدعي مدع أنه عارض فيه القرآن، بل يزعمون أنه اشتغل بذلك مدة، ثم فرق ما جمع واستحيا لنفسه من إظهاره...»أ، هـ، إعجاز القرآن، ص ٥٦.

(٢) انظر: إعجاز القرآن، للباقلاني (٥٧-٦١)، إثبات نبوة النبي ﷺ، لأبي الحسين الزيدي، أعلام النبوة، للماوردي (٥٨-٨٣)، الشفا، للقاضي عياض (١/ ٣٥٨-٣٩٦)، الإعلام، للقرطبي (٣/ ٣٢٣-٣٤٧)، الشمائل، لابن كثير(١٢٦-١٣٥)، البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢/ ٩٠-١١٧)، بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي (١/ ٦٥)، والإتقان، للسيوطي (٢/ ٢٥٢-٢٧٠)، إعجاز القرآن، للرافعي، ص ٥٦ وما بعدها، مباحث في علوم القرآن، للشيخ مناع القطان، ص ٢٥٧-٢٧٥.

= =

الأول: إعجازه من حيث البيان والبلاغة، وعجيب التأليف والتبيان ويظهر من خلال:

١- من حيث الجملة، فهو مباين للمألوف من كلام البشر، على اختلاف أوجه نظمه.

٢- إنه من طوله قد بلغ أرقى مراتب الفصاحة في جميع سوره وآياته.

٣- عجيب نظمه، وتآلف أجزائه، مع اختلاف موضوعاته، ففيه الوعد والوعيد والترهيب والترغيب، وفيه القصص والسير وفيه التشريع والأحكام ومع هذا لا تنافر ولا اختلاف.

٤- كثرة المعاني مع الإيجاز، وتأمل قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١) .

وتأمل قوله تعالى:﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾(٢)، «فهي جامعة لجميع مكارم الأخلاق» (٣) .

= =

قال الفيروزآبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «هذه أربع كلمات وستة عشر حرفاً تتضمن ما ينيف على ألف ألف مسألة، قد تصدى لبيانها علماء الشريعة... حتى بلغوا ألوفاً من المجلدات، ولم يبلغوا بعد كنهها وغايتها»أ. هـ، بصائر ذوي التمييز (١/ ٦٩).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٣) بصائر ذوي التمييز (١/ ٧١).

الثاني: ما اشتمل عليه من الإخبار بأمور الغيب مما لا يمكن لبشر الاطلاع عليه، مثل قولـه تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾ (١)، فوقع كما أخبر.

قولـه تعالى: ﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحًا قَرِيبًا ﴾ (٢).

الثالث: ما احتوى عليه من أخبار الأمم البائدة وقصصهم مما لا يمكن العلم به ولا يوجد منه إلا أخبار يسيرة، عند بعض علماء أهل الكتاب على ما فيها من تحريف ونقص ونسبة الأفعال المشينة إلى الأنبياء – عليهم صلوات الله وسلامه –.

الرابع: ما تضمنه من الإخبار بما تكنه الضمائر، كما في قوله تعالى: ﴿ إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا ﴾ (٣)، وقولـه: ﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ ﴾ (٤).

الخامس: المهابة والخشية التي تلحق بالقلوب عند تلاوته، تأثيره في النفوس

---

(١) سورة الروم، الآية: ١-٣.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٢.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ٨.

وعدم الملل من ترداده وتكراره، مما كان سبباً في إسلام عدد من الصحابة.

السادس: الإعجاز في تشريعاته، وأحكامه، التي فاقت جميع النظم والقوانين

السابع: حفظ الله تعالى لـه، فلا يمكن لبشر أن يزيد فيه أو ينقص ولو رام ذلك مخلوق، لانكشف ذلك للعيان من سائر الناس.

الثامن: إعجازه العلمي، وهذا يظهر من خلال دعوته للإنسان بالنظر والتأمل وحثه على التفكير في خلق الله، قال تعالى: ﴿ **قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ** ﴾ (١).

٣- دعوى الأخذ من الديانات السابقة:

وأنه ﷺ نقل القرآن من كتب أهل الكتاب وقد تعلق بهذه الشبهة عدد من المستشرقين واستندوا في مزاعمهم تلك إلى شبه واهية منها:

أوجه التشابه بين الإسلام وبين الديانات الأخرى كاليهودية والنصرانية والمجوسية، بل وحتى الوثنية.

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٠١.

* يقول موريس بوكاي: «لقد أذهلتني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظواهر، وهي تفاصيل لا يمكن أن تدرك إلا في النص الأصلي، أذهلتني مطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن نفس هذه الظواهر والتي لم يكن ممكناً لأي إنسان في عصر محمد أن يكون عنها أدنى فكرة...»أ. هـ، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص ١٤٤-١٤٥، تأليف: موريس بوكاي، دار المعارف، ط. الرابعة، ١٩٧٧م.

أن هذه الديانات كانت موجودة في جزيرة العرب.

وجود علاقات شخصية بين محمد ﷺ وبعض النصارى كورقة بن نوفل [١] ، وبحيرا الراهب وغيرهما [٢] .

يقول جولد تسهر: «لقد أفاد [يقصد النبي ﷺ] من تاريخ العهد القديم، وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء، ليذكر على سبيل الإنذار والتمثيل بمصير الأمم السالفة، الذين سخروا من رسلهم الذين أرسلهم الله لهدايتهم ووقفوا في طريقهم»أ. هـ [٣] .

ويقول أيضاً: «لقد كان فيما مضى يعترف بأن الصوامع والبيع والصلوات تعتبر أمكنة عبادة حقيقية...، لكن الأمر تغير بعد هذا، كما صار رهبان المسيحيين وأحبار اليهود موضع مهاجمة منه، وقد كانوا في الواقع أساتذة له...»أ. هـ [٤] .

---

(١) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزي من قريش: حكيم جاهلي، اعتزل الأوثان قبل الإسلام، وامتنع من أكل ذبائحها وتنصر، وقرأ كتب الأديان، وهو ابن عم خديجة زوج النبي ﷺ ، صدق النبي ﷺ وآمن به سئل عنه رسول الله ﷺ فقال: يبعث يوم القيامة أمة وحده، انظر: الإصابة (٦/ ٣١٧-٣١٨)، الأعلام، للزركلي (٨/ ١١٤-١١٥).

(٢) انظر: آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره، د. عمر رضوان، (١/ ١٠٠، ١٠٤، ١١٣)، (١٢٦-١٢٧)، (١/ ١٣٨).

(٣) العقيدة والشريعة، ص ٩.

(٤) المرجع السابق، ص ١٣-١٤، وانظر: ص ١٨.

وفي الأخذ من الوثنية الجاهلية يقول أيضاً: «وفيما يتعلق بشعائر الحج التي نظمها، أو على الأحرى احتفظ بها من بين تقاليد الوثنية العربية...»أ. هـ[١].

وقد فند الله دعواهم تلك في كتابه العزيز في قولـه تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «معلوم أن من يعلم من غيره إما أن يأخذ تلقيناً وحفظاً، وإما أن يأخذه من كتابه، وهو لم يكن يقرأ شيئاً من الكتب من حفظه، ولا يقرأ مكتوباً، والذي يأخذ من كتاب غيره إما أن

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٣، ومن العجيب أن بعض المسلمين يحسنون الظن بهؤلاء المستشرقين، فنجد مثلاً أن من ترجم كتب «جولد تسهر» يثني عليه ويلقبه بالعلامة!! وقولهم في مدحه: «ومما لا ريب فيه كذلك أنه بهذا التراث الذي خلفه وبهذين الكتابين بصفة خاصة، يعتبر فيما نرى في المرتبة الأولى من المستشرقين، من أعظم من تناول الإسلام ومذاهبه وعلومه الأصلية بالدرس والبحث المستفيض، كما أنه لذلك أيضاً يعد من كبار المستشرقين الذين فهموا – بقدر ما وسعهم – الإسلام وروحه وتعاليمه ومذاهبه...»أ. هـ، ولا أدري أي فهم للإسلام ذلك الذي فهمه وهو ينكر الوحي، ويزعم أن القرآن مستمد من اليهودية والنصرانية...!! وبهذا وحده يمكن أن يهدم الإسلام من أساسه فكيف وله من الشبهات، والافتراءات ما ملأ به كتابه هذا وغيره من مؤلفاته وهم بزعمهم هذا يهدفون إلى أمرين:

١ – محاولة إثبات أن الإسلام ليس ديناً مستقلاً وإنما هو مزيج من اليهودية، النصراية، وأن محمداً ﷺ لم يكن ليهتدي إليه بفطرته، وهذا لا يكاد يغفله مستشرق تكلم عن الإسلام.

٢ – الدعوة إلى النصرانية، وإنها الديانة السماوية الصحيحة، انظر: الوحي المحمدي د. عبدالجليل شلبي، ص ١٩٩.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

يقرأه، وإما أن ينسخه، وهو لم يكن يقرأ ولا ينسخ» (١) .

وفي قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَـٰبٞ مُّبِينٞ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (٣) .

يقول الشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «إن هذه المعلومات المحمدية التي تصورها هؤلاء المحللون لمسألة الوحي قليلة المواد، ضيقة النطاق عن أن تكون مصدراً لوحي القرآن، وإن القرآن لأعلى وأوسع وأكمل من كل ما كان يعرفه مثل بحيرا، ونسطور، وكل نصارى الشام، ونصارى الأرض ويهودها، دع الأعراب الذين كان يمر بهم النبي ﷺ بالطريق إلى الشام» أ. هـ (٤) .

وهذه الأمية التي كان متصفاً بها – عليه صلوات الله وسلامه – قبل مبعثه

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٤/ ٣١).

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٩.

(٤) الوحي المحمدي، لمحمد رشيد رضا، ص ١٢٦.

كانت من أجل معجزاته ويظهر جلال هذه المعجزة من عدة جوانب منها:

١-أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان يقرأ عليهم كتاب الله سبحانه وتعالى مرة تلو مرة ولم ينقل منه أنه غير أو بدل شيئاً مما كان قاله سابقاً وهذه بحد ذاتها معجزة، إذ لا يمكن لأحد من البشر أن يخطب خطبة أو يتفوه بكلمات ثم يعيدها أخرى إلا زاد أو نقص عليها.

٢-إن أميته هذه علامة لصدقه إذ لو كان قارئاً قبل ذلك لا تهم بأن هذا الكتاب نقله ممن سبقوه.

٣-إنه جمع بين أمرين متضادين ففي الوقت الذي أتى بهذه المعجزة العظيمة التي عجز عن الإتيان بمثلها جميع البشر، بل وحتى الإتيان بعشر آيات منها، وهو في الوقت نفسه لم يتعلم الخط والكتابة مع سهولتها وبساطتها وإدراك ضعاف العقول لها، فكأن ذلك جار مجرى الجمع بين الضدين [1] .

وأما لقاؤه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعلماء أهل الكتاب ومعرفته الشخصية ببعضهم فقد ثبت في السير أنه ما رحل إلى الشام سوى مرتين، فأما الأولى فكانت مع عمه أبي طالب، وهو طفل كما روى الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي ﷺ

(١) انظر: تفسير الرازي (١٥/ ٢٤)، تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٢٩٧-٢٩٩)، أمية الرسول محمد ﷺ، د. قحطان عبدالرحمن الدوري (٢٧-٣٠).

في أشياخ قريش فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب، وكان قبل ذلك يمرون فلا يخرج إليهم ولا يلتفت [قال فهم يحلون رحالهم] فجعل يتحللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ فقال هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال لـه أشياخ: من قريش ما علمك؟ فقال: إنكم أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خرَّ ساجداً، ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به فكان هو في رعية الإبل فقال أرسلوا إليه فأقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه، قال: فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه، فالتفت فإذا بسبعة قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم، فقال: ما جاء بكم. قالوا: جئنا إن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس وإنا قد أخبرنا خبره بعثنا إلى طريقك هذا، قال: هل خلفكم أحد هو خير منكم، قالوا: إنما أخبرنا خبره بطريقك هذا، قال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا، قال: فبايعوه وأقاموا معه، قال: أنشدكم بالله أيكم وليه؟ قالوا: أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده أبو

طالب وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت»[١] .

ولقد كان عمر النبي ﷺ في هذه الرحلة تسع سنين كما روى ذلك ابن جرير، وقيل: اثنتا عشرة سنة [٢] .

وأما الرحلة الثانية فقد رواها ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره بسنده قال: (كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي امرأة تاجرة، ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه بشيء تجعل لهم منه، وكانت قريش قوما تجارا، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته، وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال لـه ميسرة فقبله منها رسول الله ﷺ فخرج في مالها ذلك، وخرج معه

---

(١) رواه الترمذي في كتاب: «المناقب»، باب: (ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ)، رقم: ٣٦٢٤، (٦/ ٢٤٣-٢٤٤)، وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه» أ. هـ، ورواه ابن جرير بنحوه بطرق عدة في التاريخ (٢/ ٣٦٣-٣٦٦)، وابن إسحاق في السيرة (١/ ٢٣٦)، ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٧٢)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»أ. هـ، ورواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٢٤-٢٩)، ورواه ابن سيد الناس في عيون الأثر (١/ ١٠٥-١٠٨)، وقال الحافظ في الإصابة: «الحديث رجاله ثقات، وليس منه منكر سوى اللفظ، فيحتمل أنها مدرجة فيه من حديث آخر وهما من أحد رواته» وقال ابن سيد الناس: «ليس في إسناد هذا الحديث إلا من خرج له في الصحيح»، عيون الأثر (١/ ١٠٨).

(٢) انظر: تاريخ الأمم والملوك (١/ ٥٢١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ، وعيون الأثر (١/ ١٠٥).

غلامها ميسرة، حتى قدما الشام، فنزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان، فأطلع الراهب رأسه إلى ميسرة فقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي، ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلاً على مكة، ومعه ميسرة، فكان ميسرة – فيما يزعمون – إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس، وهو يسير على بعيره، فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به فأضعفت، أو قريباً من ذلك وحدثها ميسرة عن قول الراهب، وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه، وكانت خديجة امرأة حازمة لبيبة شريفة، مع ما أراد الله بها من كرامته فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها، بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت لـه: – فيما يزعمون – يا ابن عم، إني قدر رغبت فيك لقرابتك وسطتك في قومك، وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها...) [1] .

ومن خلال هذه الروايات يتبين أن رسول الله ﷺ لم يتعلم من أهل الكتاب شيئاً والأدلة على ذلك ما يلي:

---

(١) تاريخ الأمم والملوك (٢/ ٣٦٧-٣٦٨)، ورواه ابن إسحاق في السيرة، انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٤٤-٢٤٥)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٦٥-٦٧)، وابن سيد الناس في عيون الأثر (١/ ١١٥-١٢٠)، البداية والنهاية (٢/ ٢٩٤).

الأول: إن رسول الله ﷺ عندما ذهب في المرة الأولى كان صغيراً مع عمه أبي طالب وهو لا يفقه شيئاً من أمور أهل الكتاب، وفي المرة الثانية كان مشغولاً بالتجارة، وفي كلا السفرتين كان معه شاهد، في الأولى عمه أبو طالب، وفي الثانية ميسرة غلام خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ولو وقع شيء من ذلك لنقلاه لنا، واستفاض، كما أن القافلة بها عدد كبير من الرفاق الذين لا يخفى حال بعضهم عن بعض، فلو اعتزل محمد ﷺ ليطلب علم أهل الكتاب لشاع ذلك.

الثاني: إن بحيرا الراهب بشر بنبوة محمد ﷺ فلو أن محمداً ﷺ أخذ منه لم ينسب النبوة له، ولكان هو أولى بالنبوة والرسالة.

الثالث: إنما مما يستحيل في العادة أن يبرز عالم في علم من العلوم، ما لم يكثر الترداد على العلماء والأخذ منهم، والصبر على تلقي العلم، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ لم يتردد على هؤلاء الأحبار والرهبان ولا جالسهم، وهو أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وهذا دليل قاطع على أن العلم الذي تعلمه والوحي الذي جاء به إنما هو من عند الله قطعاً وجزماً.

الرابع: أما ورقة بن نوفل فحديثه في البخاري [1] وهو دليل على نبوة محمد ﷺ إذ شهد له بالنبوة، وأن قومه سيخرجونه، فحصل ما قال فهذا دليل

---

(١) رواه البخاري في كتاب: «بدء الوحي»، باب: (كيف كان بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ)، رقم: ٣، (١/ ٥٠٤)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

على علمه السابق بصدق نبوة محمد ﷺ مما قرأه من مبشرات خروجه في كتب النصارى.

بل تأمل قولـه: (وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً) ، حيث أعلن النصرة والمتابعة.

الخامس: قد دلت النصوص على أنه لا يوجد بين رسول الله ﷺ وبين ورقة بن نوفل أي صلة قبل الوحي، ولم يطرأ على بال محمد ﷺ أن يذهب إليه وبخبره، وإنما كان ذلك من اقتراح خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لعلمها بابن عمها وإن لديه علم الكتاب.

السادس: جاء في الحديث (ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي) فالنص دليل على أن موت ورقة كان سريعاً بعد نزول الوحي بفترة وجيزة، إذن فكيف آن لهذه الدعوة أن تستمر وتؤتي ثمارها على مدى خمسة عشر قرناً؟!

السابع: لم يؤثر عن ورقة أنه كان داعية إلى النصرانية، إنما المعروف أنه كان رجلاً حريصاً على معرفة دين الله الصحيح ليتعبد به فاعتنق لذلك النصرانية.

الثامن: إننا نعلم شدة عداوة أهل الكتاب للنبي ﷺ وكتمانهم لأدلة نبوته عندهم، ومحاولتهم التشكيك والطعن في نبوته فلو علموا شيئاً من ذلك لأظهروه.

التاسع: إن هذا لم يتم ولو تم لنقل لنا، وإذ لم ينقل لم يصح ادعاؤه، لأن

الدعوى لا بد لها من دليل، ولا دليل هنا بل الأدلة بخلافه.

العاشر: إن المتأمل لحياة العرب في مكة، يجد ذلك المجتمع الصغير، الذي لا يكاد يخفى بعضه على بعض، كما يلحظ اجتماعاتهم المستمرة في المسجد الحرام، فهل كان سيخفى أمر سفر النبي ﷺ إلى الشام، وتكرار ذلك، وهو الشاب المعروف بين أهل مكة.

الحادي عشر: هل يعقل أن يكون هذا الدين بكماله وتعاليمه، مستمداً من دين محرف [1] كتمه أهله، وحرفوه وأعرضوا عن تعاليمه، فكيف يلحق الكامل بالناقص؟

الثاني عشر: إن قصص الأنبياء عند أهل الكتاب في غاية الوقاحة، إذ نسبوا إلى الأنبياء كثيراً من الفضائح التي يترفع عنها عامة الناس ومن الأمثلة على ذلك، ما جاء في سفر التكوين، الإصحاح التاسع: «٢٠- وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً، ٢١- وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه، ٢٢- فابصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أبيه وأخبر أخويه خارجا...»[2]

وفي سفر التكوين - أيضاً - الإصحاح التاسع عشر في ذكر قصة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ : «٢٠- وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنه

(١) انظر: أمثلة التحريف، ص ١٨٠-١٨٣.

(٢) سفر التكوين، الإصحاح التاسع الفقرة (٢٠/ ٢٥).

خاف أن يسكن صوغر، فسكن في المغارة هو وابنتاه، ٢١- وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، ٢٢- هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه، فنحيي من أبينا نسلاً، ٢٣- فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، ٢٤- وجدت في الغد البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي نسقيه خمراً الليلة أيضاً فأدخلي اضطجعي معه، فنحيي من أبونا نسلاً، ٢٦- فحبلتا ابنتا لوط من أبيهما»[١]!!.

فهل يليق أن يصدر هذا من الأنبياء – عليهم صلوات الله وسلامه – وهذا غيض من فيض مما لديهم من ذلك [٢] – أخزاهم الله – .

فأين هذا من قصص القرآن الكريم.

و«جولد تسهر» عندما ادعى ذلك لم يأت بدليل واحد بين صدق دعواه، ولهذا يحاول أهل الكتاب إثبات أن محمداً ﷺ كان يعرف القراءة والكتابة، وما شاع عن أميته غير صحيح، بل هو لإظهار معجزته، ونصوص الوحي ترد عليهم، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى

(١) سفر التكوين، الإصحاح التاسع عشر، الفقرة (٢٠-٢٦).

(٢) للاستزادة انظر: إظهار الحق، لرحمت الله الهندي (٣/ ٨٣٥-٨٣٦)، والأسفار المقدسة في الأديان السابقة، د. علي عبدالواحد، من ص ٤٨-٦٢.

يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (١) .

الثالث عشر: إنه قد علم حالة المجتمع الجاهلي قبل بعثة الرسول ﷺ وحالتهم السيئة التي يعيشونها وفشو الجهل وفساد الأخلاق، وفي هذا الوسط يبرز أحد الأفراد فيأتي بعلم الأولين والآخرين، ويشرع الشرائع، ويبين الأحكام، وهذا مما يستحيل في العادة، وفي ذلك إثبات صدق الوحي والرسالة.

الرابع عشر: إن المشركين عندما راموا الطعن في النبوة والوحي، نسبوا هذا إلى رجل أعجمي يعمل حداداً وهذا مبلغ السخف والظرافة، وهو يصور مدى العداوة لنبي الأمة وخاتم المرسلين، ولهذا أنكر الله تعالى عليهم بقوله: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٢) ، ولم يقولوا في زعمهم هذا أنه تعلم من علماء أهل الكتاب!!

الخامس عشر: إن القطع بأن محمداً ﷺ لم يتلق ذلك من بشر يحصل عن

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

طريقين:

١- قومه ومجتمعه الذي عاش فيه، وسبق بيان ذلك في الأدلة السابقة.

٢- أما من لم يعش في زمنه، فعلمه به من عدة طرق:

أ-ما تواتر من أحواله وسيرته الذاتية منذ مولده إلى وفاته ﷺ وكلها معلومة لدينا، فكيف خفي هذا الأمر مع أهميته إنه ﷺ أخبر بأمور لم يكن يعلمها أهل الكتاب ولا غيرهم كقصة عاد وثمود، وصالح، وإنزال المائدة، وإيمان امرأة فرعون، وكثير من تفاصيل سير الأنبياء، مما هو مجمل عند أهل الكتاب.

ب-ما علم من شدة العداوة لـه ﷺ من قبل قومه، ومن قبل أهل الكتاب، ولو وقع ذلك قال قائلهم: «إنما تعلم ذلك منا وعن طريقنا».

ج-إن هذا الأمر مما تتوافر الدواعي على نقله، ولو كان هناك تواطؤ على كتمانه لعلمه المقربون منه ﷺ وهل يظن ظان أن هؤلاء الصحابة سيتحملون هذه المشاق والعذاب والهجرة، وترك الأوطان مع علمهم وتكذيبهم باطناً بهذا الرسول، وهو في الوقت نفسه لم يعطهم مالاً ولا جاهاً، ولا قصوراً، بل أخرجهم من أوطانهم وأهليهم، ومعلوم أن الحيلة والفطرة تأبى أن تتبع كاذباً قد علم كذبه.

السادس عشر: ثبت في القرآن والسنة أن أهل الكتاب كانوا يسألون النبي ﷺ في الأمور الغيبية، كما قال تعالى: ﴿ **وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ**

سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ [١] ، وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [٢] .

إلى غير ذلك من الأسئلة التي وردت في الكتاب والسنة [٣] .

ولو أخذ هذا منهم لما سألوه لفضحوا أمره، بالإضافة إلى أن علمهم بها إنما هو مأخوذ من أنبيائهم، ولو تلقاه منهم لم يكن نبياً.

السابع عشر: إن هذه الأنباء الغيبية التي جاء بها رسول الله ﷺ من أخبار الساعة والقيامة والحشر، وأخبار غزواته وأنباء المستقبل التي كانت تقع كما أخبر ﷺ وقعت في حياته، وبعد مماته.

فإن قيل: إن ذلك عند أهل الكتاب، قيل لهم: إذن هذا دليل صدقه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإن هذه الأنباء ذكرت في كتبهم ونسبت إلى نبي، وهو هذا النبي الذي أخبرت به وبشرت به كتبهم.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٣.

(٢) سورة الإسرا، الآية: ٨٥.

(٣) كما في حديث عبدالله بن سلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بلغ عبدالله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأتاه فقال: (إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة، ما أول طعام يأكله أهل الجنة، ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه..)، الحديث كما رواه البخاري في كتاب:«الأنبياء»، باب: (قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾)، رقم: ٣١٥١، (٣/ ١٢١١-١٢١٢).

الثامن عشر: إن المجتمع آنذاك كان إما مشركاً، وإما كتابياً، ولم يكن فيهم أحد يدعو إلى ما دعا إليه محمد ﷺ [١] .

٤- إنكار معجزات النبي ﷺ الحسية:

زين إبليس لبعض المتأخرين إنكار معجزات النبي ﷺ حيث إنه إذ لم يستطع إقناعهم بإنكار القرآن وهو المعجزة الكبرى الباقية سلك طريقاً آخر يؤدي إلى إنكار نبوة محمد ﷺ ، وإنكار شريعته وسنته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ .

يقول سليمان إبراهيم في كتابه محمد رسول الله:

«ولقد آثرنا بالاتفاق مع نصوص القرآن(!!).. وبالاتفاق مع علماء الإسلام للصدر الأول [٢] (!!) ومع أصحاب الفكر الحر من المعاصرين كالشيخ

---

(١) انظر فيما سبق: الجواب الصحيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٩٧)، (٤/ ٢٥-٣١، ٥٤-٦٣)، إظهار الحق، لرحمت الله الهندي (٣/ ٨٣٥-٨٣٦)، مناهل العرفان، للزرقاني (٢/ ٣١٧-٣٢٤)، الوحي المحمدي، لمحمد رشيد رضا،ص ١٢٣-١٢٦، الوحي المحمدي، د. عبدالجليل شلبي، ص ٢٠١-٢٠٢، رد مفتريات على الإسلام، د. عبدالجليل شلبي، ص ٧٨-٨٣، وحي الله محمد عتر ، ص ١٣٦-١٧٦، رؤية إسلامية للاستشراق (١/ ٢٣٩-٣٦٥)، الوحي في الإسلام وإبطال الشبهات، لعبدالله عبدالحي أبو بكر، ص ٣٣٨-٣٦٩، (رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة – مقدمة في جامعة أم القرى).

(٢) «لا أدري ماذا يقصد بقوله: «بالاتفاق مع علماء الإسلام للصدر الأول، فإن كان يريد أنهم أعرضوا عنها ولم ينقلوها فهذا يرده الواقع، إذ المؤلفات في شمائل النبي ﷺ ومعجزاته ودلائل نبوته كثيرة جداً لا يتسع المقام لسردها».

محمد عبده الذائع الصيت، أن نضرب صفحاً عن جميع الخوارق التي نسبت إلى النبي العربي بعد زمن طويل من وفاته، والتي يبدو أن في نسبتها إليه ما يسلبه من سيماه الحقيقية»أ.هـ[١].

وهذه شبهة ساقطة ومردودة إذ إن هذه المعجزات كثيرة ومتواترة وقد أفردت فيها المصنفات ومنها انشقاق القمر، تكثير الطعام، انقياد الشجر وشهادته على نبوته ﷺ، حنين الجذع، تسبيح الحصى في كفه الشريفة عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ استجابة دعائه في كثير من المواطن، تكليم البهائم والسباع وسجودها لـه وتسليم الأحجار والأشجار عليه، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة، وقتال الملائكة معه يوم بدر، وما جرى لأتباعه من الكرامات التي هي دليل على صدق نبوته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وغير ذلك كثير [٢] .

وهذا القول يفضي إلى إنكار السنة والطعن فيها، وهذا سبيل إلى إنكار أحكام الشريعة وتفاصيل الأحكام، إذ من روى لنا هذه المعجزات، هو الذي روى لنا الأحكام، ولا سيما مع ما علم من اهتمام العلماء الأجلاء في تدقيق النصوص وتمحيصها، والحكم على الأسانيد وكثير منها قد تواتر نقله وقد نص على تواترها عدد من الأئمة كشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث

---

(١) محمد رسول الله، لسليمان إبراهيم، ص ٥٤.

(٢) انظر: دلائل النبوة للفريابي، دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة للبيهقي، الشفا للقاضي عياض، الوفا لابن الجوزي، الشمائل لابن كثير، الخصائص الكبرى للسيوطي، الصحيح المسند من دلائل النبوة لمقبل الوادعي.

قال: «ومنها ما هو متواتر يعلمه العامة والخاصة كنبع الماء من أصابعه، وتكثير الطعام، وحنين الجذع ونحو ذلك فإن كلاً من ذلك تواترت به الأخبار، واستفاضت ونقلته الأمة جيلاً بعد جيل، وخلفاً عن سلف ما من طبقة من طبقات الأمة إلا وهذه الآيات منقولة مشهورة مستفيضة فيها»أ.هـ[١]

ونصَّ على تواترها – أيضاً – ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «ومجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظهر على يده ﷺ من خوارق العادات شيء كثير، كما يقطع بجود حاتم، وشجاعة علي، وإن كانت أفراد ذلك ظنية وردت مورد الآحاد مع أن كثيراً من المعجزات النبوية قد اشتهر وانتشر ورواه العدد الكثير، الجم الغفير، وأفاد الكثير منه القطع عند أهل العلم بالآثار، والعناية بالسير والأخبار... بل لو ادعى مدع أن غالب هذه الوقائع مفيدة للقطع بطريق نظري لما كان مستبعداً...»أ. هـ[٢] .

(١) الجواب الصحيح، لابن تيمية (٤/ ٢٧٧).

(٢) فتح الباري (٦/ ٦٧٣-٦٧٤)، وانظر: الرد عليهم مفصلاً في كتاب: «القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون»، بكامله للشيخ مصطفى صبري.

المبحث الرابع
مكايده فيما يتعلق بالولاية والأولياء

الولاية في اللغة: مشتقة من (ولي) والاه، يواليه، موالاة، وهو ضد العدو «وأوليته أنا: أدنيته، وكلَّ مما يليك: مما يقربك... وولي الأمر وتولاه، وهو وليه ومولاه» [١] .

ويقال: «تولاه اتخذه ولياً» [٢] .

ويقال: «بينهما ولاء... أي قرابة» [٣] .

وقد فرق علماء العربية في فتح الواو وكسرها فقيل: «الوِلاَية بالكسر: السلطان...» [٤] .

وقيل: «الوَلاَية بالفتح المصدر، والوِلاَيَة بالكسر الاسم... لا أنه اسم لما توليته وقمت به فإذا أرادوا المصدر فتحوا» [٥] .

وقيل: «الوِلاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل...» [٦] .

وقيل: «الوَلاية بالفتح، في النسب والنصرة والمعتق» [١] .

---

(١) بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي (٥/ ٢٨٠).

(٢) لسانب العرب، مادة: (ولي)، (١٥/ ٤١١).

(٣) المرجع السابق (١٥/ ٤١٠).

(٤) معجم الصحاح (٦/ ٢٥٣٠).

(٥) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

(٦) النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٢٧).

وقال الراغب: «الوِلاية النّصرة، والوَلاية تولي الأمر» [٢] .

وقيل: إن الفتح والكسر سواء وهما لغتان، وقيل: ولاية بالكسر ما أشعر بصناعة كنساجة وحدادة ونجارة [٣] .

ويلاحظ أن معانيها تدور حول: القرب، والمحبة، والدنو، والقرابة، والرب، والملك والعصبة، والمعتق، والناصر، والحليف [٤] .

وبهذه المعاني جاءت مادة (ولي) في القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [٥] .

أي: «ناصرهم ومعينهم، وقيل: محبهم، وقيل: متولي أمورهم لا يكلهم إلى غيره»[٦] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ

==

(١) المفردات، ص ٥٣٣.

(٢) المرجع السابق (٥/ ٢٢٨).

(٣) انظر: لسان العرب (١٥/ ٤٠٧).

(٤) انظر: معجم الصحاح(٦/ ٢٥٢٨-٢٥٣١)، النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير(٥/ ٢٢٧-٢٣٠)، لسان العرب (١٥/ ٤٠٦-٤١١)، القاموس المحيط،ص١٧٣٢، بصائر ذوي التمييز(٥/ ٢٨٠-٢٨٤).

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٦) معالم التنزيل، للبغوي (١/ ٢٤١).

﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ (١) .

أي: «كالصديق والقريب» (٢) .

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ (٣) .

أي: «المالك الذي يتولى أمورهم...» (٤) .

والآيات في هذا كثيرة جداً، يصعب استيفاؤها.

وأما تعريفها في الشرع. فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولي الله من ولاه بالموافقة في محبوباته ومرضياته، وتقرب إليه بما أمر به من طاعته»أ. هـ (٥) .

وعرفها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «أولياء الرحمن هم المخلصون لربهم المحكمون لرسوله في الحرم والحل الذين يخالفون غيره لسنته، ولا يخالفون سنته لغيرها، فلا يبتدعون ولا يدعون إلى بدعة، ولا يتحيزون إلى فئة غير الله ورسوله وأصحابه، ولا يتخذون دينهم لهواً ولعباً، ولا يستحبون سماع

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

(٢) المرجع السابق (٤/ ١١٥).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٦٢.

(٤) المرجع السابق (٢/ ١٠٣).

(٥) مجموع الفتاوى (١١/ ٦٢)، وانظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص ٩.

الشيطان على سماع القرآن»أ.هـ[١].

وقال أيضاً: «الولاية عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه، ليست بكثرة صوم ولا صلاة، ولا رياضة»أ. هـ[٢] .

وعرفها ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله : «أولياء الله هم الذين يتقربون إليه بما يقربهم منه، وأعداؤه الذين أبعدهم منهم بأعمالهم المقتضية تطردهم»أ.هـ[٣] .

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «المراد بولي الله العالم بالله، المواظب على طاعته، المخلص في عبادته»أ. هـ[٤] .

وجميع هذه الأقوال متحدة المعنى، وإن اختلفت العبارات، إذ هي تجتمع على أن ولي الله هو المتبع لما أمر الله به، التارك لما نهى الله عنه.

وقد أجمل شيخ الإسلام في تعريف الولاية بقولـه: «أولياء الله هم الذين يتبعون رضاه بفعل المأمور، وترك المحظور، والصبر على المقدور»أ. هـ[٥] .

وأما مكايد الشيطان في الولاية فكثيرة، وأصلها ناتج عما يقوم به الشيطان

---

(١) الروح، لابن القيم، ص ٣٤٨.

(٢) الجواب الكافي، ص ١٣٧، ونقلها شارح الطحاوية، ص ٣٩٨.

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٣٥).

(٤) فتح الباري في شرح صحيح البخاري (١١/ ٣٥٠).

(٥) مجموع الفتاوى (١/ ٨٥).

من إيهام شخص ما بأنه ولي لله والتلبيس عليه في ذلك أو افتنان الناس به.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الشأن:

«... اعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من منافع، وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها، واعرف من يخاطبهم الحجر والشجر وتقول: هنيئاً لك يا ولي الله، فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك، واعرف من يقصد صيد الطير فتخاطبه العصافير، وغيرها وتقول: خذني حتى يأكلني الفقراء، ويكون الشيطان قد دخل فيها، كما يدخل في الإنس ويخاطبه بذلك، ومنهم من يكون في البيت، وهو مغلق فيرى نفسه خارجه، وهو لم يفتح وبالعكس... وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة أو تمر به أنوار... واعرف من يخاطبه مخاطب ويقول لـه: أنا من أمر الله، ويعده بأنه المهدي الذي بشر به النبي ﷺ، ويقول لـه: علامة أنك أنت المهدي أنك تنبت في جسدك شامة فتنبت ويراها... وتأتيه بأشخاص في صورة جميلة وتقول له: هذه الملائكة الكروبيون أرادوا زيارتك... وكله من مكر الشيطان»أ. هـ[1].

لذا أقسم مكايده في مسائل الولاية إلى قسمين:

القسم الأول:

كيده لعباد الله بالأولياء الصالحين بالغلو فيهم، ويتقديسهم ودعائهم

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٠٠-٣٠١) باختصار وتصرف يسير.

والتمسح بقبورهم وعبادتهم من دون الله، مع بغض هؤلاء الأولياء لذلك وعدم رضاهم عنه وإنكارهم على من فعله، وهذا يقع غالباً بعد موتهم، قال تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ ﴾ (١) .

القسم الثاني:

كيده بأوليائه وحزبه ممن أضفى عليهم مهابة الولاية وعنوان التقديس، فطار بهم في الهواء، وكاد بهم بحيل شيطانية من السحر والشعوذة، حتى خدع بهم طائفة من العباد فتوهموا فيهم الولاية وقدسوهم وعبدوهم من دون الله، واعتقدوا فيهم النفع والضر. ومن أبرز صفاتهم:

١- «المباشرة للنجاسات والخبائث التي يحبها الشيطان.

٢- أكل الحيات والعقارب والزنابير وآذان الكلاب.

٣- دعاء غير الله والاستغاثة به.

٤- لا يتوضؤون ولا يصلون الصلوات المفروضة.

٥- مأواهم المزابل والمواضع النجسة أو مقابر الكفار.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.

٦- كراهيتهم لسماع القرآن، وإقبالهم على سماع الأغاني والأشعار» [١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه»أ. هـ [٢] .

يقول الإمام الصنعاني [٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«فإن قلت أنه قد يتفق من هؤلاء الذين يلوكون الجلالة [٤] ويضيفون إليها أهل الخلاعة والبطالة، خوارق عادات، وأمور تظن كرامات، كطعن أنفسهم، وحملهم لمثل الحنش والحية والعقرب، وأكلهم النار، ومسهم إياها بالأيدي وتقلبهم فيها بالأجسام.

قلت هذه أحوال شيطانية، وإنك لملبوس عليك إن ظننتها كرامات لأموات،

---

(١) الفرقان في صفات أولياء الرحمن، لابن تيمية، ص ٤١ (باختصار وتصرف يسير)، والأرقام من وضعي.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٩.

(٣) محمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني ولد سنة ١٠٥٩هـ، في كحلاني، ثم انتقل إلى صنعاء وأخذ عن علمائها، ورحل إلى مكة وقرأ الحديث على أكابر علمائها وعلماء المدينة، وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران وتفرد برياسة العلم في صنعاء... كان يجتهد في المسائل الفقهية، ويعمل بالدليل وينفر من التقليد... من مؤلفاته: «سبل السلام في شرح بلوغ المرام»، وله مؤلفات أخرى شعرية ، توفي سنة ١١٨٢هـ. انظر: خاتمة تطهير الاعتقاد، ص ٣١، البدر الطالع، للإمام الشوكاني.

(٤) الجلاَّله: الحيوانات التي تتبع النجاسات وتأكل العذرة وقد ورد النهي عن أكلها وركوبها، انظر لسان العرب (١١/ ١١٩)، ومختار الصحاح (١/ ٤٦).

أو حسنات للأحياء...

إن هذه أحوال وأفعال طاغوتية، وأعمال إبليسية، يفعلها الشياطين لإخوانهم من هؤلاء الضالين... وقد ثبت في الأحاديث إن الشياطين والجان يتشكلون بأشكال الحية والثعبان... وقد يكون ذلك من باب السحر... إلخ» [١] .

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فمن اعتقد أن هؤلاء أولياء الله فهو كافر مرتد عن الإسلام باتفاق أئمة الإسلام، ولو كان نفسه زاهداً عابداً»أ. هـ [٢] .

ومن الأمثلة على تلاعب إبليس وفتنته لعباد الأضرحة والمشاهد ما نقل عن بعضهم أنه كان في بعض أسفاره قاصداً زيارة المرقد الطاهر – بزعمه – لسلطان الأولياء علي بن موسى الرضا [٣] ، فضل الطريق وتاه في الجبال والبراري فالتجأ إلى هذا الولي قائلاً:

«مولاي! أنت تعلم أنني قاصد لزيارتك إلا أنني ضللت الطريق وتهت في هذا الوادي، وأنت قادر على إعانتي، فأعني، وأنقذي مما أنا فيه، وبعد دقائق، وإذا به يرى الخضر يحضر عنده ويرشده ظاهرياً وباطنياً، ويرى نفسه قد

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، للإمام الصنعاني، ص ٢٧-٢٨.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٣٥)، وانظر: (١٠/ ٤٣٤).

(٣) علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق أبو الحسن الملقب بالرضا، ثامن الأئمة الاثني عشر عند الإمامية... ولد بالمدينة، وكان أسود اللون أمه حبشية، واحبه المأمون العباسي فعهد إليه بالخلافة من بعده، وزوجه ابنته... ومات في حياة المأمون بطرس فدفنه إلى جانب أبيه الرشيد ولم تتم له الخلافة. الإعلام للزركلي (٥/ ٢٦).

طوى الأرض بمدد المولى خلال عدة دقائق...»أ. هـ [١] .

وما أظنه إلا شيطاناً مريداً تمثل بصورة الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليفتن هذا الرجل، ولهذا تظهر لهم الشياطين كثيراً بصورة بشر تخدمهم وتقضي حوائجهم زيادة في الفتنة والضلال [٢]. نسأل الله السلام. آمين.

وقد تطير بهم في الهواء [٣] .

يقول الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«وقد يعتقدون في بعض فسقة الأحياء، وينادونهم في الشدة والرخاء، وهو عاكف على القبائح، لا يحضر حيث أمر الله عباده المؤمنين بالحضور هناك، ولا يحضر جمعة ولا جماعة، ولا يعود مريضاً ولا يشيع جنازة، ولا يكتسب

---

(١) سيماء الأولياء وكراماتهم، ص ٢٥-٢٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٢٦، وانظر: ما سبق ذكره في مكايده في توحيد الأولهية.

(٣) انظر: سيماء الأولياء وكراماتهم، علي الأصفهاني، ص ٥٦-٥٧.

ومن الأمثلة التي ذكرها ما ذكره عن أبي القاسم الهندي قال: «ذهبت إلى الشيخ حسن علي في جبل معجوني المتاخم لمدينة مشهد، وفي تلك الأثناء ظهر قرب الجبل شخص يدعى (محمد قوش آبادي) وهو رجل متمرد، وقد زعزع الأمن في تلك المنطقة، ووجه لنا تحذيراً: إذا تحركتم سأقتلكم، عندها سألني الشيخ: هل أنت على وضوء (!!)؟ قلت: نعم. امسك بيدي، وقال: اغمض عينيك بعد عدة ثوان، لم نكن مشينا لأكثر من خطوتين أو ثلاث حتى قال الشيخ: افتح عينيك، ولما نظرت وجدت أننا عند بوابة المدينة»!!

وتأمل سؤاله عن الوضوء، وهذا لا شك من التمويه، وتلبيس الحق بالباطل لزيادة إضلال الخلق وادعاء الكرامات.

حلالاً، ويضم إلى ذلك دعوى التوكل وعلم الغيب، ويجلب إليه إبليس جماعة قد عشش في قلوبهم، وباض فيها وفرخ، يصدقون تهافته، ويعظمون شأنه، ويجعلون هذا ندا لرب العالمين ومثلاً، فيا للعقول أين ذهبت، ويا للشرائع كيف جهلت...»أ. هـ[1].

ومن أبرز مظاهر مكايده في مسائل الولاية:

١- القول بالحلول والاعتقاد بأن هؤلاء الأولياء يملكون خصائص الربوبية والألوهية.

٢- مساواتهم بالأنبياء وتفضيلهم على سائر الأولياء.

٣- الاستغاثة بهم ودعائهم وتعظيم قبورهم والتمسح بها والتذلل بين أيديهم.

٤- الغلو فيهم وادعاء رؤيتهم للنبي محمد ﷺ يقظة لا مناماً، وأنه يصافحهم ويشد الرحال لزيارتهم.

٥- الإتيان بشريعة غير شريعة محمد ﷺ والادعاء بأنهم يرون الملائكة تخاطبهم ونزول الرقاع عليهم من الله.

٦- ادعاؤهم إحياء الموتى.

٧- علمهم منطق الطير وسائر لغات الوحوش.

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، للإمام محمد الصنعاني، ص ١٣.

٨- ادعاء العصمة.

٩- خروجهم عن الصفات البشرية في بعض الأحوال.

١٠- ادعاء علم الغيب.

١١- تفضيلهم على أبي بكر وعمر وسائر الصحابة.

وسأذكر فيما يلي بياناً موجزاً لكل واحدة من هذه المكايد:

١- القول بالحلول والاعتقاد بأن هؤلاء الأولياء يملكون خصائص الربوبية والألوهية.

يقول أحد الحلولية:

«خذ العبارة الشهيرة: (أنا الحق) يظن بعض الناس أنها ادعاء عظيم؛ لكن أنا الحق على الحقيقة تواضع عظيم، لان من يقول: (أنا عبدالحق) يثبت وجودين اثنين، أحدهما نفسه، والآخر الله، أما من يقول: (أنا الحق) فقد نفى نفسه وأسلمها للريح، يقول: (أنا الحق) يعنى (أنا عدم) هو الكل، لا وجود إلا لله، أنا بكليتي عَدَم أنا لست شيئاً»أ. هـ[1] !!

يقول عبدالكريم الجيلي – مادحاً نفسه – :

لي الملك في الدارين لم أر فيهما سواي فأرجو فضله أو فأخشاه

(١) كتاب فيه ما فيه، لجلال الدين الرومي، ص ٨٣.

ولا قبل من قبلي فألحق شأنه ولا بعد من بعدي فأسبق معناه
وقد حزت أنواع الكمال وأنني جمال جلال الكل ما أنا إلا هو

إلى أن قال – والعياذ بالله – :

وإني رب للأنام وسيد جميع الورى اسم وذاتي مسماه [١]

ومن هذا ادعاء الشيعة الألوهية في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [٢] .

يقول ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ في ذكر أصناف الغلاة من الرافضة:

«والقسم الثاني من فرق الغالية الذين يقولون بالإلاهية لغير الله عز وجل فأولهم قوم من أصحاب عبدالله بن سبأ [٣] الحميدي لعنه الله، أتوا إلى علي بن أبي طالب فقالوا مشافهة: أنت هو، فقال لهم: ومن هو؟ قالوا: أنت الله،

---

(١) الإنسان الكامل، ص ٣١-٣٢ .

(٢) انظر: المقالات، لأبي الحسن الأشعري، ص ٥-٨٥، والفرق بين الفرق، لعبدالقاهر البغدادي، ص ٢٩-٧٢.

(٣) عبدالله بن سبأ الملقب بابن السوداء، كان يهودياً من أهل صنعاء ينسب إلى سبأ... ونسبه ابن حزم على حمير ونسب إلى همدان وكلا النسبيين يؤكدان الأصل اليمني لابن سبأ، وأمه حبشية. أراد إفساد دين المسلمين بالغلو في أهل البيت، فانتسب إلى الرافضة السبابية، ودلس ضلالته في تأويلاته.
يقول عنه الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ : «من غلاة الزنادقة، ضال مضل أحسب أن علياً حرقه بالنار»أ. هـ.
انظر: في ترجمته: الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ٢٢٥-٢٢٦، ميزان الاعتدال، للذهبي (٢/ ٤٢٦)، الفصل في الملل والنحل، لابن حزم (٥/ ٣٦)، الشيعة والسنة، لإحسان إلهي ظهير، ص ١٥، عبدالله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام لسليمان العودة، ص ٣٩ وما بعدها، دار طيبة.

فاستعظم الأمر وأمر بنار فأججت فأحرقهم بالنار، فجعلوا يقولون وهم يرمون في النار: الآن صح عندنا إنك الله لأنه لا يعذب بالنار إلا الله...» [١]، وكذلك الصوفية تدعي في الأقطاب الربوبية.

وفي وصف أحمد التيجاني يقول صاحب كتاب جواهر المعاني:

«يحي القلوب ويبرئ من العيوب، يغني بنظرة ويصول إلى الحضرة، إذا توجه أغنى وأقنى، وبلغ المنى، يتصرف في أطوار القلوب بإذن علام الغيوب...» أ. هـ [٢].

وقد سبق الرد عليهم في أكثر من موضع [٣].

وللأولياء عندهم طبقات ومراتب:

«القطبية الكبرى هي مرتبة قطب الأقطاب، وهو باطن نبوة محمد ﷺ فلا يكون إلا لورثته، لاختصاصه – عليه الصلاة السلام – بالأكملية فلا يكون خاتم الولاية وقطب الأقطاب إلا على باطن خاتم النبوة.

والغوث هو القطب حين ما يلجأ إليه، ويؤخذه منه، ولا يسمى في غير ذلك

---

(١) الفصل في الأهواء والملل، لابن حزم (٥/ ٤٦-٤٧).

(٢) جواهر المعاني، لعلي بن حرازم الفاسي (١/ ٦٣).

(٣) انظر: مبحث مكايده في إيقاع الناس في الكفر والشرك، ومبحث مكايده في مسائل توحيد الألوهية، ص

الوقت غوثاً» [١] .

«والإمامان هما الشخصان اللذان أحدهما عن يمين الغوث – أي القطب – ونظره في الملكوت، والآخر عن يساره، ونظره في الملك، وهو أعلى من صاحبه، وهو الذي يخلف القطب، والأوتاد هم الرجال الأربعة الذين هم على منازل الجهات الأربع من العالم، بهم يحفظ الله تعالى الخلق، لكونهم محال نظره في العالم، والبدلاء سبعة رجال لا يسافر أحد عن موضعه إلا ويترك جسداً في صورته فيه بحيث لا يعرف أحد أنه فقد (!!) والنجباء هم الأربعون القائمون على إصلاح أمور الناس، وحمل أثقالهم المتصرفون في حقوق الخلق لا غير، والنقباء هم الذين تحققوا بالاسم الباطن، فأشرفوا على بواطن الناس، واستخرجوا خفايا الضمائر لانكشاف الساتر عن وجه السرائر...»[٢] .

وقالوا بختم الولاية كما ختمت النبوة، كما سيأتي – إن شاء الله [٣] – .

وما ذكروه وما أثبتوه من طبقات ،الأولياء فهي أسماء لم ترد في كتاب الله ولا

---

(١) التعريفان، للجرجاني، ص ١٦٩، وانظر: ص ٢٦٦.

(٢) كتاب نص النصوص، لحيدر الآملي، مخطوط مكتبة مجلس الأمة، طهران، ملحق رقم(١٩/ ٩١-٩٦)، نقلاً عن ختم الولاية للحكيم الترمذي، ص ٥٠٤-٥٠٥، وانظر: الفتوحات المكية، لابن عربي، ص ٢٤٣ وما بعدها.

(٣) انظر ص

سنة رسوله ﷺ لا بإسناد صحيح ولا ضعيف عدا لفظ الأبدال فقد وردت فيه أحاديث، حكم المحققون من أهل السنة بوضعها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«كل حديث يروى عن النبي ﷺ في عدة الأولياء والأبدال والنقباء والنجباء والأوتاد والأقطاب، فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ الإبدال وروي فيه حديث إنهم أربعون رجلاً، وأنهم بالشام، وهو في المسند في حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو حديث منقطع ليس بثابت»أ.هـ[1] .

وقال أيضاً: «فالغرض أن هذه الأسماء تارة تفسَّر بمعانٍ باطلة بالكتاب والسنة وإجماع السلف، مثل تفسير بعضهم (الغوث) هو الذي يغيث الله به أهل الأرض في رزقهم ونصرهم، فإن هذا نظير ما تقوله النصارى في الباب وهو معدوم العين، والأثر شبيه بحال المنتظر الذي دخل السرداب من نحو

(١) الفرقان، ص ١٢، وانظر في تخريج أحاديث الأبدال: كتاب الأولياء، لابن أبي الدنيا، ص ٣٤، ص ٦٥-٦٦ (التحقيق٩، وتحقيق: أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ للمسند، رقم: ١٦٩، (٢/ ٨٩٨)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة، للعلامة الألباني، رقم: ٩٣٥، ورقم: ٩٣٦، (٢/ ٣٣٩-٣٤١)، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «واعلم أن أحاديث الأبدال لا يصح منها شيء وكلها معلولة، وبعضها أشد ضعفاً من بعض»أ. هـ، (٢/ ٣٣٩).

أربعمائة وأربعين سنة»أ. هـ [١] .

«ولفظ (القطب) يمكن إطلاقه على كل من دار عليه أمر من الدين أو الدنيا، فيسمى قطباً لذلك الأمر ومداره، وليس من شرطه أن يتفرد بذلك الأمر بل قد يشركه غيره، وكذلك لفظ (الوتد) إن كان يقصد به أنه شخص يثبت الإيمان في القلوب، وكذلك العلم، كما تثبت الأوتاد الجبال فهذا معنى حق، وهو للعلماء والأفذاذ، وهم كثير وليسوا محصورين في عدد معين، وكذلك لفظ (البدل) وتخصيصهم بالشام باطل فإن العلم والإيمان كان بالحجاز واليمن قبل الشام، وكانت الشام بلاد كفر حتى فتحها المسلمون، ولو كانت خاصة بالإبدال لكانت أفضل من غيرها من بلاد الله» [٢] .

٢- مساواتهم بالأنبياء بل وتفضيلهم عليهم في بعض الأحيان:

قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً مقالات الغلاة من الروافض: «ويزعمون أن الأئمة ينسخون الشرائع ويهبط عليهم الملائكة وتظهر عليهم الأعلام والمعجزات ويوحى إليهم...» [٣] .

يروي الكلني في الكافي عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن المفضل بن عمر عن أبي عبدالله: كان أمير المؤمنين – صلوات الله عليه – كثيراً ما يقول أنا قسيم الله

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٤٢).

(٢) انظر: المرجع السابق (١/ ٤٤٠-٤٤٢).

(٣) مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن، ص ١٦.

بين الجنة والنار، ولقد أقرت لي جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقروا لمحمد ﷺ ، ولقد حملت مثل حمولته وهي حمولة الرب، وإن رسول الله يدعي فيكسى وأدعى فأكسى، ولقد أعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي، علمت المنايا والبلايا والأنساب، وفصل الخطاب فلم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عني ما غاب عنى... إلخ» (١) .

بل يوجد عند غلاة الروافض من فضّل الأئمة على الأنبياء يقول أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «اختلفت الروافض في الأئمة، هل يجوز أن يكونوا أفضل من الأنبياء أم لا يجوز ذلك وهم ثلاث فرق:

... الفرقة الثانية منهم يزعمون أن الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة، وأنه لا يكون أحد أفضل من الأئمة، وهذا قول طوائف منهم...»أ. هـ (٢) .

وفي صحيح الكافي يروى عن أبي جعفر قوله: «إن لله عز وجل علمين: علم مبذول، وعلم مكفوف، فأما المبذول فإنه ليس من شيء تعلمه الملائكة والرسل إلا نحن نعلمه، وأما المكفوف فهو الذي عند الله عز وجل في أم الكتاب إذا خرج نفذ» (٣) .

---

(١) الكافي في كتاب الحجة، ص ٢٨٥، ط. إيران.

(٢) مقالات الإسلاميين، ص ٤٧.

(٣) صحيح الكافي، باب: أن الأئمة – عليهم السلام – يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل، لمحمد الباقر، ص ٣٠، ط. الدار الإسلامية.

ويروي الكليني [١] عن أبي جعفر [٢] عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال سمعته يقول:
«إن الله اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً واتخذه نبياً قبل أن يتخذ رسولاً، واتخذ رسولاً من قبل أن يتخذه خليلاً واتخذه خليلاً قبل أن يتخذه إماماً، فلما جمع له هذه الأشياء – وقبض يده – قال له: يا إبراهيم إني جاعلك للناس إماماً فمن عظمها في عين إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: يا رب ومن ذريتي، قال: لا ينال عهدي الظالمين»[٣] .

ويروي أيضاً: عن أبي عبدالله [٤] عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قوله: «ورب الكعبة ورب البنية – ثلاث مرات – لو كنت بين موسى والخضر – عليهما السلام – لأخبرتهم إني أعلم منهما ولأنبئتهما بما ليس في أيديهما، لأن موسى والخضر – عليهما

---

(١) محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، من شيوخ الشيعة الإمامية، من أهل كلين (بالري) توفي ببغداد سنة ٣٢٩هـ، من كتبه الكافي في علم الدين والأئمة وغيرهما، انظر: الأعلام للزركلي (٧/ ١٤٥).

(٢) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر، زين العابدين: خامس الأئمة الاثني عشرة عند الإمامية، كان زاهداً عابداً عالماً وقال ابن بكار: «كان يقال لمحمد باقر العلم»أ.هـ، ينسب إليه الشيعة أقوال هو منها براء، توفي سنة ١١٤هـ، انظر: تهذيب التهذيب (٩/ ٣١١-٣١٣)، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٧٠).

(٣) الأصول من الكافي: «كتاب الحجة»، باب: (طبقات الأنبياء والرسل والأئمة)،(١/ ١٧٥).

(٤) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين، أبو عبدالله، الملقب بالصادق، سادس الأئمة الاثني عشرة عند الإمامة، كان من أجلاء التابعين، وله منزلة في العلم أخذ منه جماعة من العلماء، توفي بالمدينة سنة ١٤٨هـ، انظر: حلية الأولياء (٣/ ١٩٢-١٩٣)، الأعلام (١/ ٢٦٠-٢٦١).

السلام – أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة وقد ورثناه من رسول الله ﷺ وراثة» [١] .

ويقول الخميني مؤكداً على هذا المعتقد:

«إن للإمام مقاماً محموداً، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وإن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل» [٢] .

ويقول: «وقد ورد عنهم – عليهم السلام – أن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل» [٣] .

فلا شك بأن أقوالهم هذه منكرة، وهي شر من أقوال اليهود والنصارى، وهي الكفر الصريح، فقد علم عقلاً أن المتأخر يأخذ من المتقدم، وهم جعلوا الولي هو الذي يستفيد منه المتقدم وهو النبي [٤] ، وهذا القول مخالف لما أجمعت عليه الأمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

---

(١) الأصول من الكافي، باب: (إن الأئمة – عليهم السلام – يعلمون ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء)، (١/ ٢٦٠-٢٦١).

(٢) الحكومة الإسلامية، ص ٥٢.

(٣) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(٤) انظر: جامع الرسائل والمسائل، لابن تيمية، ص ٢٠٥-٢٠٦.

«وقد اتفق سلف الأئمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء...»أ. هـ[١] .

وتفضيلهم الولي على النبي أمرين:

الأول: تلقيه للوحي مباشرة بدون وساطة ملك، فيقول قائلهم: «مكثت ثلاثين سنة ما يسمع لساني إلا من سري، ثم تغيرت الحال فمكثت ثلاثين سنة لا يسمع سري إلا من ربي» [٢] .

الثاني: كمال الدين على يديه [٣] .

يقول ابن عربي الطائي: مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي [٤] .

وكُفْرُ من قال بهذين ظاهر، قال شارح الطحاوية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«وكفر ابن عربي وأمثاله فوق كفر القائلين: ﴿ **لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ** ﴾ [٥] ، ولكن ابن عربي وأمثاله منافقون زنادقة، اتحادية في الدرك الأسفل من النار...»أ. هـ[٦] .

---

(١) الفرقان، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٤٥.

(٢) الرسالة القشيرية (٢/ ٦٨٢)، والقائل هو: أبو الحارث الأولاشي.

(٣) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية (٤/ ٧٢)، وهذه الصوفية، ص ١٢٩.

(٤) نقلاً من شرح الطحاوية، ص٥٥٦ ط. المكتب الإسلامي.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٩٤، ط. المكتب الإسلامي.

ومما يرد به عليهم حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: (هذان سيدا، كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين لا تخبرهما يا علي) (١) .

فلم يفضلهما عَلَيْهِ السَّلَامُ على الأنبياء والمرسلين مع عظيم مكانتهما ومنزلتهما في الدين – رضي الله عنهما وأرضاهما – .

ويقال هذا الوحي الذي ينزل عليهم – على حد زعمهم – هل هو موافق لما في الكتاب والسنة أم مخالف لهما، فإن كان موافقاً فلا حاجة لنا به، وإن كان مخالفاً كان هذا اتهاماً للدين بعدم كماله، إن كان ذلك مخالفة له في الأخبار، وإن كان في الأحكام عدَّ نسخاً لهذا الدين (٢) .

وهذا خلاف ما أجمع عليه الأمة من تمام هذا الدين وكماله. وختم الرسالات بنبوة محمد ﷺ، وهم يعتقدون ذلك وقولهم هذا أشد قبحاً من فعل أهل الكتاب

---

(١) رواه الترمذي في كتاب: «المناقب»، باب: (أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة إلا النبيين، رقم: ٣٦٦٦، (٩/ ٢٧١)، وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه»أ. هـ، ورواه من طرق أخرى في الباب نفسه عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، رقم: ٣٦٦٥، ٣٦٦٧، ورواه ابن ماجه عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه وزاد (ماداما حيين) في «المقدمة» باب: (فضائل أصحاب رسول الله ﷺ) رقم: ٩٥، (١/ ٣٠٦)، ورواه أحمد في مسنده عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، (١١/ ٨٠) بنحوه وزاد (وشبابها).

(٢) انظر: عقيدة ختم النبوة، ص ١٦٣، وص ١٤٨، وما بعدها، مجموع الرسائل والمسائل(٤/ ٥٠-٥١).

الذين يكتبون الكتاب بأيديهم، ثم يقولون هو من عند الله كما ذكر الله تعالى عنهم:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ (١) .

فهؤلاء الصوفية – أخزاهم الله – كتبوا كتب الكفر والزندقة، ثم زعموا أنها وحي منزل عليهم أنفسهم من عند الله تعالى (٢) .

٣- الاستغاثة بهم ودعائهم والتذلل بين أيديهم وتعظيم قبورهم والتمسح بها:

فيقول قائلهم:

يا سيدي ويا صفي الدين يا سندي
يا عمدتي بل ويا ذخري ومفتخري
أنت الملاذ لما أخشى ضرورته
وأنت لي ملجأ من حادث الدهر

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

(٢) انظر: مجموع الرسائل والمسائل، لابن تيمية (٤/ ٥٠-٥١).

إلى أن قال:

وامنن عليَّ بتوفيق وعافية
وخير خاتمة مهما انقضى عمري
وكف عنا أكف الظالمين إذا امتدت
بسوء لأمر مؤلم نكري
فإنني عبدك الراجي بودك ما
أملته يا صفي السادة الغرر [1]

ويقول صاحب كتاب جواهر المعاني في الثناء على أحمد التيجاني:

«واعلم رحمك الله أني لا أستوفي ما لسيدنا وشيخنا ومولانا أحمد التيجاني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من المآثر والآيات والمناقب والكرامات أبد الآبدين، كلما تذكرت آية رأيت أكبر من أختها وهلم جرا، جعلنا الله وإياكم من المنخرطين في سلكه، ومن المحسوبين في حزبه، وممن عرف قدره وقدر محبته بجاه محمد وآله وصحبه، فإن من تشبث بأذيالهم بلغ المأمول، فابسط أيها المحب يد الضراعة عند ذكرهم، وقف متذللاً عند بابهم، وقل بلسان الافتقار إليهم ارحم عُبيدَك الضعيف، وإن كان بها على الجور والتطفيف، وحاشا لمن تعلق

(١) نقلاً من كتاب شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالله، ص ١٩١.

بأذيالهم أن يهملوه، أو تحيز لجنابهم أن يتركوه فإن طفيلي ساحتهم لا يرد، وعن بابهم لا يصد(!!)...إلخ» [١] .

ونقل صاحب كتاب المفاخر العلية في المآثر الشاذلية عن أبي الحسن الشاذلي [٢] قوله عن نفسه: «إذا عرضت لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بي، قال [٣]: فكنت والله لا أذكره في شدة إلا انفرجت، ولا أمر صعب إلا هان، وأنت يا أخي إذا كنت في شدة فأقسم على الله به، وقد نصحتك والله يعلم والسلام»[٤] .

ويقول أحد اتباع الرفاعي الحسيني الشهير بالرواس [٥] في الروضة التي فيها

---

(١) جواهر المعاني، لعلي بن حرازم الفاسي (١/ ٦-٨).

(٢) علي بن عبدالله بن عبدالجبار بن يوسف ابن هرمز الشاذلي المغربي، أبو الحسن، رأس الطائفة الشاذلية، من المتصوفة، وصاحب الأوراد المسماة «حزب الشاذلي»، ولد في المغرب، وتفقه وتصوف بتونس، وسكن (شاذلة) قرب تونس، كان ضريراً يزعم أنه نسبه يعود للأدارسة، أخبر بذلك بطريق المكاشفة بزعمه. قال الذهبي: «نسب مجهول لا يصح، ولا يثبت كان أولى به تركه»أ. هـ، كانت وفاته سنة ٦٥٦هـ، انظر: الأعلام، للزركلي (٤/ ٣٠٥)، كتاب المفاخر العلية لأحمد بن عباد.

(٣) القائل هو: أحمد بن عباد الشافعي، صاحب الكتاب، وهذا من زيادة فتنتهم واستدراجهم، نسأل الله تعالى الثبات.

(٤) المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، لأحمد بن عباد الشافعي، ص ٢٤، ط. عام ١٣٨١هـ، الحلبي، مصر.

(٥) محمد مهدي بن علي الرفاعي الحسيني الصيادي، المعروف بالرواس: متصوف عراقي، ولدفي سوق الشيوخ، من أعمال البصرة، وانتقل إلى الحجاز في صباه، فجاور مكة سنة، وبالمدينة سنتين، ورحل إلى مصر سنة ١٢٣٨هـ، فأقام في الأزهر ١٣ سنة، توفي ببغداد عام ١٢٨٧هـ، الأعلام، = =

مرقده:

«هنا حضرة الإفاضة الكبرى، وروضة العناية العظمى، هنا حضرة المحاضرة مع الختم الأكبر، وروضة السعادة التي تجري بماء الكوثر، عطر شمك بترابها وعفر خدك ببابها، ولا تمل عن رحابها، فإنها الباب القريب من جناب الحبيب، هي والله وصالة للمعتولين، فطاعة للمنافقين، وطب بحضرتها، فهي روضة المدد العظيم، ومحل سلطان ولاية محمدية...» [١].

ولا شك إن أقوالهم هذه وأفعالهم تفيض بالشرك الأكبر، وفيها من دعاء غير الله والتوسل والاستغاثة به، الشيء الكثير، وهذا مكايد إبليس ومكره بهم، وأغلب منشئها من تعظيم القبور كما سيأتي.

يقول العلامة الشوكاني [٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

= =

للزركلي (٧/ ١١٣).

(١) المجموعة النادرة لأبناء الآخرة، لبهاء الدين محمد مهدي الصيادي الرفاعي الحسيني الشهير بالرواس، تحقيق: عبدالحكيم بن سليم عبدالباسط، والعبارة من كلامه أثناء تعليقه على الكتاب المذكور، ص ٥٥-٥٦، نشر مكتبة النجاح، طرابلس، ليبيا، ط، عام: لا يوجد.

(٢) محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ثم الصنعاني، الإمام العلامة، بحر العلوم، ولد سنة ١١٧٣هـ، وتوفي ١٢٥٠هـ، كان من كبار علماء اليمن، تولى القضاء في صنعاء ومات حاكماً بها، كان إماماً مجتهداً، وكان يميت التقليد، له مؤلفات عدة من أشهرها «نيل الأوطار»، «فتح القدير في تفسير القرآن»، «السيل الجرار» وغيرها، انظر: ترجمته: مقدمة فتح القدير (١/ ٤-٨)، الأعلام، للزركلي (٦/ ٢٩٨)، وهو منقول عن البدر الطالع.

«... هذه البدعة صارت وسيلة لضلال كثير من الناس، لا سيما العوام، فإنهم إذا رأوا القبر، وعليه الأبنية الرفيعة والستور الغالية وانضم إلى ذلك إيقاد السرج عليه تسبب عن ذلك الاعتقاد في ذلك الميت، ولا يزال الشيطان يرفعه من رتبة إلى رتبة، حتى يناديه مع الله سبحانه ويطلب منه ما لا يطلب إلا من الله عز وجل ولا يقدر عليه سواه فيقع في الشرك...»أ. هـ [١] .

وقد سبق الرد عليهم في مبحث مكايده في مسائل توحيد الألوهية.

٤- ادعاء الغلو فيهم وادعاء رؤيتهم للنبي ﷺ يقظة لا مناماً ومصافحتهم وشد الرحال لزيارتهم:

يقول الغزالي [٢] : «ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتهم، ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة

(١) السيل الجرار، نقلاً من كتاب شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور، أصدرته دار الإفتاء، ص ٣٨، مكتبة لينة، ط. الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

(٢) الغزالي: محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد، فيلسوف، متصوف، ولد وتوفي في الطابران بخراسان عام ٤٥٠-٥٠٥، له مؤلفات كثيرة نحو مئتي مصنف ومنها «إحياء علوم الدين»، و«تهافت الفلاسفة» رحل إلى نيسابور ثم بغداد فبلاد الشام والحجاز ومصر ثم عاد إلى بلدته.
انظر: في ترجمته: شذرات الذهب (٤/ ١٠)، طبقات الشافعية، للسبكي (٤/ ١٠١)، الأعلام، للزركلي (٧/ ٢٢-٢٣).

والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق» [١] .

ومن المعاصرين من يقول: «وأما الاجتماع يقظة بأهل البرزخ والاطلاع على أحوالهم يقظة بالنسبة لغير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإن ذلك لا يناله إلا من أكرمه الله تعالى من عباده الصالحين ومن ذلك إكرام الله تعالى لبعض أوليائه بالاجتماع يقظة مع رسول الله ﷺ ، وأخذهم عنه صنوفاً من البشائر والمعارف والمواهب الإلهية»[٢] .

ومن أقوالهم: «أن الأولياء يرون رسول الله ﷺ يقظة، وأنه يحضر كل مجلس، أو مكان أراد بجسده وروحه، وأنه يتصرف ويسير في أقطار الأرض وفي الملكوت، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء، وأنه مغيب عن الأبصار، كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم، فإذا أراد الله أن يراه عبد رفع عنه الحجاب فيراه على هيئته التي كان هو عليها» [٣] .

---

(١) المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي، ص ١٤٣-١٤٥، دار الكتب الحديثة، مصر، ط. عام١٣٩٤هـ.

(٢) الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها، لعبدالله سراج الدين، ص ١١٠-١١١، وقد ساق بعد ذلك قصة حصلت لعبدالقادر الجيلاني تفيض كذباً وافتراءً، ثم قال أيضاً: «وقد ذكر الشيخ سراج الدين أيضاً في ترجمة الشيخ خليفة بن موسى النهر ملكي أنه كثير الرؤيا لسيدنا رسول الله ﷺ يقظة ومناماً (!!)...»أ. هـ، ص ١١١.

(٣) رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم، لعمر بن سعيد الفوتي (١/ ١٩٨-١٩٩)، نقلاً من مجلة البحوث الإسلامية، العدد ١٤ بحث التيجانية.

يقول صاحب جواهر المعاني عن شيخه أحمد التيجاني:

«قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخبرني سيد الوجود يقظة لا مناماً، قال لي أنت من الآمنين، ومن رآك من الآمنين إن مات على الإيمان» [١] !!

وتأمل ما قاله محمد مهدي الرفاعي الشهير بالرواس في كتابه (رفرف العناية) ما نصه: «أفاض عليَّ حبيبي [يعني الرسول ﷺ] عهداً جامعاً في حضرة قربة، بين الجحاجحة الأعيان من آله وصحبه، وخلص أتباعه وخاصة حزبه، في مشهد مشاهدة، ومحضر مكافحة، ومحاضرة في سدرة مشافهة استغرقت بنورها، وانغمست بسرورها، وهذا نص العهد المبارك المتمثل المطاع المؤيد المؤبد الذي لا ينحل إن شاء الله عقده، ولا ينقض عهده...» ثم سرد هذا العهد إلى أن قال: «ولتعلم أنك الوارث المحمدي والنائب الأحمدي المؤيد بالنظر النبوي الملحوظ بالعزم الرسولي، المبارك الوجه، المقبول الجاه في الحضرة، فجدد لأهل القبول أمر دينهم بك وبمن اتبعك من أهل التوفيق... والبيعة سارية فيك وفي وارثك، ومن انتمى إليك...»ا.هـ [٢]

ولا شك أن عرض أقوالهم هذه كاف في ردها وقد سبق الرد عليهم في

---

(١) جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني لعلي بن حرازم الفاسي (١/ ١٢٩).

(٢) رسالة النائب العام عن كل ما تقدم من الحكم والأحكام لمحمد مهدي الرفاعي الحسيني، ص ٢٦٣ وما بعدها، مطبوع ضمن المجموعة النادرة لأبناء الآخرة.

المبحث السابق.

وإني لأعجب إذن كيف يصدق مثل هذا القول وينخدع به عوام كثيرة من الناس، وبين أيديهم مشكاة النبوة الصحيح ونور الهدى البين!!

يقول أحمد التيجاني: «لما أمرني ﷺ بالرجوع إليها – يقصد صلاة الفاتح – سألته ﷺ عن فضلها؟ فأخبرني أولاً: بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانياً: أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون، ومن كل ذكر، ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن القرآن ستة آلاف مرة»أ. هـ[١] .

ومثل ذلك يقع لأهل الكتاب مع المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ إذ يتمثل الشيطان بصورته ويخاطبهم ويأمرهم وينهاهم، وكان سبب ضلال وفتنة عظيمة لهم[٢].

٥- الإتيان بشريعة غير شريعة محمد ﷺ ، والادعاء بأنهم يرون الملائكة وتخاطبهم ونزول الرقاع عليهم من الله:

يقول صاحب كتاب جواهر المعاني: «... فلا يعترض سيأ [٣] من أمور

(١) جواهر المعاني، لعلي الفاسي (١/ ١٣٦).

(٢) انظر: الجواب الصحيح، لابن تيمية (١/ ٣٢٠).

(٣) كذا بالأصل، ولعل الصواب شيئا.

الشيخ، فإن لم توافق ما عنده من ظاهر العلم أو باطنه فليعلم أن هناك دقائق بين الشيخ وربه لا يدريها التلميذ والشيخ يجرى على منوال تلك الدقائق التي بينه وبين ربه، فإذا خالف صورة ظاهر الشرع، فليعلم أنه في باطن الأمر يجري على منوال الشرع من حيث لا يدريه الخلق(!!)...» أ. هـ[١] .

ومن هذا الكلام يتبين أن للشيخ أن يشرع شرع مخالفاً لشريعة محمد ﷺ ، ولا ينكر عليه لأنه على زعمهم موافق لـه في الباطن – نسأل الله السلامة والعافية – وجعلوا هذا الشيخ معصوماً كالأنبياء.

حيث يقول صاحب الكتاب نفسه:

«... فليس يظهر الكمال صورة ومعنى وحسا بريئاً من النقص بكل وجه وبكل اعتبار إلا في ثلاث مراتب فقط، لا ماعداها وهي الرسالة لمن دخل حضرتها، والنبوة لمن دخل حضرتها والقطبانية لمن دخل حضرتها، فإن هذه الثلاثة لا صورة للنقص فيها، ولو ظهر للمرء فيها صورة نقص فذلك النقص هو غاية الكمال، وإنما ينتقصه المرء بجهله» [٢] .

ولهذا يرون عدم الاعتراض على الولي وطاعته طاعة عمياء، حتى ولو أمر بغير حق: «حتى قال بعض المشايخ لبعض المريدين أرأيت لو وجهك شيخك في أمر، فمررت بمسجد تقام فيه الصلاة فما تصنع فقال أمضي لأمر

(١) جواهر المعاني، لعلي حرازم الفاسي (١/ ١٣٣)، دار الجيل، بيروت.
(٢) المرجع السابق (١/ ١٣٣).

الشيخ، ولا أصلي حتى أرجع إليه فقال له أحسنت» (١) .

ومن أقوالهم: «ومن شرط المريد أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل إن غسل عضواً من أعضائه قبل عضو آخر أو حركة أو تصرف فيه كيف يشاء بما يرى من المصلحة فلا يخطر عليه خاطر اعتراض ولو عاينه قد خالف الشريعة» (٢) .

---

(١) رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم، مطبوع بهامش جواهر المعاني (١/ ١٣٤).

(٢) المرجع السابق (١/ ١٣٤).

* ومما يتعجب له معرفتهم بالأحوال الشيطانية التي تقع للعباد ومع ذلك وقعوا في أعظم منها – نسأل الله الثبات – حيث يقول صاحب هذا الكتاب: «الفصل الموفي عشرين: تحذيرهم عن قصد الكشوفات الكونية والكرامات العيانية، لئلا يركنوا إليه فيجد الشيطان سبيلاً إلى إغوائهم وإضلالهم فيريهم من الأباطيل ما يكون استدراجاً لهم، كما يقع لكثير ممن ركن إلى ذلك فضل وأضل، وهلك وأهلك، قيل لأبي يزيد فلان يمشي في ليله إلى مكة، فقال: الشيطان يمشي في ساعة من المشرق إلى المغرب في لعنة الله تعالى، وقال زين العابدين الخوافي في الوصايا: ولا يدخل الخلوة لقصد كشف كوني أو تحصيل كرامات عيانية فإن من دخل الخلوة على هذه الأماني.

ولا يراعي شرط الإخلاص، يتصرف فيه الشيطان، ويلعب به ويتسخر ويريه الأشياء الباطلة بصورة الحق، وقال دخل واحد من الأصحاب في خرسان الخلوة بلا إذن، وبلا وقت، فجاء إليه الشيطان في صورة الخضر فقال له: أتريد أن تحصل لك العلوم اللدنية، فقال: نعم، وكان مائلاً إلي يتكلم بالمعارف على جريان اللسان، فقال له: افتح فاك، ففتح فاه، فرمى الشيطان بزاقه في فيه. ثم بعد ذلك صنف كتاباً مشتملاً على أبواب من المعارف، فلما وصل إلى الملاقاة عرض على ما صنف وحكى واقعته، فقلت يا مسكين ذلك كان الشيطان قد جاء إليك في صورة الخضر ولعب بك وشغلك عن طاعة الله تعالى وذكره رح، واغسل الكتاب وتب إلى الله...»أ. هـ!! (١/ ١٤٠-١٤١).

أقول: وشهد شاهد من أهلها، فيتضح من أقوالهم وشهادتهم هذه أن ما هم فيه من الباطل ما هو إلا

= =

وفي مسألة نزول الملائكة ومشاهدتهم ومخاطبتهم لها، ونزول الرقاع من الله تعالى عليهم، يقول الغزالي: «ومن أول الطريق تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً، ويقتبسون منهم فوائد» (١) .

وينقلون عن ذي النون المصري (٢) قوله: «رأيت شاباً عند الكعبة يكثر الركوع والسجود، فقلت لـه فيه، فقال: أنتظر الإذن من ربي بالانصراف، فسقطت عليه رقعة فيها: من العزيز الغفور إلى عبدي الصادق انصرف مغفوراً لك» (٣) .

ويزعمون أن الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ يقابلهم ويبلغهم بأوامر ونواهٍ يعتبرونها.

= =

من مكايد إبليس اللعين، حمانا الله من شره ومكره وألاعيبه... آمين.

(١) المنقذ من الضلال، للغزالي، ص ١٤٥.

(٢) ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المصري أبو الفياض، أو أبو الفيض: أحد الزهاد، من أهل مصر، نوبي الأصل من الموالي، كانت لـه فصاحة وحكمة وشعر، وهو أول من تكلم بمصر في «ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية» فأنكر عليه عبدالله بن الحكم، واتهمه المتوكل العباسي بالزندقة، فاستحضره إليه وسمع كلامه، توفي بالجيزة بمصر سنة ٢٤٥هـ، الأعلام، للزركلي (٢/ ١٠٢) بتصرف يسير، وانظر: تاريخ بغداد، للخطيب (٨/ ٣٩٣ وما بعدها).

(٣) جامع كرامات الأولياء للنبهاني (١/ ٦٢٥).

* ويا ليت شعري من أين جاءت هذه الرقعة؟!!ما أظنها إلا من شيطان مريد يريد إضلال هذا العبد!!

ولا شك أن هذه الأقوال المنكرة ما هي إلا تشريع لدين جديد، لا يصح أن نعترض على شيء من شرائعه عندهم، وضعه لهم شيخهم إبليس اللعين فقد بين الله تعالى لنا أقواله في القرآن الكريم.

فقال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٢) .

وقد سبق بيان تحريم التحاكم إلى غير الله والحكم بغير ما أنزل الله.

ولسائل أن يسأل ما هي هذه الفوائد التي يقتبسونها من الملائكة، وهذه الرقاع التي تنزل عليهم؟! وما هي هذه الشريعة التي جاءوا بها؟! هل هي موافقة لما في الكتاب والسنة أم مخالفة لهما؟!!

فإن كان موافقاً لا حاجة لنا به، وإن كان مخالفاً كان هذا اتهاماً للدين بعدم كماله، إن كان في ذلك مخالفة لـه في الأخبار، وإن كان في الأحكام عُدَّ نسخاً لهذا الدين(٣) .

وهذا خلاف ما أجمعت عليه الأمة من تمام هذا الدين وكماله، وختم الرسالات بنبوة محمد ﷺ ، وهم يعتقدون ذلك وقولهم هذا أشد قبحاً من

---

(١) سورة ص، الآية: ٨٢.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٣٩.

(٣) انظر: عقيدة ختم النبوة، ص ١٦٣، وانظر: ١٤٨، وما بعدها، مجموع الرسائل والمسائل، (٤/ ٥٠/ ٥١).

فعل أهل الكتاب الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله، كما ذكر الله تعالى عنهم: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [1] ، فهؤلاء كتبوا كتب الكفر والزندقة، ثم زعموا أنها وحي منزل عليهم أنفسهم من عند الله تعالى وإنما هي في الحقيقة وحي الشيطان [2] .

روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كنت قاعداً عند ابن عباس فجاءه رجل من أصحابه، فقال: يا ابن عباس، زعم أبو إسحاق [3] – يعني المختار بن أبي عبيد – أنه أوحى إليه الليلة، فقال ابن عباس: صدق،

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

(٢) انظر: مجموع الرسائل والمسائل، لابن تيمية (٤/ ٥٠/ ٥١).

(٣) المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، يكنى أبو إسحاق، سكن البصرة بعد موت علي، شهد مع ابن الزبير بداية الحرب مع الحجاج، ثم ذهب إلى الكوفة ودعا الناس إلى إمامة محمد بن الحنفية، وقال إنه استخلفه فبايعه جمع غفير وسار بهم إلى الكوفة، وكان يتزين بطلب دم الحسين، وكان يزعم أن ابن الزبير أمره أن يدعو الناس لمبايعة محمد بن الحنفية، ثم ادعى أن محمد بن الحنفية هو المهدي المنتظر، وقد غلب واشتهر أمره واستمر في الإمارة ستة عشر شهراً.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمته: «يكنى أبا إسحاق، ولم يكن بالمختار، ليست له صحبة ولا رؤية، وأخباره غير مرضية، حكاها عنه ثقات مثل الشعبي وغيره»أ.هـ.

انظر في ترجمته: الإصابة لابن حجر (٦/ ١٩٨-٢٠٠)، الفرق بين الفرق للبغدادي، ص ٣١-٣٧، الأعلام للزركلي (٧/ ١٩٢).

فنفرت [١] فقلت: يقول ابن عباس صدق؟ فقال ابن عباس: هما وحيان: وحي الله ووحي الشيطان فوحي الله إلى محمد، ووحي الشيطان إلى أوليائهم» [٢] .

٦- ادعاؤهم إحياء الموتى:

يقول البريلوي [٣] : «إن الأولياء يحيون الأموات ويبرئون الأكمه والأبرص ويطوف الأرض كلها بقدم واحد» [٤] .

ونقل الغلاة عن أحمد الرفاعي أنه دخل الرباط مع جماعة من القوم وفيه طفل نائم تحت الكساء، فلما استقروا وغنوا كعادتهم بالسحر (!!) ورقصوا داسوا الطفل، وقتلوه تحت أقدامهم، فلما علم والده ضاق ذرعاً وذهبوا إلى أحمد الرفاعي فقام وبسط خرقة وصلى ركعتين، ثم مد يده ودعا بدعوات، ثم نادى الطفل يا فلان اقعد صل ، قال: فقام الطفل ملبياً كأن لم يكن به ألم [٥] .

---

(١) المراد الراوي.

(٢) جامع البيان لابن جرير (٥/ ٢٠).

(٣) أحمد رضا أبوه نقي علي وجده رضا علي ولد ١٢٧٢هـ، سمى نفسه عبدالمصطفى وهو مؤسس طائفة البريلوية، وهي طائفة من طوائف شبه القارة الهندية الباكستانية.. تخدم الاستعمار نادى بتعطيل الجهاد لهم عقائد باطلة منها الغلو في ذات النبي ﷺ والأولياء ولهم كفريات شنيعة، انظر: البريلوية عقائد وتاريخ، تأليف إحسان الهي ظهير، ط. السادسة، إدارة ترجمان السنة.

(٤) الحكايات الرضوية، ص ٤٤، نقلاً من البريلوية عقائد وتاريخ، إحسان الهي، ص٧٤.

(٥) انظر: جامع كرامات الأولياء، للنبهاني (١/ ٤٩١).

وهذا من الكذب والافتراء، فلا يستطيع أحد أن يحيي الموتى، ولا يملك ذلك سوى الله تعالى، أو من أعطاه تعالى هذا بإذنه كعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال تعالى: ﴿ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ ﴾ (١) .

وكما في قصة الغلام المؤمن (٢) .

٧- إنهم يعلمون منطق الطير وسائر اللغات:

وهذه قصة لأحد أولئك المفتونين وهو محمد مهدي الصيادي الرفاعي الحسيني الشهير بالرواس حيث يقول:

«كنت سنة اثنتين وخمسين ومائتين وألف في مكة المكرمة، في بيت الله الحرام، وقد استقبلت القبلة واشتغلت بذكر الله تعالى، فسمعت بلبلاً يبرقم بلغة كنت سمعتها في ديوان حضور(!!) وعلمنيها رجل غيبى، بأمر نبوي،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

(٢) كما في صحيح مسلم، كتاب: «الزهد والرقائق»، باب: (قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام»، رقم: ٣٠٠٥، (٤/ ٢٢٩٩-٢٣٠١).

* وقد وقعت بعض الكرامات لبعض اتباع محمد ﷺ كصلة بن أشيم عندما «مات فرسه، وهو في الغزو، فقال اللهم لا تجعل لمخلوق عليَّ منة، ودعا الله عز وجل فأحيا له فرسه، فلما وصل إلى بيته قال يا بني خذ الفرس فإنه عارية، فأخذ سرجه فمات الفرس» الجواب الصحيح (١/ ٢٨٠).

وهذه الكرامات ظهرت لهم لصلاحهم واستقامتهم، ولم يطلبوها ويدعوها بالإضافة إلى إن ذلك حصل لهم بدعاء الله تعالى والتضرع إليه.

فلذلك فهمت ما برقم به البلبل يخاطب رفيقاً لـه، فكتبت قوله والجواب الذي ردَّ له في هذه الصفحات المباركة القليلة، وإنها لمن أعجب العجائب، وأغرب الغرائب، يعرف سرها العارفون...».

ثم أطال في ذكر ما قال هذا البلبل الغريب!! هو وصديقه البلبل الآخر من كلام فيه من الكذب والافتراء والغلو ما لا يخفى على عاقل حتى قال:

«فقال البلبل الأول: ... وأنت بالله عليك هل تعرف أن هذا الملتحف بكسائه الرثّ المستقبل الكعبة هو يعلم لغتنا هذه، وقد فهم كل ما قلناه؟

فقال الثاني: لا والله ما علمت هذا.

قال الأول: بلى وهو من آل رسول الله ﷺ، ومن نوّابه الذين أشرت إليهم، ونوهت عليهم، وهو عالم الزمان وشيخ الأوان.

فقال الثاني: تعالى نتبرك به، ونقبل قدميه (!!)، وقد وجب ذلك بعد أن علمنا أنه علم ما قلناه، وفهم ما ذكرناه...».

وبعد ختام هذه الرواية الباطلة أعطاه البلبل صحيفة بيضاء وضعها فوق مقام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ (!!)

وفيها: «هذا غريب الغرباء، أبو البراهين، باني مباني أحكام الطريقة المرضية الرفاعية، شيخ الأئمة، نور المدد المصطفوي الذي ستجلى به الظلمة، الرفاعي الثاني، الإمام الأوحد الرباني، طلسم البرهان المحمدي الذي لا يدافع...» إلى قولـه: «هذه آية الله المخبأة في دفتر الغيب ينتفع بقراءة فحواها

والاندماج في ظل معناها كل من لله فيه عناية، يصل به الله ويقطع، ويعطي ويمنع، ويرفع ويضع، هذا الزاهد الواجد، الآبد الماجد...إلخ» [١] .

ثم بعد ذلك غاب عن الوجود للذة نشأته ستة أشهر لا يصحوا إلا في أوقات الفروض وباقي الأوقات غائب في سكر الضلال والتيه [٢] .

ولسائل أن يسأل من هو هذا الرجل الغيبي الذي جاء إليه وعلمه لغة هذا البلبل؟!! فإما أن يكون من الملائكة أو من الشياطين...

فإن كان من الأول فهل جاء أن الملائكة تأتي لتعلم الناس لغة الطيور والبلابل، وتخاطب الناس، وإذا جزمنا نفي الأول فيقال أنه من الشياطين أو أن هذه القصة بكاملها كذب واختلاق لفتنة العباد.

ثم هذا الولي!! إذا كان ولياً حقاً فهل يصدر من الأولياء تزكية أنفسهم ومدحها وادعاء الكرامات والتحدث بها!!

وهذه الصحيفة التي رماها عليه هذا البلبل، وما فيها من الكذب والغلو والمدح والتعظيم، هل وقع مثل ذلك لأحد من الصحابة وهم الذين – رضي الله عنهم وأرضاهم – وقرنهم خير القرون، وهم أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ .

---

(١) رسالة بعنوان: «برقمة البليل» لمحمد مهدي الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس، ص ٦٩-٨٣، مطبوعة ضمن المجموعة النادرة لأبناء الآخرة، جمع وتحقيق: عبدالحكيم بن سليم عبدالباسط.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٨٢-٨٣.

ولو سلمنا بولايته واستحقاقه لهذا المديح، فهل نصدق بصحيفة يرمي بها طائر، ويكون ما فيها معتمداً موثقاً يصح العمل به ونسب ما فيه إلى أنه من الله تعالى؟! وهل يصح لعاقل أن يعتقد في شريعة الله اعتقاد مصدره صحيفة يرمي بها طائر؟!

وما هي حالة السكر التي أصابته لمدة ستة أشهر لا يفيق إلا في أوقات الصلاة؟!

ومن هنا تتجلى مكايد إبليس من خلال هذه الوقائع ومنها:

١- فتنته لهذا الرجل بإسماعه صوت الطائر في ديوان حضور سابق ليألف صوته.

٢- مجيئه بصورة رجل غيبي وتعليمه للغة هذا الطائر.

٣- استغلال وقت العبادة والجلوس في المسجد الحرام لإيهامه إن هذه الحال جاءت لشدة العبادة والإقبال على الله تعالى، فيصدقها بعكس لو جاءه في وقت غفلة أو ذنب.

٤- المديح والإطراء عليه، وهذا هو مدخل إبليس الخفي على النفوس حيث يشغلها بالمدح لتخدع بمعسول الكلام عن الحق وقبوله.

وتأمل قولهم: «تعال نتبرك به ونقبل قدميه، وقد وجب ذلك بعد أن علمنا أنه علم ما قلناه، وفهم ما ذكرناه...».

٨- ادعاء العصمة لهم:

ودعوى عصمة الأئمة أكثر من قال بها الرافضة والمتصوفة [١].

يقول بعض علمائهم: «إن الإمام يتعين بالنص من النبي، ولا يجوز لنبي إغفال النص على خليفته وتفويض الأمر إلى اختيار الأمة، وأن الإمام معصومٌ من الكبائر والصغائر...» [٢].

ويقول الطبرسي[٣] في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾[٤]: «استدل أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لا يكون إلا معصوماً عن القبائح لأن الله سبحانه نفى أن ينال عهده الذي هو الإمامة ظالم، ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً إما لنفسه وإما لغيره...»ا. هـ[٥].

---

(١) ذهب كثير من المحققين والباحثين إلى أن عقيدة الصوفية مأخوذة من عقيدة الرافضة، انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٤٣٩)، الصفدية، ص ٢٦٢، التصوف المنشأ والمصادر، ص ١٦٢، ولاية الله والطريق إليها، ص ٧٠-١٠٧، الصوفية معتقداً ومسلكاً، ص ١٠١.

(٢) الشيعة والحاكمون، لمحمد جواد مغنية، ص ١٢-١٣.

(٣) الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، مفسر، محقق لغوي من الشعة الإمامية، نسبته إلى طبرستان، توفي سنة ٥٤٨هـ، من مؤلفاته: «مجمع البيان في تفسير القرآن»، «جوامع الجامع»، وغيرها، انظر: الأعلام، للزركلي (٥/ ١٤٨).

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن (١/ ٣٨٠).

وأما الصوفية فيعبرون عنها (بالحفظ) يقول القشيري [١] : «الولي لـه معنيان أحدهما: فعيل بمعنى مفعول، وهو من يتولى الله سبحانه أمر، قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [٢] ، فلا يكله إلى نفسه لحظة، بل يتولى الحق سبحانه رعايته، والثاني: فعيل مبالغة من الفاعل، وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته، فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان»أ. هـ [٣] .

ويقول أيضاً: «ومن شرط الولي: أن يكون محفوظاً، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً» أ. هـ [٤] .

وفي الرد عليهم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وأما عصمة الأئمة فلم يقل بها إلا – كما قال [٥] – الإمامية والإسماعيلية[٦]، وناهيك بقول لم

---

(١) عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك ابن طلحة النيسابوري القشيري، من بني قشير ابن كعب، أقام بنيسابور ومات فيها سنة ٤٦٥ هـ، قال الخطيب: «كان يعرف الأصول على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشافعي»، أخذ التصوف عن أستاذه أبي علي الدقاق، من كتبه «الرسالة القشيريه»، وكتاب: «لطائف الإشارات» وغيرهما.

انظر: تاريخ بغداد، لابن الخطيب (١١/ ٨٣، طبقات الشافعية، للسبكي (٥/ ١٥٣-١٦٢)، الأعلام، للزركلي (٤/ ٧٥).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٦.

(٣) الرسالة القشيرية، للقشيري (٢/ ٥٢٠).

(٤) المرجع السابق (٢/ ٥٢١).

(٥) يقصد شيخ الإسلام الرافضي ابن المطهر الحلي.

(٦) الإسماعلية: ينتسبون لإسماعيل بن جعفر، واختلفوا في موته فمنهم من قال بموته، ومنهم من

= =

يوافقهم عليه إلا الملاحدة المنافقون الذين شيوخهم الكبار أكفر من اليهود والنصارى والمشركين»أ. هـ[١] .

والشيعة الإمامية أول من قال بالعصمة لغير الأنبياء [٢] وهم يزعمون أنهم أخذوا هذا القول عن أئمة أهل البيت وهذا باطل من وجوه:

منها: أن هذا مخالف لما أثر عن أئمة البيت - رحمهم الله جميعاً ورضي عنهم -.

ومنها: أن الشيعة الإمامية مخالفون لعقائد أهل بيت رسول الله ﷺ في الصفات والقدر والإمامة وغيرها من مسائل الدين.

ومنها: أنهم مختلفون كثيراً فيما بينهم، فأي مذهب هو الصحيح وأي معصوم منهم هو الأصوب للأخذ برأيه.

ومنها: إن أقوالهم هذه لا أسانيد لإثبات صحة نسبة القول إلى الإمام والحكم عليه بالصحة أو البطلان كما هو منهج أهل السنة [٣] .

كما أن ما ادعاه هؤلاء من العصمة والوصاية وغيرهما دعوى مجردة من

= =

قال: إنه لم يمت وإنما أظهر موته تقية ومن أشهر ألقابهم الباطنية وسموا بذلك لقولهم بأن لكل ظاهر باطن، ومن ألقابهم القرامطة، والمزدكية، وهم من فرق الشيعة الغلاة وقد خلطوا كلامهم بآراء الفلاسفة، وصنفوا في ذلك المصنفات، انظر: الملل والنحل، للشهرستاني (١/ ١٩١ وما بعدها).

(١) منهاج السنة، لابن تيمية (٣/ ٣٧٤)، تحقيق: رشاد سالم.

(٢) انظر: جامع الرسائل، لابن تيمية، ص ٢٦٤.

(٣) انظر: منهاج السنة (٤/ ١٦-١٩).

الدليل وما جاء من الأدلة عندهم لا تخلو من أمرين:

الأول: استدلالهم بالنص الصحيح على غير وجهه وتأويلهم إياه تأويلات باطلة.

الثاني: وضعهم الأحاديث التي تؤيد مذهبهم، وزعمهم أن هذا منقول عن النبي ﷺ ، وإن كان مقصود الرافضة بأن هؤلاء الأئمة لديهم من العلم والدين ما يؤهلهم أن يكونوا أئمة مطاعين، فهذا ليس قاصراً عليهم، بل في الأئمة سواهم كثير، ممن نفع الله بعلمه، وممن نقلوا الأحاديث والآثار رواية ودراية.

وأئمة الشيعة لا يخلو الواحد منهم من إحدى حالتين:

الأولى: أن يكون الإمام موجوداً، وهذا تعترف به أهل السنة، وتعتقد علمه وفضله، لكن لا تقول بعصمته، كما إنها تأتم به وبغيره من العلماء والأئمة من غير آل البيت، ولا تفضل واحداً منهم على ما أجمعت الأمة على تفضيله كأبي بكر وعمر وعثمان.

الثاني: الإمام المعدوم الذي في السرداب والذي لا يُرى، ولا تعلم حاله، ويقوم بالولاية عنه فاسق أو كافر أو ظالم فهذا تنكره أهل السنة وتخالف مدعيه [١] .

---

(١) انظر: منهاج السنة، لابن تيمية (٤/ ١٠٣-١١٩).

وما استدلوا به على عصمة الأئمة من قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (١) .

لا دليل فيها على عصمة الأئمة من وجوه:

الأول: إنهم يرمون في تأويل هذه الآية، بهذا التأويل نفي صحة ولاية الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مع ثبوتها بإجماع الصحابة وغيرهم في ذلك العصر مع جلالتهما، وسابقتهما في الإسلام، وعليه فقولهم مردود، لفساد أصله، وليس في الآية نص على تعيين إمام معين فقولهم هذا تعسف.

الثاني: أن العلماء قد اختلفوا في العهد الذي لا يناله الظالم، فقيل: هو النبوة، وقيل: دين الله، وقيل: الإمامة (٢) ، والجزم بقول واحد، لابد فيه من إقامة الدليل.

الثالث: لا اختلاف في أن الظالم لا يكن أن يكون إماماً يقتدى به، ولكن على قول الرافضة يصبح جميع أفراد الأئمة – عدا الرافضة وأئمتهم – ظالمين، وهذا قول لم يقل به أحد.

الرابع: إن بين لفظ «الظلم» ولفظ «العصمة» اختلافاً، وتبياناً ولا يلزم من

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٢) انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري (١/ ٥٣٠-٥٣٢).

انتفاء العصمة، ثبوت الظلم، وإلا لكانت الأمم غير الأنبياء ظالمين.

الخامس: إن ثبوت العصمة لبشر، أمر يتنافى مع الطبيعة البشرية، ولا يمكن الجزم به لأحد، ما لم يدل على ذلك دليل قطعي [١] ، والعصمة لم تثبت لبشر غير الأنبياء – عليهم صلوات الله وسلامه – وهذه العصمة فيما يبلغون عن الله تعالى، ولو ثبت لأحد لكان أحق بها عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقد شهد له رسول الله ﷺ بأنه من المحدثين، كما سبق في قولـه ﷺ : (لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون فإن يك من أمتي أحد فإنه عمر).

وأن الشيطان يفر من طريقه، ومع ذلك فهو يخطئ ويصيب، ويراجعه أصحابه ويرجع إلى أقوالهم [٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وهذا الذي ذكرته من أن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة، وإنه ليس منهم معصوم يسوغ لـه أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من دون اعتبار بالكتاب والسنة، وهو مما اتفق عليه أولياء الله عز وجل ومن خالف في هذا فليس من أولياء الله سبحانه الذين أمر الله باتباعهم، بل إما أن يكون كافراً وإما أن يكون مفرطاً في الجهل»أ. هـ [٣] .

---

(١) انظر: الإمامة عند الجعفرية، لعلي أحمد السالوس، ص ٤٧-٥٢.

(٢) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية (١/ ٥٣).

(٣) الفرقان، ص ٣٧.

ومما يرد عليهم هذا القول أيضاً: إن الله وصف الأولياء بالإيمان والتقوى، وفي آية أخرى وصفهم بالتقوى مع وقوع بعض السيئات فدل على أن تقواهم لا تمنع من وقوع بعض الآثام لعدم العصمة [١] ، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[٢].

وهذا الغلو أوقعهم في الشرك الأكبر – والعياذ بالله – إذ أصبحوا يتبركون بهم ويستشفعون بهم، ويقدمون لقبورهم القرابين، ويعتقدون أن بيدهم النفع والضر بل زاد شركهم عن شرك أهل الجاهلية [٣] .

يقول الاسفراييني [٤] رَحِمَهُ ٱللَّهُ : واعلم أن هذه (المقالة) [٥] التي رويناها عن الروافض ليست مما يستدل على فسادها، فإن العاقل ببديهة العقل يعلم فسادها وينكر عليها، فلا يمكن أن تحمل منهم هذه المقالات إلا على أنهم

---

(١) انظر: مجموع الرسائل والمسائل، لابن تيمية (١/ ٥٤).

(٢) سورة الزمر، الآيات: ٣٣-٣٥.

(٣) انظر: تطهير الاعتقاد، للشوكاني، ص ٢٦-٣٣.

(٤) شهفور بن طاهر بن محمد الاسفرايني، أبو المظفر، فقيه أصولي، مفسر صنف التفسير الكبير، وصنف في الأصول، توفي سنة ٤٧١هـ، انظر: طبقات الشافعية (٥/ ١١)، الأعلام للزركلي (٣/ ١٧٩).

(٥) بالأصل مقاتلة وهو خطأ لفظي.

قصدوا بها إظهار ما كانوا يضمرونه من الإلحاد والشر بموالاة قوم من أشراف أهل البيت، وإلا فليس لهم دليل يعتمدون عليه» [١] .

أما لفظ التصوف فلم يعرف إلا بعد القرون الثلاثة الأول [٢] ، ومن هنا، فهو بدعة منكرة، وطريقة مستحدثة، وهو معول هدم في جسم الأمة الإسلامية، ولننظر إلى حال السلف الصالح فمن سار على نهجهم فهو ولي، ومن خالف ذلك فليس بولي، وما عليه غلاة الصوفية من بدع وغلو – شابهوا فيه الرافضة – مخالف تماماً لما كان عليه السلف الصالح – رضوان الله عليهم أجمعين – والشيعة والصوفية بهذا قد جعلوا الولاية قصراً لطائفة مخصوصة تنتقل إليهم بالوراثة والنسب ولا حق لغيرهم فيها.

٩- خروجهم عن الصفات البشرية في بعض الأحوال:

يقول صاحب كتاب سيماء الأولياء:

«سألت السيد [٣] بأنني سمعت أن يدك حينما كانت مكسورة ووضعت عليها الزفت بأمر الطبيب، قالوا لك: ألا تزيل الزفت حتى ينقشع من ذاته، فماذا فعلت؟ قال: نعم، كان الأمر كذلك ولم ينقشع الزفت عن يدي لمدة أربعة عشر يوماً قلت: وكيف كنت تتوضأ طيلة تلك المدة؟ قال: صدر الأمر

(١) التبصير في الدين، ص ٤٠، للاسفرايني.

(٢) انظر: رسالة الصوفية والفقراء، لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٣.

(٣) يقصد شيخه ووالده حسن على الأصفهاني.

– حسب المشيئة الإلهية – إلى طبيعتي البشرية بالتوقف عن أي عمل ونشاط، وألا يمر النوم على عيني، ولم يعرض لي خلال هذه المدة ما يبطل الوضوء...إلخ» (١) .

كما أنهم ينفون عن الأولياء وقوع الموت، فهم لا يموتون بزعمهم ولكن ينتقلون من دار إلى دار (٢) .

ولا شك أن هذه الأقوال لا يمكن تصديقها، حتى الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – لم تنتف عنهم هذه الأحوال، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ (٤) .

فأنى لهؤلاء المبتدعة أن يأتوا بعد ذلك ويدعوا أن مشايخهم لا يموتون وإنما ينتقلون من دار إلى دار، ولا شك أن ذلك من التلبيس، وخداع العوام...!!.

---

(١) سيماء الأولياء وكراماتهم، لعلي المقدادي الأصفهاني، ص ٢٣.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٤٠.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢٠.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

١٠- ادعاء علم الغيب:

ومن أمثلة ذلك ما ذكره علي الأصفهاني عن الميرزا علي الجابري الأصفهاني في سنة ١٣٦٣هـ، قال:

«عزمت على زيارة مدينة شهد المقدسة فأوصاني السيد محمد صادق خاتون آبادي وأكّد علي بضرورة زيارة الشيخ حسن علي الأصفهاني في مشهد، عند عودتي سألني السيد خاتون آبادي: كيف وجدت الشيخ؟ قلت: لا بأس به، قال: إنك لم تعرفه حق معرفته، ولكن إذا واجهتك مشكلة فاتجه إليه، مرّت عليّ هذه الحادثة سنوات عديدة لم أر فيها الشيخ ولم أراسله إلى أن كانت أواخر سلطه رضاشاه، حيث جاءت مجموعة من الناس إلى المحكمة تشكو أن جلاوزة الشاة قد غصبوا أملاكهم وألحقوها بأملاك الشاه، فأصدرت حكمي ضد البلاط ورجعت إلى أصفهان. بعدة عدة أيام أخبرت بوجوب الذهاب إلى مركز الشرطة، لكنني وبدلاً من الذهاب إلى هناك ذهبت، إلى دار أحد أصدقائي، وتواريت فيها؛ وفي أحد الأيام تذكرت حديث السيد محمد صادق، وما أوصاني به بأن أتوجه إلى الشيخ حسن علي، فيما لو وقعت في مأزق، فكَّرت أول الأمر بمراسلته لكنني تصورت أن الرسائل خاضعة للرقابة في طهران، ولهذا السبب صرفت النظر عن مراسلته، بعد أيام جاء رجل إلى الدار التي كنت مختفياً فيها، وأخبر صاحب الدار أنه يحمل رسالة من الشيخ حسن علي الأصفهاني إلى الميرزا على الجابري على عنوان هذه

الدار، فصرخت من مكاني: نعم الرسالة لي، فتح صاحب الدار الباب وتسلمت الرسالة من الرجل، وكان مكتوب فيها: لقد خشيت أن تكتب لي رسالة، أما أنا فلا أخشى عملاً كهذا، وتضمنت الرسالة تعليمات أيضاً عليّ القيام بها خلال ثلاثة أيام ليحصل الفرج بعدها بإذن الله (!!)

واصلت الذكر والدعاء لثلاثة أيام. كما أوصاني، ومن بعدها وصلتني برقية من أصفهان تشير إلى أن بلاط الشاه طلب حضوري، وأنني سأحظى برعاية الشاه شخصياً، ذهبت من فوري إلى أصفهان ثم إلى طهران، واتجهت إلى بلاط رضا شاه، كافأني الشاة وأجزل لي العطاء، ثم رجعت إلى محل عملي ورقيت فيه درجة(!!)» [١] .

ومن القصص الغريبة التي فيها ادعاء علم الغيب ما نقل عن آخر [٢] أنه قال: «في أحد الأيام التمستني امرأة علوية فقيرة، عباءة ومقنعة، فقلت لها: ليس عندي الآن ما يسد حاجتك، وصادف أن ذهبت في ذلك اليوم إلى الشيخ حسن علي الأصفهاني وعرضت عليه حاجتي، ولما أردت الخروج من عنده، أعطاني مبلغاً من المال وقال: اشتري بهذا المبلغ عباءة ومقنعة لتلك العلوية، ثم أضاف إلى ذلك توماناً وحوالة لاستلام ثلاث كيلو غرامات من الرز

(١) سيماء الأولياء وكراماتهم، على الأصفهاني، ص ٥٤-٥٥، وتأمل ما فيها من المنكرات وما فيها من المبالغات والتهويل لشأن هذا الرجل واطلاعه بما يدور في السرائر، نسأل الله العافية والسلامة.

(٢) هو مختار الروحاني كما ذكره المؤلف.

لأقدمها لها.

بقيت مندهشاً متفكراً كيف عرف الشيخ امرأة طلبت مني عباءة ومقنعه، نهضت من عنده، فخطر على ذهني ألا أعطيها التومان وحوالة الرز حالياً بل أرسلهما لها فيما بعد، ولكن تناهت إلى سمعي صيحة من الشيخ أن أفعل ما أمرتك ولا تتصرف من عندك(!!)» [١] .

(١) سيماء الأولياء وكراماتهم، علي الأصفهاني، ص٦٠ .

ويقول البريلوي:

«رأينا جماعة علموا متى يموتون وعلموا ما في الأرحام حال حمل المرأة وقبله»[١] .

ومن ادعاء الغيب عند أولياء الشيطان ادعاؤه عن طريق الكهانة والعرافة والتنجيم، وقد سبق في مكايده في مسائل توحيد الألوهية.

١١- تفضيلهم على أبي بكر وعمر وسائر الصحابة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«والرافضة تجعل الأئمة الاثنى عشر أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وغالبيتهم يقولون: إنهم أفضل من الأنبياء لأنهم يعتقدون فيهم الإلهية، كما اعتقدته النصارى في المسيح والنصارى يقولون إن الدين مسلم للأحبار والرهبان، فالحلال ما حللوه، والحرام ما حرموه والدين ما شرعوه، والرافضة تزعم أن الدين مسلم إلى الأئمة، فالحلال ما حللوه والدين ما شرعوه» [٢] .

وقد نقل صاحب كتاب الرماح عن شيخه أحمد التجاني قوله:

---

(١) خالص الاعتقاد، للبريلوي، ص ٥٣، نقلاً من البريلوية عقائد وتاريخ، لإحسان إلهي ظهير، ص٩٢.

(٢) دقائق التفسير (٢/ ١٥٢).

«قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله تعالى من لدن آدم إلى النفخ في الصور..»، وقوله: «إن مقامنا عند الله في الآخرة لا يصله أحد من الأولياء ولا يقاربه من كبر شأنه، ولا من صغر، وأن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور ليس فيهم من يصل مقامنا...»أ. هـ [١] .

ومن خلال هذه المكايد توصل إبليس إلى إيقاع العباد في ضلالات عظيمة أبلغها الشرك بالله تعالى، وهو غاية أهدافه ومساعيه.

فقد أقسم بعزة الله: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٢] .

وتوصل بهذه المكايد إلى أن من رأى أحمد التيجاني يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب، ولا مطمع لـه في عليين إلا أن يكون ممن ذكرهم التيجاني [٣] ، وأن من أخذ ذكر منه غفرت ذنوبه [٤] .

وأن الأوراد التي يلقنها أصحابه أفضل من القرآن [٥] .

وغير ذلك مما تعد التيجانية نموذجاً واحداً لها .. فكيف بمئات الطرق الصوفية التي فيها من تعظيم الشيوخ والغلو فيهم الشيء الكثير الذي يخرج

---

(١) الرماح، عمر سعيد الفوتي (٢/ ٥)، مطبوع بهامش جواهر المعاني.

(٢) سورة ص، الآية: ٨٢.

(٣) انظر: جواهر المعاني، لعلي الفاسي (١/ ١٢٩).

(٤) انظر: المرجع السابق (١/ ١٣٠).

(٥) انظر: المرجع السابق (١/ ١٣٦).

أغلبه عن ملة التوحيد، حتى وصل بهم الحال إلى تقديمهم على أنبياء الله ورسله!!

ومن خلال ما سبق تظهر الأسباب التي أدت على وقوعهم في هذه المكايد ومنها:

١- الرضا بالجهل بالدين - وقد سبق بيان ذلك وبينت كونه سبباً من أسباب الانحراف بالفطرة [١] - فلما عمّ الجهل بمقاصد الشريعة وحدودها، وعمّ الجهل بفهم النصوص فأُولت، وجاء من انحرف بها ولوى أعناقها لتأييد مذهب باطل، أو اجتهاد خاطئ، وسار الاتباع على منوال شيوخهم الذين جعلوا همهم ترديد أذكار البدع والضلال التي جعلوها أفضل من القرآن بمئات المرات، فأنى لهذه العقول أن تصدق بمثل هذه الخرافات والترهات لولا الجهل؟!

٢- اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [٢] .

٣- وضع الأحاديث المنكرة والموضوعة لتأييد مذاهبهم ونشر باطلهم وأكثر من شاع عنهم ذلك الشيعة [٣] .

---

(١) انظر ص

(٢) سورة الروم، الآية: ٢٩.

(٣) يقول ابن أبي الحديد الرافضي، صاحب كتاب شرح نهج البلاغة: «واعلم أن أصل الأكاذيب في
= =

ومما يؤيد هذا ما رواه مسلم عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل، فيأتي القوم، فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون، فيقول الرجل منهم: سمعت رجلاً أعرف وجهه ولا أدري ما اسمه يحدِّث)[١] .

٤- تعليقهم بأذكار مبتدعة والترويج بفضلها لإبعاد الناس عن القرآن الكريم والسنة النبوية.

كما في صلاة الفاتح حيث جاء في فضلها – في كتبهم – «... إن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانياً: أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون، ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنه من الأذكار» [٢] .

٥- الظهور في صورة الصالحين، وإسداء النصح بحيل شيطانية.

= =

أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة، فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم، حملهم على وضعها عداوة خصومهم»أ. هـ، (١١/ ٤٨-٤٩)، ط. عيسى الحلبي، مصر، ط. عام ١٣٨١هت، قال المغيرة: (لم يكن يَصدُق على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الحديث عنه، إلا من أصحاب ابن مسعود) صحيح مسلم المقدمة (١/ ١٤).

(١) رواه مسلم في المقدمة، باب: (النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها)، رقم: ٧، (١/ ١٢).

(٢) روح المعاني، لعلي الفاسي (١/ ١٣٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«والخوارق التي يضل بها الشياطين لبني آدم مثل تصور الشيطان بصورة شخص غائب أو ميت، ونحو ذلك ضل بها كثير من الناس المنتسبين إلى المسلمين أو إلى أهل الكتاب وغيرهم، وهم بنو ذلك على مقدمتين:

إحداهما: أن من ظهرت هذه على يديه فهو ولي لله، وبلغة النصارى هو قديس عظيم.

الثاني: أن من يكون كذلك فهو معصوم، وكل ما يخبر به حق، وكل ما يأمر به فهو عدل، وقد لا يكون ظهرت على يديه خوارق، لا رحمانية ولا شيطانية، ولكن صنع حيلة من حيل أهل الكذب والفجور، فيظن أن ذلك من العجائب الخارقة للعادة»أ. هـ[1] .

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«والشيطان إنما يضل الناس ويغويهم بما يظن أنهم يطيعونه فيه فيخاطب النصارى بما يوافق دينهم، ويخاطب من يخاطب من ضلال المسلمين بما يوافق اعتقاده وينقله إلى ما يستحب لهم فيه بحسب اعتقادهم...»أ. هـ[2] .

ويقول أيضاً: «ويتمثل لمن يستغيث به من ضلال المسلمين بشيخ من الشيوخ

(١) الجواب الصحيح، لابن تيمية (١/ ٣٢٥).

(٢) المرجع السابق (١/ ٣٢٠).

في صورة ذلك الشيخ، كما يتمثل لجماعة ممن أعرفه في صورتي وفي صورة جماعة من الشيوخ الذين ذكروا في ذلك، ويتمثل كثيراً في صورة بعض الموتى، تارة يقول: أنا الشيخ عبدالقادر.. وتارة يقول: أنا أحمد الرفاعي... وإذا كان يقول أنا المسيح، أو إبراهيم أو محمد؛ فغيرهم بطريق الأولى، والنبي ﷺ قال: (من رآني في المنام فقد رآني حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي) [1] ... فرؤيا الأنبياء في المنام حق، وأما رؤية الميت في اليقظة فهذا جني تمثل في صورته...»أ. هـ [2] .

ومن القصص الغريبة الدالة على ذلك ما ذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن «شيخ بمصر أوصى خادمه، فقال: إذا أنا مت فلا تدع أحداً يغسلني، فأنا أجيء وأغسل نفسي، فلما مات رأى الخادم شيخاً في صورته فاعتقد أنه هو

(١) * يقول عمر سيعد الفوتي صاحب كتاب الرماح نقلاً عن بعض شيوخه: «ولقد رأيته جاء إلي بصورة الخضر في زاوية نور اباد في خراسان في الخلوة، فقلت بعد كلام معه أريد أن أسمع منك حديثاً، سمعته من رسول الله ﷺ بلا واسطة، كما سمع الشيخ ركن الملة والدين علاء الدولة – قدس الله سره– منك بلا واسطة فتغير ثم إذا افتتحت الحديث وقلت قال رسول الله ﷺ إذا رأيت الرجل حجوحاً معجباً برأيه فقد تمت خسارته (!!) قام وهرب فتغير الصورة الخضروية إلى صورة لص مكدرة فقصدت أخذه فلم أدركه...»أ. هـ، بهامش جواهر المعاني (١/ ١٤٢).

فتعجب كيف يضل هؤلاء الشيوخ بصورة الخضر الذي يزعمون – وكيف تمكنوا من معرفة صورته – وكيف اختفى عند ذكر الصلاة على النبي ﷺ ، ومع ذلك فلأسف الشديد خدعوا وضلوا ضلالاً بعيداً وعلى رأسهم مؤلف الرماح الذي ينقل هذا الكلام ثم يقع في أعظم منه، عافانا الله وإياكم.

(٢) الجواب الصحيح، لابن تيمية (١/ ٣٢١).

دخل وغسل نفسه، فلما قضى ذلك الداخل غسله – أي غسل الميت – غاب، وكان ذلك شيطاناً كان قد أضل الميت، وقال: إنك تجيء وتغسل نفسك، فلما مات جاء أيضاً في صورته ليغوي الأحياء كما أغوى الميت قبل ذلك» [١] .

وقد يتصور لهم الشيطان في صورة طائر كالبلبل ونحوه من الطيور ويتكلم بلغة يفهمونها، كما سبق في قصة محمد بن مهدي الرفاعي الشهير بالرواس[٢]

٦- الرؤى المنامية الشيطانية التي يتراءى لهم إبليس، منها معظماً حال هؤلاء الأولياء، وهي على قسمين:

أ- الرؤى التي يراها هؤلاء الأولياء المفتونون من حزب إبليس فيصدر لهم أوامره بإسقاط الفرائض عنهم بل جميع العبادات وهذه تكثر عن شيوخ الطرق وأربابهم.

ب- الرؤى التي يراها أتباعهم، حتى جعلوا الوقوف بين يدي الولي أفضل من عبادة الله وجعلوه موعظة من نبينا محمد ﷺ فينقل عن أحد هؤلاء الأتباع أنه رأى النبي ﷺ في المنام فقال: عظني يا رسول الله، فقال له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : وقوفك بين يدي ولي لله كحلب شأة أو كشي بيضة خير لك من أن تعبد حتى تتقطع إرباً إرباً، قال حيا كان أو ميتاً يا رسول الله، قال:

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/ ٢٨٨)، وانظر: الجواب الصحيح (١/ ٣١٩).

(٢) انظر ص

حياً كان أو ميتاً...»أ.هـ[١] !!

هذه بعض الأسباب التي جعلت إبليس ينشر أباطيله، ويفتن كثير من العباد بتعظيم الأشخاص وتقديسهم.

ولهذا كان لـه مجال آخر في مسائل الغيبيات التي فتن بها كثير من الخلق كما سيأتي في الكتاب القادم والذي بعنوان مكايد الشيطان في مسائل الغيبيات– إن شاء الله – .

---

(١) رسالة بعنوان «فذلكة الحقيقة في أحكام الطريقة»، لمحمد مهدي الرفاعي الحسيني، ص ١٨١، ضمن المجموعة النادرة لأبناء الآخرة.

* أقول: وماذا يفعل في وقوفه بين يدي الولي، هل هو لتقبيل القدمين واليدين؟ أم للانحناء والخضوع؟! أم للتضرع والدعاء..؟!

وأين الدليل على ما تقولون؟ أم أنه الهوى الذي يجعلنا نأخذ الدين والأحكام من الرؤى والمنامات!!

ومن العجيب أنه يرد على نفسه في الكتاب نفسه ، ص ٢٣٦، في المادة (٣٤٣) فيقول: «عدم الاغترار بالمنامات كيف كان، فإن من غرته المنامات تحت طي المنى مات وحدها التفاؤل الحسن بالرؤية الصالحة، والاشتغال كل الاشتغال بالأعمال الصالحة...»أ. هـ.

يقول ص ٢٣٥: «رد ما يقع في الخاطر ويزعمه الزاعم إلهاماً ولم يكن مطابقاً للأحكام الشرعية فإن الجنيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قد تقع في خاطري النكتة من علوم القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين عادلين الكتاب والسنة»!!

الخـــاتـمـــة

وبعد أن منَّ الله العظيم الكريم عليّ بإتمام هذا البحث أحمده وأشكره وأثني عليه، بما هو أهله تعالى وتقدس، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه، ولعظيم سلطانه، وله الحمد على نعمه الظاهرة والباطنة، ولـه الحمد على نعمة الإسلام والإيمان والقرآن ونعمة الأهل والمال والمعافاة، وله الحمد على كل نعمة أنعم بها علينا في سر وعلانية أو خاصة أو عامة له الحمد حتى يرضى وله الحمد بعد الرضا وله الحمد إذا رضي.

وأصلى وأسلم على الرحمة المهداة، والسراج المنير نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآل بيته وأزواجه الطاهرات العفيفات ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وأسال الله تعالى بأسمائه وصفاته أن يجعله خالصاً لوجهه.

ولم تخل ملة من الملل إلا وحذرت أتباعها من الشيطان الرجيم [1]، وهو عدو ملازم لكل إنسان، فالقرين موكل بالعبد وهو كافر يأمره بكل فحشاء وسوء

---

(١) فمثلاً في الديانات المجوسية تعتقد إلهين خالق النور، وخالق الظلمة، الذي يزعمون أنه خلق سائر الشرور، وفي الديانة النصرانية تجعل من إبليس شخصاً مسيطراً على الأرواح الشريرة، التي تحاول بدروها أن تهيمن وتضبط كل نشاط بشري، ففي انجيل بطرس ٥: ٨ (فأصبحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو)، وفي إنجيل متى (١/ ١١) الإصحاح الرابع: (وأخذه إبليس إلى جبل عال جداً، فأراه جميع ممالك الدنيا ومجدها وقال لـه: أعطيك هذا كله إن سجدت لي وعبدتني، فأجابه يسوع: ابتعد عني، يا شيطان، لأن الكتاب يقول: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد).

وهذا مما يزيد خطورة هذا العدو، الذي جند حياته لإضلال بني البشر، فهو ابتلاء للمسلم يحتاج فيها إلى صبر ومصابرة كي يخرج نقياً صافياً،﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ (١).

وقد بينت في هذا الكتاب مكايد الشيطان في مسائل التوحيد و النبوات ، وهو جزء من كتاب (مكايد الشيطان في مسائل الاعتقاد) وقد رأيت إفراده في كتاب ليسهل الانتفاع به وقراءته، نفع الله به وبأصله.

وأسأل الله تعالى ان يجعله خالصاً صواباً ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قالته وكتبته

الدكتوره قذله بنت محمد ال حواش القحطاني

الموقع الالكتروني

/http://www.d-gathla.com

(١) سورة الأنفال، الآية٣٧.

المراجـــــع

١- إثبات نبوة النبي ﷺ ، تأليف: أبي الحسن بن الحسين الحسني الزيدي، تحقيق: خليل أحمد إبراهيم، ط. الأولى ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، نشر دار الكتاب العربي.

٢- الآحاد والمثاني، أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني، ط. الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، دار الراية، الرياض، تحقيق د. باسم فيصل أحمد الجوابرة.

٣- الاحتفال بالمولد بين الاتباع والابتداع للشيخ محمد بن سعد بن شقير، ضمن رسائل حكم الاحتفال بالمولد.

٤- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.

٥- أدعياء النبوة عبر التاريخ، تأليف ديب علي حسن، ط. الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، نشر دار الحكمة.

٦- آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره، د. عمر بن إبراهيم رضوان، دراسة ونقد، ط. الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، دار طيبة – الرياض.

٧- الأربعين في أصول الدين، للرازي ، ط. الأولى ١٣٥٣هـ

٨- الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، للشيخ

عبدالعزيز السلمان طبعة المؤلف عام ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٩- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية بيروت.

١٠- الأصول والفروع لابن حزم الأندلسي، ط. الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، بيروت، دار الكتب العلمية، لبنان.

١١- الأضحوية في أمر المعاد، لابن سينا، ط. الأولى ١٣٦٨هـ، دار الفكر العربي، تحقيق سليمان دنيا.

١٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، نشر مكتبة ابن تيمية، ط. ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

١٣- إظهار الحق، تأليف رحمت الله الهندي، ط. الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، طبع ونشر إدارات البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، تحقيق: محمد أحمد محمد مكاوي.

١٤- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ط. السلام العالمية.

١٥- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي، ط. عام ١٣٩٨هـ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

١٦- إعجاز القرآن لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ط. الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، طبع ونشر مؤسسة الكتب الثقافية.

١٧- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى الرافعي، ط. الثالثة، نشر دار الكتاب العربي.
١٨- أعلام النبوة، تأليف: علي بن محمد الماوردي، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، راجعه وقدم له: طه عبد الرؤوف سعد.
١٩- الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين ط. التاسعة ١٩٩٠م.
٢٠- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان - تأليف محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم الجوزية، تحقيق وتصحيح وتعليق محمد عفيفي، المكتب الإسلامي، ط. الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٢١- أمية الرسول محمد ﷺ ، د. قحطان عبدالرحمن الدوري دار البشير ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
٢٢- الإنسان الكامل، عبد الكريم الجيلي، ط. الثالثة، مصطفى الحلبي، مصر.
٢٣- الإنسان روح لا جسد، رؤوف عبيد، ط. الثالثة، مطبعة نهضة مصر.
٢٤- الإنصاف فيما قيل في المولد الغلو والإجحاف، للشيخ أبي بكر الجزائري ضمن رسائل حكم الاحتفال بالمولد.
٢٥- أنوار التنزيل، للبيضاوي ، بيروت، مؤسسة شعبان
٢٦- الأنوار الوضيَّة في العقائد الرضوية، تأليف حسين بن الشيخ محمد العصفور البحراني، تحقيق: أبو أحمد بن خلف البحراني.

٢٧- الإيمان بالغيب، بسام سلامة، ط. الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، مكتبة المنار، الأردن.
٢٨- الإيمان بالملائكة -عليهم الصلاة والسلام- أحمد عزالدين البيانوني دار السلام ١٤٠٥- ١٩٨٥م.
٢٩- الإيمان لابن تيمية ص٣٦٩، تخريج العلامة ناصر الدين الألباني، ط. عام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، المكتب الإسلامي، بيروت.
٣٠- الباطنيون والحركات الهدامة للشيخ/ إبراهيم الجبهان، ط. الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار القلم - الكويت.
٣١- بحار الأنوار، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.
٣٢- البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، ط. الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، نشر دار الريان للتراث، القاهرة، تحقيق: د. أحمد أبو ملحم وآخرون.
٣٣- البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
٣٤- بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز، تأيف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ط. المكتبة العلمية، بيروت، تحقيق: محمد علي النجار.
٣٥- بيان مذهب الباطنية لمحمد بن الحسن الديلمي، ط. الثانية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، نشر إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان.

٣٦- تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر الطبري، ط. الأولى ١٤٠٧هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٧- تاريخ بغداد، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ط. دار الكتب العلمية.

٣٨- التخويف من النار والتعريف بحال البوار، للحافظ أبي الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٣م، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٩- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، تأليف: محمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني، ط. الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، نشر مكتبة الزهراء، تحقيق: د. السيد محمد سيد.

٤٠- تطهير الجنان واللسان، لأحمد بن حجر الهيثمي (مطبوع مع الصواعق المحرقة).

٤١- تفسير الجلالين، ط. الأولى، دار الحديث، القاهرة.

٤٢- تفسير الخازن، طبعة البابي الحلبي.

٤٣- تفسير الصافي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٤٤- تفسير العباس القمِّي، تصحيح وتعليق: طيب الموسوي الجزائري، دار السرور، بيروت، لبنان.

٤٥- تفسير الفخر الرازي، ط. الثالثة ١٤٠٥ / ١٩٨٥م، دار الفكر.

٤٦- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، ط. عام ١٩٥٧م، دار إحياء التراث.
٤٧- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، طبعة دار السلام، الرياض.
٤٨- تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي، ط. الثالثة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، دار الفكر.
٤٩- تفسير المعوذتين، لابن القيم الجوزية، تحقيق مصطفى بن العدوي، نشر مكتبة الصديق، ط. الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٥٠- تقريب التهذيب، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر، ط.الثالثة ١٤٠٠هـ/ ١٩٩١م، ط. دار القلم.
٥١- تلبيس إبليس للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي دراسة وتحقيق د. أحمد بن عثمان الزيد .ط.الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م دار الوطن الرياض.
٥٢- تلبيس إبليس للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي البغدادي ت٥٩٧، تحقيق د. السيد الجميلي، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط. السادسة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٥٣- تهذيب التهذيب، للإمام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط. الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، طبعة دار الفكر.
٥٤- التوحيد الأعظم، تأليف: أحمد علوان، ط. الأولى، ١٤١٠هـ/

١٩٩٠م، دار الفكر، بيروت، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، تحقيق: عبدالعزيز سلطان طاهر المنصوب.

٥٥- تيسير الكريم الرحمن لابن السعدي ط. الأولى ١٤١٦هـ مؤسسة الرسالة.

٥٦- جامع الأصول في الأولياء (الطرق الصوفية)، تأليف: أحمد النقشبندي الخالدي، تحقيق: أديب نصر الله، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، مؤسسة الانتشار، بيروت، لبنان.

٥٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، طبعة ١٤٠٥هـ/ ١٩٧٤م، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٥٨- جامع الرسائل، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ط. الأولى، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

٥٩- جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ط. الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس.

٦٠- جامع كرامات الأولياء، تأليف: يوسف بن إسماعيل النبهاني، ط. عام ١٤٠٩هـ، دار الفكر، تحقيق إبراهيم عطوة.

٦١- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الطبعة الثالثة، صورة عن الطبعة الثانية، المحققة والمصححة بدار الكتب المصرية.

٦٢- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، للسيد نعمان خير الدين الآلوسي، ط. عام ١٤٠١هـ/ ١٩٩١م، طبعة المدني، قدم له على السيد صبح المدني.

٦٣- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية، مطبعة المدني، تقديم وإشراف علي السيد المدني.

٦٤- جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التجاني، تأليف: علي حرازم العربي براده، دار الجيل، بيروت، ط. عام ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٦٥- الجواهر في تفسير القرآن، للشيخ طنطاوي جوهري مطبعة البابي الحلبي ١٣٥٠هـ.

٦٦- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، نشر دار مدني، تقديم: علي السيد صبح مدني.

٦٧- حاشية ابن عابدين، ط. الثانية، سنة ١٣٨٦هـ، دار الفكر، بيروت.

٦٨- حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار ﷺ، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي الشهير بابن الديبع الشيباني، طبع في قطر على نفقة أمير دولة قطر، تحقيق: عبدالله الأنصاري.

٦٩- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام

فيها تأليف محمد أحمد الخطيب مكتبة الأقصى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٧٠- الخصائص الكبرى، للإمام أبي الفضل جلال الدين السيوطي، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٧١- خصائص النبي ﷺ بين الغلو والجفا، عرض ونقد على ضوء الكتاب والسنة، تأليف: الصادق بن محمد بن إبراهيم، ط. الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، نشر مكتبة الرشد، الرياض.
٧٢- الخطوط العريضة للسيد محب الدين الحقيق، ط. التاسعة، ١٣٨٠هـ.
٧٣- دارسات في الفرق، د. صابر طعيمة، ط. الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، مكتبة المعارف، الرياض.
٧٤- دائرة المعارف، القرن العشرين، تأليف: محمد فريد وجدي، ط. الثالثة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
٧٥- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام جلال الدين السيوطي، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ، دار الفكر.
٧٦- درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، توزيع مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
٧٧- دراسات في الأهواء والفرق والبدع، للدكتور ناصر عبدالكريم العقل، ط. الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، نشر مكتب الدراسات والإعلان، الرياض.

٧٨- الدرة البهية شرح العقيدة التائية في حل المشكلة القدرية للشيخ عبد الرحمن السعدي ط. عام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥ مكتبة المعارف، الرياض

٧٩- دقائق التفسير، لأحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ط. الثانية، ١٤٠٤هـ، نشر مؤسسة علوم القرآن، دمشق، تحقيق: د. محمد السيد الحليند.

٨٠- ديوان البرعي، لعبدالرحيم البرعي مع شرحه (لم يذكر اسم شارحه)، مكتبة القاهرة.

٨١- ديوان البوصيري، محمد سيد، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ١٣٧٤هـ، تحقيق: محمد سيد الكيلاني.

٨٢- الرد القوي على الرفاعي لفضيلة الشيخ حمود بن عبدالله التويجري، ضمن رسائل حكم الاحتفال بالمولد النبوي.

٨٣- الرد على البكري، المسمى تلخيص الاستغاثة تأليف تقي الدين أحمد بن تيمية الدار العلمية للطباعة والنشر ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٨٤- الرد على الجهمية، للإمام الدارمي، ضمن عقائد السلف.

٨٥- رد مفتريات على الإسلام، د. عبدالجليل شلبي، ط. الأولى، ١٩٨٢م، نشر دار القلم، الكويت.

٨٦- رسالة الخالصي إلى أحمد قوام السلطنة، رئيس الحكومة الإيرانية،

حققه: هادي الخالصي، ط. العربية، الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
٨٧- الرسالة الشافية في وجوه الإعجاز، تأليف: عبدالقاهر الجرجاني، مطبوع من كتاب دلائل الإعجاز للمؤلف، تعليق: محمود محمد شاكر، ط. عام ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، مطبعة المدني.
٨٨- رسالة الصوفية والفقراء لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية.
٨٩- الرسالة القشيرية للإمام القاسم عبدالكريم القشيري، مطبعة حسان، نشر دار الكتب الحديثة، تحقيق: د. عبد الحليم محمود ومحمود الشريف.
٩٠- رسائل الأرواح، د. فؤاد صروف، نشر دار العرب.
٩١- رسائل العدل والتوحيد، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، ط. دار الشروق.
٩٢- رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي، لمجموعة من العلماء، ط. الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، دار العاصمة، الرياض.
٩٣- رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، تأليف: الإمام محمد ابن إسماعيل الصنعاني، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، المكتب الإسلامي، تحقيق: العلامة محمد ناصر الدين الألباني.
٩٤- رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم، تأليف: عمر بن

سعيد الفوتي، مطبوع بهامش جواهر المعاني وبلوغ الأماني.

٩٥- روح المعاني للألوسي، إدارة الطباعة المنيرية.

٩٦- الروحية الحديثة، تأليف: محمد محمد حسين مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ- ١٩٤٨م.

٩٧- رؤية إسلامية للاستشراق، تأليف: د. أحمد غراب، ط. الثانية، ١٤١١هـ، المنتدى الإسلامي.

٩٨- زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن علي محمد الجوزي، ط. الرابعة، ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي.

٩٩- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، ط. ١٤، عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، نشر مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار.

١٠٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة للعلامة ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي.

١٠١- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، لناصر الدين الألباني، ط. الرابعة، ١٤٠٨هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

١٠٢- السنة للإمام عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، د. دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: محمد السعيد بسيوني.

١٠٣-السنة للخلال ، تحقيق د. عطية الزهراني ط. الأولى ١٤١٠ - ١٩٨٩م ، دار الراية.
١٠٤- سنن ابن ماجه، للحافظ أبي عبدالله بن يزيد القزويني، ط. المكتبة العلمية، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.
١٠٥- سنن أبي داود للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، طبع ونشر دار الجنان، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، دراسة وفهرسة كمال الحوت.
١٠٦- سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، طبع ونشر المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، تعليق: عزت عبيد الدعاس.
١٠٧- سنن الدارمي للإمام الحافظ عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، ط. ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، تحقيق: فؤاد زمرلي وخالد السبع.
١٠٨- السنن الكبرى، البيهقي، نشر مكتبة الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا.
١٠٩- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية السندي، ط. الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ترقيم وتصحيح: عبدالفتاح أبو غدة.
١١٠- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين حمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط. التاسعة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة.

١١١-السيرة الحلبية، لعلي بن برهان الدين الحلبي ، ط. عام ١٤٠٠، دار المعرفة.
١١٢- سيماء الأولياء وكراماتهم، علي الأصفهاني.
١١٣- الشباب بين التطرف والانحراف، د. إسماعيل إبراهيم.
١١٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للمؤرخ أبي الفلاح عبدالحي ابن العماد الحنبلي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت.
١١٥- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبدالجبار، تعليق: أحمد الحسيني ابن أبي هاشم، تحقيق: د. عبدالكريم عثمان، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط. الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
١١٦- شرح العقيدة الأصفهانية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ط. عام ١٣٥٨هـ، دار الاعتصام، القاهرة، نشر دار الكتب الإسلامية، تقديم حسين مخلوف.
١١٧- شرح العقيدة الطحاوية للقاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، نشر مكتبة البيان، توزيع مكتبة المؤيد، تحقيق: بشير محمد عيون.
١١٨-الشرك في القديم والحديث أبو بكر محمد زكريا مكتبة الرشد عام ١٤٢١هـ.
١١٩- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، مطبعة عيسى الحلبي، تحقيق: علي محمد

البجاوي.
١٢٠- شمائل الرسول ﷺ ، للحافظ ابن كثير، ط. الثانية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، تحقيق: د. مصطفى عبدالواحد.
١٢١- شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، للنبهاني، طبعة إيشيق، اصطنبول، تركيا، رقم الطبعة وتاريخها لا يوجد.
١٢٢- الشيعة والسنة، لإحسان إلهي ظهير.
١٢٣- الشيعة وأهل البيت، لإحسان إلهي ظهير.
١٢٤- الشيوعية والإنسانية، عباس محمد عقاد، ط. دار الكتاب العربي، بيروت.
١٢٥- الصارم المسلول على شاتم الرسول، تأليف: شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، حققه وعلق عليه: محمد محيي الدين عبدالحميد.
١٢٦- صحيح البخاري، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ضبط وترقيم وشرح وتخريج: د.مصطفى ديب البغا، ط. الرابعة، ١٤١٠هـ، نشر وتوزيع دار ابن كثير.
١٢٧- صحيح سنن أبي داود، ط. الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، مكتب التربية العربي، نشر المكتب الإسلامي.

١٢٨- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، طبع ونشر المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا.

١٢٩- طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها، د. سليمان الحلبي.

١٣٠- طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، ط. الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، نشر هجر، تحقيق: د. عبدالفتاح الحلو، ود. محمود الطناجي.

١٣١- الطبقات الصغرى، لعبد الوهاب بن أحمد الشعراني، ط. الأولى، ١٣٩٠هـ، المطبعة التوقيفية، مصر، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا.

١٣٢- الطبقات الكبرى للشعراني المطبعة التوقيفية، مصر.

١٣٣- عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة، عبدالكريم نوفان فواز عبيدان، دار ابن تيمية للنشر والتوزيع، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٣٤- عالم الجن والشياطين من القرآن وسنن خاتم المرسلين، إعداد: أبو أسامة محيي الدين، نشر مكتبة الخدمات الحديثة، جدة، ط. الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١٣٥- عالم الجن والشياطين، د. عمر سليمان الأشقر، دار الكتب العلمية، ط. الخامسة، ١٤٠٦هـ، الكويت.

١٣٦- عالم الجن والملائكة، د. عمر الأشقر، دار الكتب العلمية، الكويت.

١٣٧- عباد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة، يوسف البنعلي. ط. الثانية ١٩٩٧م.

١٣٨- عبدالله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام، للشيخ سليمان العودة، دار طيبة.

١٣٩- عبدة الشيطان، تأليف: ممدوح الزوبي، ط. الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، المكتبة الثقافية، بيروت.

١٤٠- العقيدة الإسلامية وأسسها، تأليف: عبدالرحمن حبنكة الميداني، ط. الخامسة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، دار القلم، دمشق.

١٤١- عقيدة ختم النبوة، د. عثمان عبدالمنعم عيش، ط. الأولى، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، نشر مكتبة الأزهر.

١٤٢- العقيدة والشريعة في الإسلام، تأليف: أجناس جولد تسيهر، ترجمة وتعليق: محمد يوسف وعبدالعزيز عبدالحق وعلي حسن عبدالقادر، طبعة مصورة عن مطبعة دار الكتاب المصري، عام ١٩٤٦م، دار الرائد العربي، بيروت.

١٤٣- عون المعبود في شرح سنن أبي داود، تأليف: محمد شمس الحق أبو الطيب، ط. الثانية، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، نشر المكتبة السلفية، المدينة.

١٤٤- غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ، جامعة أم القرى، تحقيق: د. سليمان العايد.
١٤٥- الفائق في غريب الحديث، جار الله أبو القاسم محمود الزمخشري، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، تحقيق: الحسن النعماني.
١٤٦- الفتاوى الحديثية، لابن حجر الهيثمي، وبهامشه الدرر المنتشرة في الأحاديث المنتشرة للسيوطي، ط. عام ١٣٠٧هـ، المطبعة الميمية، مصر.
١٤٧- الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط. الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، دار المعرفة، بيروت.
١٤٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ط. الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٤٩- فتح الحق المبين في علاج الصرع والسحر والعين، د. عبدالله الطيار، والشيخ سامي المبارك، ط. الثانية، ١٤١٥هـ، دار الوطن، الرياض.
١٥٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف محمد بن علي الشوكاني، طبعة دار المعرفة، بيروت.
١٥١- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تاريخ النشر ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٧م.
١٥٢- الفتوحات المكية، لابن عربي، دار صادر، بيروت.

١٥٣- الفَرق بين الفِرق وبيان الفرقة الناجية منهم، للأستاذ عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط. عام ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ط.دار الجيل، دار الآفاق، بيروت.

١٥٤- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية.

١٥٥- الفروع لمحمد بن مفلح المقدسي، ط. الأولى، عام ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية، تحقيق: أبو الزهراء حازم القاضي.

١٥٦- فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب، وثيقة مصورة من موقع شبكة السرادب الإسلامية.

١٥٧- الفصل في الملل الأهواء والنحل، تأليف أبي محمد بن علي بن أحمد ابن حزم الظاهري، دار الجيل، تحقيق د. محمد إبراهيم نصر، د. عبدالرحمن عميرة.

١٥٨- القاموس المحيط لمجد الدين محمد يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، ط. الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٥٩-قطر الولي على حديث الولي للشوكاني، تحقيق د. إبراهيم هلال مطبعة حسان، نشر دار الكتب.

١٦٠- قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر، لمحمد بن أبي الهدى أفندي الرفاعي الصيادي، ط. الأولى ١٤٠٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦١- القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، للشيخ مصطفى صبري، ط. عام ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، دار السلام.
١٦٢- القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل، للشيخ إسماعيل الأنصاري، مطبوع ضمن رسائل حكم الاحتفال بالمولد.
١٦٣- القول المفيد على كتاب التوحيد، شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.
١٦٤- القيامة الكبرى، د. عمر سليمان الأشقر، ط. الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، مكتبة الفلاح، الكويت.القدرات الخفية، تأليف: مارك أوديف، ترجمة: هيثم سرية، ط. الأولى، ١٩٩١م، نشر دار دمشق.
١٦٥- الكافي في الأصول للكليني، ط. إيران.
١٦٦- الكافي في فقه ابن حنبل لابن قدامة المقدسي ، تحقيق: زهير الشاويش ، ط. الخامسة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ط. المكتب الإسلامي، بيروت
١٦٧- كتاب فيه ما فيه، للشاعر الصوفي جلال الدين الرومي، ط. الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ط. دار الفكر، دمشق، ترجمه عن الفارسية: عيسى على العاكوب.
١٦٨- كرامات أولياء الله، للإمام الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي، ط. عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، نشر طيبة، الرياض، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان.

١٦٩- كشف الأسرار الخميني، ط. الثالثة، ١٩٨٠، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ترجمة د. محمد البنداري تقديم: د. محمد أحمد الخطيب.
١٧٠- كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث، للمفسر الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني، ط. الخامسة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت، تصحيح: أحمد القلاش.
١٧١- كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، تأليف عبدالرحمن حبنكة الميداني طار القلم ط. الثانية عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م..
١٧٢- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور، دار صادر، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية.
١٧٣- لسان الميزان، للإمام الحافظ شهاب الدين أي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط. الأولى، نشر دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مكتبة دار زمزم، الرياض.
١٧٤- لوامع الأنوار الهية وسواطع الأسرار الأثرية، لشرح الدرة المضية في عقد الفرق المرضية، تأليف العالم الشيخ محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحبنلي، ط. الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، منشروات مؤسسة الخافقين، دمشق.
١٧٥- مباحث في إعجاز القرآن، تأليف: مصطفى مسلم، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، نشر دار المنار، جدة.
١٧٦- مباحث في علوم القرآن، للشيخ مناع خليل القطان، ط. الخامسة،

١٤٠١هـ، دار الطباعة، نشر مكتبة وهبة.
١٧٧- مجلة الأسرة العدد ٩٧ في ربيع الآخر ١٤٢٢هـ.
١٧٨- مجلة الشراع الشيعية العدد ٦٨٤ السنة الرابعة.
١٧٩- مجمع الزوائد للهيثمي، ط. عام ١٤٠٧هـ، دار الريان للتراث، ودار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت.
١٨٠- مجمع الزوائد، نشر دار الريان، ودار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت.
١٨١- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد القاسم، طبع ونشر مكتبة ابن تيمية.
١٨٢- مجموع فتاوى ومقالات سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ ط. الرابعة.
١٨٣- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق وتخريج: فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت.
١٨٤- محاضرات في النصرانية، للشيخ: محمد أبو زهرة. طبع ونشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والدعوة والإفتاء عام ١٤٠٤هـ.
١٨٥- محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، تأليف: عبدالرؤوف محمد عثمان، ط. رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
١٨٦- مختار الصحاح، تأليف محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي،

مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٨م.
١٨٧- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تأليف الإمام محمد بن أبي بكر المعروف، بابن قيم الجوزية، ط. عام ١٣٤٩هـ، دار الفكر، اختصار محمد الموصلي.
١٨٨- مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي، تحقيق: علي حسن علي عبدالحميد، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، دار الفيحار، دار عمار.
١٨٩- مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق: محمد فقي، نشر دار الكتاب العربي، ط. الثانية، عام ١٣٩٢هـ.
١٩٠- مذاهب الإسلاميين، د. عبدالرحمن بدوي. الطبعة الثانية. دار العلم للملايين نشر عام ١٣٩٩-١٣٩١هـ/ ١٩٧٩م.
١٩١- مسألة الإمامة، محسن عبدالناظر، الدار العربية للكتاب.
١٩٢- مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د. ناصر بن عبدالله القفاري، ط. الثانية، ١٤١٣هـ، دار طيبة، الرياض.
١٩٣- مسائل الجاهلية، للإمام محمد بن عبدالوهاب، ط. عام ١٣٩٦هـ، الجامعة الإسلامية، المدنية المنورة، تحقيق: شكري الآلوسي.
١٩٤- المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أ[ي عبدالله بن محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، ط. الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا.

١٩٥- مسند الإمام أحمد، طبعة مؤسسة قرطبة، مصر.
١٩٦- مشكاة المصابيح، للعلامة محمد بن عبدالله بن الخطيب التبريزي، ط. الثالثة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، تحقيق: ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي.
١٩٧- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
١٩٨- مصنف عبدالرزاق، ط. الثانية ١٤٠٣هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
١٩٩- معارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي، دار ابن القيم، الدمام، ضبط عمر بن محمود أبو عمر.
٢٠٠- معالم التنزيل، للإمام أبو محمد الحسن بن مسعود البغوي. تحقيق: خالد عبدالرحمن العك- مروان سوار. دار المعرفة بيروت. ط. ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٢٠١- المعجزة الكبرى، لمحمد أبي زهرة تاريخ النشر ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م
٢٠٢- المعجم الصغير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، نشر المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير.
٢٠٣- المعجم الكبير، الطبراني، نشر مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط. الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٧٣م.

٢٠٤- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، لأبي الفضل عبدالرحمن بن الحسين العراقي، مطبوع في حاشية (إحياء علوم الدين).
٢٠٥- المغني للقاضي عبدالجبار الهمذاني، تحقيق: د. محمد المصطفى، د. أبو الوفاء الغنيمي، ط. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر.
٢٠٦- المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، لأحمد بن عباد الشافعي، ط. عام ١٣٨١م، الحلبي، مصر.
٢٠٧- مفتاح دار السعادة، لابن القيم، دار الفكر.
٢٠٨- مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد كيلاني، دار المعرفة. بيروت، لبنان.
٢٠٩- المفهم، للحافظ القرطبي، ط. الثانية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، دار ابن كثير.
٢١٠- مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، نشر دار إحياء التراث، بيروت، ط. الثالثة، هلوت رينز.
٢١١- الملل والنحل، للبغدادي، تحقيق: البير نصري، دار الشروق، بيروت.
٢١٢- الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت.
٢١٣- مناهل العرفان في علوم القرآن الكريم، للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني، طبعة دار إحياء الكتب العربية.

٢١٤- منهاج السنة، لابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم، ط. الأولى ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.
٢١٥- المنهاج في شعب الإيمان، الحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ط. الأولى، عام ١٣٩٩هـ، دار الفكر.
٢١٦- موسوعة الأديان، د. مهدي البصري، ط. الأولى، ٢٠٠١م، نشر دار أسامة، الأردن، عمان.
٢١٧- موسوعة القرن العشرين، محمد فريد وجدي.
٢١٨- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب. الندوة العالمية.ط. الثانية عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
٢١٩- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الفكر، تحقيق: علي محمد البجاوي.
٢٢٠- النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، ط. ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، دار الكتاب العربي، بيروت، دراسة وتحقيق محمد عبدالرحمن عوض.
٢٢١- نفحات الرضا والقبول في فضائل المدينة، للحضراوي، دار غريب، القاهرة، تحقيق: د. محمد رينهم عزب.
٢٢٢- النهاية في الفتن والملاحم، للحافظ ابن كثير، ط. الثانية، عام ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، دار الكتب العلمية، تصحيح وضبط: أحمد عبدالشافي.

٢٢٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ط. دار الفكر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمط الطناجي.
٢٢٤- نور العين في المشي إلى زيارة قبر الحسين، تأليف: محمد حسن الأصبهاني، دار الميزان، بيروت، لبنان.
٢٢٥- النور المحمدي بن هدي الكتاب المبين وغلو الغالين، عداب محمود الحمش، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الأماني، ودار حسان، الرياض.
٢٢٦- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، للإمام ابن القيم الجوزية، دار المطبعة السلفية، نشر دار الريان، تقديم وتحقيق وتعليق: د. أحمد السقا.
٢٢٧- هذه هي الصوفية، تأليف: عبدالرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٢٨- الوحي المحمدي، د. عبدالجليل شلبي، طبعة عام ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م، مطابع الشروق، القاهرة.
٢٢٩- الوحي في الإسلام وإبطال الشبهات، عبدالله عبدالحي أبو بكر (رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى مكتوبة على الآلة الكاتبة).
٢٣٠- وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر.
٢٣١- اليزيدية ومنشأ نحلتهم، أحمد تيمور باشا، مكتبة الثقافة الدينية ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٢٣٢- اليزيديون، واقعهم، تاريخهم، معتقداتهم، إعداد محمد التونجي، المكتبة الحديثة الثقافية ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
٢٣٣- يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار، تأليف: صديق حسن خان، تحقيق: أحمد حجازي السقا، نشر دار التراث الإسلامي، الأزهر.

الفهرس

مقدمة ٣
أهمية البحث : ـ..... ٥
منهجية البحث : ـ..... ١٤
تقسيم البحث : ـ..... ١٧
المبحث الأول..... ٢١
توحيد الربوبية..... ٢١
معنى كلمة الرب:..... ٢٣
مكايد الشيطان في هذا التوحيد:..... ٢٧
أولا: الانحراف بالفطرة السليمة:..... ٢٧
ثانياً: التعطيل:..... ٣٥
ثالثاً: الشرك في الربوبية:..... ٣٧
رابعاً: التكذيب بالقضاء والقدر:..... ٣٨
المبحث الثاني..... ٦٥
توحيد الألوهية..... ٦٥
أولاً: شرك العبادة: ٦٨
ثانياً: شرك الطاعة والاتباع:..... ٨٤
ثالثاً: شرك الدعاء:..... ٩٥
رابعاً: شرك الشفاعة: ١٠٠

خامساً: القول على الله بلا علم: ١٠٣
سادساً: الـــردة: ١١٢
المبحث الثالث..... ١٣٩
توحيد الأسماء والصفات ١٣٩
١ - التعطيل:..... ١٤٧
٢ - التحريف:..... ١٤٩
٣- التكييف:..... ١٥٨
٤ - التمثيل: ١٥٩
وقد أوقعهم إبليس في هذا الإلحاد بعدة شبه منها:..... ١٦٣
١ - التنزيه: ١٦٣
٢ - نفي الجسمية والتحيز والتركيب والجوهر والانقسام: ١٦٧
٣- نفي الجهة:..... ١٧٥
٤ - نفي التشبيه: ١٨٠
٥ - نفي الأعراض: ١٨٤
٦ - تحكيم العقل في مسائل الصفات:..... ١٩١
٧- التفويض: ٢٠٩
٨- نفي الصفات بناء على أن إثباتها يستلزم منه تعدد القدماء: ٢١٣
المبحث الأول..... ٢٢٠
مكايده في إنكار النبوات ٢٢٠

أولاً: دعوى السحر والكهانة والشعر ٢٢٧
ثانياً: دعوى الجنون: ٢٣٢
ثالثاً: دعوى الكذب: ٢٣٥
رابعاً: الجنس البشري: ٢٤٢
خامساً: أن الرسل – عليهم السلام – أظهروا للناس في الإيمان بالله واليوم الآخر خلاف الأمر: ٢٤٦
سادساً: تفضيل بعض البشر على الأنبياء: ٢٤٨
المبحث الثاني ٢٥٠
مكايد الشيطان في الغلو في الأنبياء ٢٥٠
١ – تأليه الأنبياء: ٢٥١
٢ – سؤالهم الشفاعة، ودعاؤهم والتضرع إليه وإظهار الفاقة لهم: ٢٧٩
٣ – الغلو في قبور الأنبياء: ٢٨١
٤ – إقامة الموالد والأعياد: ٣٠١
المبحث الثالث ٣١٣
مكايد الشيطان في نفي المعجزات والكرامات ٣١٣
الأولى: مكايد عامة في نفي معجزات جميع الأنبياء: ٣٢٠
الثاني: مكايد خاصة بنبينا محمد ﷺ ومنها: ٣٣٠
المبحث الرابع ٣٦١
مكايده فيما يتعلق بالولاية والأولياء ٣٦١

١- القول بالحلول والاعتقاد بأن هؤلاء الأولياء يملكون خصائص الربوبية والألوهية..... ٣٧١
٢- مساواتهم بالأنبياء بل وتفضيلهم عليهم في بعض الأحيان: ٣٧٦
٣- الاستغاثة بهم ودعائهم والتذلل بين أيديهم وتعظيم قبورهم والتمسح بها:..... ٣٨٢
٤- ادعاء الغلو فيهم وادعاء رؤيتهم للنبي ﷺ يقظة لا مناماً ومصافحتهم وشد الرحال لزيارتهم:..... ٣٨٦
٥- الإتيان بشريعة غير شريعة محمد ﷺ ، والادعاء بأنهم يرون الملائكة وتخاطبهم ونزول الرقاع عليهم من الله:..... ٣٨٩
٦- ادعاؤهم إحياء الموتى:..... ٣٩٥
٧- إنهم يعلمون منطق الطير وسائر اللغات:..... ٣٩٦
٨- ادعاء العصمة لهم:..... ٤٠٠
٩- خروجهم عن الصفات البشرية في بعض الأحوال: ٤٠٧
١٠- ادعاء علم الغيب:..... ٤٠٩
١١- تفضيلهم على أبي بكر وعمر وسائر الصحابة:..... ٤١٢
الخاتمة..... ٤٢٠
المراجع..... ٤٢٢
الفهرس ٤٥٠